

٠٨٢
م

(أربعون حديثا)، تأليف على بن محمد سلطان الهروى، نور الدين، المعروف بالقارى (-١٠١٤هـ). بآخرها تملك سنة ١٢٥٦هـ.

٣ق ١٩س ٥ر٢١×٥ر٢٥سم

١٩٨٦
١
م

نسخة حسنة، (ضمن مجموع ق ١-٣)، خطها تعليق.

الأعلام ٥: ١٦٦، دار الكتب ١: ٨٦

١- الأحاديث النبويه الأخرى أ- الملا على القارى، على بن محمد -١٠١٤هـ

ب- القارى، على بن محمد - ١٠١٤هـ. ج- تاريخ النسخ.

٠٨٢
م

منهاج العابدين (الى الجنة)، تأليف محمد بن محمد بن محمد الغزالى الطوسى، ابو حامد، حجة الاسلام (٤٥٠-٥٠٥هـ). كتبت في القرن الثالث عشر الهجرى تقديرا.

٨٠ق ٢١س ٥ر٢١×٥ر١٥سم

١٩٨٦
٢
م

نسخة حسنة، ضمن مجموع (ق ٣: ٨٢)، خطها تعليق، مطبوع.

الاعلام ٧: ٢٤٧، كشف الظنون ١٨٧٦

١- الفلسفة الاسلامية في العصور الوسطى أ- الغزالى، محمد بن محمد - ٥٠٥هـ ب- تاريخ النسخ.


منهاج العابدين
للغزالي
منهاج العابدين
الغزالي
المكتبة العصرية
وأولاده — الرياض
مكتبة جامعة الرياض
الرقم العام ١٦٧
Copyright © King Saud University

النواس بن سمعان عن رسول الله قال غير الدجال اخوفني عليكم ان يخرج وانا فيكم فانا حجيجه دونكم

وان يخرج ولست فيكم فامرء حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم انه شاب قطط عينه طافية

كاني اشبهه بعبد العزى بن قطن فمن ادركه منكم فليقرأ فواتح سورة الكهف انه خارج

خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا يا عباد الله فاثبتوا

قلنا يا رسول الله تعالى وما لبثه في الارض قال اربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم

كجمعة وسائر ايامه كايامكم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة اتكفينا فيه صلوة

يوم قال لا اقدروا له قدره من المشارق

بيان طريق عدد سنون اعلم ان الاحاد والعشرات تؤخذان كتب عباس بن سيف ستار دبني

باليد اليمنى الاحاد بثلث اصابع الخنصر والبنصر والوسطى والعشرات

بالاصبعين السبابة والابهام والمئات والالوف تؤخذان باليسرى

الماءتين بثلث اصابع المذكورة والالوف بالسبابة والابهام فللواحد

يوضع الخنصر في الكف وللاثنين يوضع الخنصر والبنصر وللثلثة يوضع

الخنصر والبنصر والوسطى في بعض العقود الثلثة ينبغي ان يكون رؤس الاصابع

قريبا من اصولها وللاربعة يرفع الخنصر وللخمسة البنصر ايضا وللستة يرفع

الوسطى ويعقد البنصر وحده وللسبعة يرفع البنصر ويوضع الخنصر في الكف بعد

منه في الواحد متوجها الى الرسغ لئلا يلتبس السبع بالواحد وللثمانية يوضع البنصر

على الكيفية المذكورة ايضا وللتسعة يوضع الوسطى على تلك الكيفية المذكورة ايضا

وللعشرة يوضع ظفر راس السبابة على المفصل الاول من الابهام وللعشرين يوضع

راس الابهام بين اصول السبابة والوسطى متصلا بتلك السبابة ... سطح

في الثلاثة وللثلثين يوضع راس الابهام على راس السبابة وللاربعين يوضع

الابهام على ظهر اسفل مفصل السبابة وللخمسين يوضع الابهام على الكف كان

راس الابهام يتصل بمفصل السبابة وللستين يوضع طرف ظفر الابهام بالمفصل

الثاني من السبابة وللسبعين يوضع باطن راس الابهام على ذلك المفصل من السبابة

وللثمانين يوضع راس السبابة على ظهر المفصل الثاني من الابهام وللتسعين يوضع

عن عبد الله بن شقيق قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئا من الاعمال تركه كفر غير الصلوة رواه الترمذي

اقم الصلوة طرفي النهار الصبح والمغرب وزلفا من الليل صلوة العشاء قرب اول الليل والزلف اول ساعات الليل وقيل صلوة طرفي النهار الفجر والظهر والعصر فاما المغرب والعشاء فانهما من صلوة الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ان الصلوة الخمس تكفر ما بينهما من الذنوب اذا اجتنب الكبائر ذلك ذكرى وهذه موعظة للذاكرين

واصبر على الصلوة فان الله لا يضيع اجر المحسنين يعني المصلين في هود

قال النبي عليه السلام

ما من نبي بعثه الله في امته قبلي الا كان له من امته حواريون واصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بامره ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل رواه ابن مسعود [illegible]

وقال عليه السلام لا يزال من امتي امة قائمة بامر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي امر الله تعالى وهم على ذلك رواه معاوية

وقال لا يزال طائفة من امتي يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة رواه [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم مفتاح كل كتاب كريم كما رواه الخطيب في الجامع
عن رسول العظيم والحمد لله الذي اوجد الخلق من العدم وعلم الانسان ما لم يعلم
والصلوة والسلام على من اوتي جوامع الكلم ومنابع الحكم وعلى اله واصحابه
واتباعه خير الامم وبعد فهذه اربعون حديثا مبانيها يسيرة ومعانيها
كثيرة من درر غرر سيد البشر الملتقطة من بحار الاثر وخير المشتهر اوجز ما يتصور من الكلام
المعتبر جمعها افقر العباد الى ربه البارى علي بن سلطان محمد القاري عاملهما الله تعالى
بلطفه الخفي وكرمه الوفي رجاء ان يدخل في سلك جزاء قوله عليه التحية والثناء
من حفظ على امتي اربعين حديثا من سنتي ادخلته يوم القيامة في شفاعتي على ما رواه
البخاري ١ الايمان يمان الشيخان ٢ الايمن فالايمن ايضا ٣ اخبره تقله ابو نعيم ٤
ارحموا ترحموا احمد ٥ ارحمكم ارحامكم ابن حبان ل اشفعوا تؤجروا ابن عساكر ٦ اعلنوا النكاح احمد ٧
الكرام الخبز البيهقي ٨ الرحم بينك الطبراني ٩ تهادوا تحابوا ابو يعلى ١٠ الحرب خدعة
الشيخان ١١ الحمى شهادة الديلمي ١٢ الدين نصيحة البخاري ١٣ سددوا قاربوا الطبراني
١٤ شراركم عزابكم ابن عدي ١٥ الصبر رضاء ابن عساكر ١٦ الصوم جنة النسائي
١٧ الطرق شرك احمد ١٨ العارية مؤداة الحاكم ١٩ العدة دين الطبراني ٢٠
العين حق الشيخان ٢١ الغنم بركة ابو يعلى ٢٢ المجد عوج الترمذي ٢٣ قفلة
كغزوة احمد ٢٤ قيده وتوكل البيهقي ٢٥ الكبر الكبر الشيخان ٢٦ موالينا منا
الطبراني ٢٧ المؤمن غر الحاكم ٢٨ المحتكر ملعون ايضا ٢٩ المستشار مؤتمن الاربعة ٣٠
المستعل راكب ابن عساكر ٣١ النار جبار ابو داود ٣٢ الندم توبة احمد ٣٣ النبي لا يورث
ابو يعلى ٣٤ الوتر بليل ايضا ٣٥ لا تمنوا الموت ابن ماجه ٣٦ لا تغضب البخاري ٣٧ لا ضرر

ولا ضرار احمد ٣٨ لا وصية لوارث الدارقطني ٣٩ يد الله على الجماعة الترمذي ٤٠
اليمن حسن الخلق الخرائطي وقد رواه الحسن عن الحسن عن ابي الحسن عن جد الحسن ان احسن
الحسن الخلق الحسن كما اخرجه شيخ مشايخنا الجلال السيوطي وهو حديث حسن واسناده
حسن رزقنا الله تعالى خلقا حسنا ورزقا حسنا ورزق لنا بالايمان على وجه الاحسان
وادخلنا دار الايمان وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين
كتب الاربعين حين لقيته تيامنا وتبركا اللهم ارزقنا اياها كما هي بالاحسان يا منان
يا ذا الجلال والاكرام برحمتك يا ارحم الراحمين

يقول سمعت النصراباذي يقول سجنك نفسك
اذا خرجت اي باعراضك عن شهواتها وعن العمل بمقتضاها
وقعت في راحة الابد كما قيل فارقك نفسك وتعال رسالة القشيري
يقول سمعت النجم المعدود بادي يقول خلقت لما في
اي في العبد من ثلاثة سقم الطبيعة وملازمة العادة وفساد الصحبة
مع النفس فسالته ما سقم الطبيعة فقال اكل الحرام ... سقمها
فقلت ما ملازمة العادة فقال النظر والاستماع بالحرام والغيبة
قلت فما فساد الصحبة مع النفس قال كلما هاج في النفس شهوة تتبعها
قشيري

منه المدد والامداد

كتاب منهاج العابدين التصنيف الامام الغزالي

بسم الله الرحمن الرحيم املى علينا الشيخ الامام الاجل الزاهد السعيد الموفق حجة الاسلام زين الدين ابو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي قدس الله روحه هذا الكتاب وهو اخر كتاب صنفه ولم يلتمسه منه الا خواص اصحابه الحمد لله الملك الحكيم الجواد الكريم العزيز الرحيم الذي فطر السموات والارض بقدرته ودبر الامر في الدارين بحكمته وما خلق الجن والانس الا لعبادته فالطريق واضح للقاصدين والدليل لايح للناظرين ولكن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين والصلوة على سيد المرسلين وعلى آله الابرار الطيبين اجمعين وسلم وعظم الى يوم الدين اعلموا اخواني اسعدكم الله وايانا بمرضاته ان العبادة ثمرة العلم وفائدة العمر وحاصل العبيد الاقوياء وبضاعة الاولياء وطريق الاتقياء وقسمة الاعزة ومقصد ذوي الهمة وشعار الكرام وحرفة الرجال واختيار ذوي البصائر وهي سبيل السعادة ومنهاج الجنة قال الله تعالى وانا ربكم فاعبدون وقال ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا ثم انا نظرنا فيها وتاملنا طريقها من مباديها الى مقاصدها التي هي اماني سالكيها فاذا هي طريق وعر ومكان صعب وسبيل صعب كثيرة العقبات شديدة المشقات بعيدة المسافات عظيمة الآفات كثيرة العوائق خفية المهالك كثيرة القواطع غزيرة الاعداء والقطاع عزيزة الاشياع والاتباع وهكذا يجب ان يكون لانها طريق الجنة فيصير تصديقا لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الجنة حفت بالمكاره وان النار حفت بالشهوات وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان الجنة حزن بربوة الا ان النار سهل بشهوة ثم مع ذلك كله فان العبد ضعيف والزمان صعب وامر الدين متراجع والقوى قليل

والشغل

والشغل كثير والعمر قصير وفي العمل تقصير والناقد بصير والاجل قريب والسفر بعيد والطاعة هي الزاد فلا بد منها وهي فائتة فلا مرد لها فمن ظفر بها فقد فاز وسعد ابد الابدين ومن فاته ذلك فقد خسر مع الخاسرين وهلك مع الهالكين فصار هذا الخطب اذا والله معضلا والخطر فيه عظيما ولذلك عز من يقصد هذا الطريق وقل ثم عز من القاصدين من يسلكه ثم عز من السالكين من يصل الى المقصود ويظفر بالمطلوب وهم الاعزة الذين اصطفاهم الله تعالى لمعرفته ومحبته وسددهم بتوفيقه وعصمته ثم اوصلهم بفضله الى رضوانه وجنته فنسأله جل ذكره ان يجعلكم وايانا من اولئك الفائزين برحمته نعم ولما وجدنا هذا الطريق بهذه الصفة نظرنا فامعنا النظر في كيفية قطعها وما يحتاج اليه العبد من الاهبة والعدة والآلة والحيلة من علم وعمل عسى ان يقطعها بحسن توفيق الله في السلامة حتى لا ينقطع في عقباتها المهلكة فيهلك مع الهالكين والعياذ بالله فصنفنا في قطع هذه العقبات والطرق وسلوكها كتبا كاحياء علوم الدين وكتاب الاسرار والقربة الى الله وغير ذلك واحتوت على دقائق من علوم التي اعتاصت على افهام العامة فقدحوا فيها وخاضوا فيما لم يحسنوه منها فاي كلام افصح من كلام رب العالمين وقد قالوا فيه اساطير الاولين الم تسمع قول زين العابدين علي ابن الحسين بن علي ابن ابي طالب رضي الله عنهم اذ يقول اني لاكتم من علمي جواهره كي لا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا فقد تقدم في هذا ابو حسن الى الحسين ووصى قبله الحسنا يا رب جوهر علم لو ابوح به لقيل لي انت ممن يعبد الوثنا ولاستحل رجال مسلمون دمي يرون اقبح ما يأتونه حسنا واقتضت الحال عند ذوي الدين النظر الى كافة خلق الله بعين الرحمة وترك المماراة فابتهلت الى من بيده الخلق والامر ان يوفقني لتصنيف كتاب يقع عليه الاجماع ويحصل بقراءته الانتفاع فاجابني الله الذي يجيب المضطر اذا دعاه واطلعني

بفضله على اسرار ذلك والهمني فيه ترتيباً عجيباً لم اذكره في المصنفات التي تقدمت في اسرار
معاملات الدين وهو الذي انا له واصفه ان شاء الله فاقول وبالله التوفيق ان اول ما
ينتبه العبد للعبادة ويتحرك لسلوك طريقها يكون بخطرة سماوية من الله تعالى وتوفيق
خاص الهي وهو المعني بقوله سبحانه وتعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه
واشار اليه صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فقال ان النور اذا دخل القلب
انفسح وانشرح فقيل يا رسول الله فهل لذلك من علامة يعرف بها فقال النبي صلى الله عليه وسلم التجافي
عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فاذا خطر بقلب العبد
اول كل شيء يقول اني وجدت نفسي منعماً علي بضروب من النعم كالحياة والقدرة والعقل
والنطق وسائر المعاني الشريفة واللذات وما ينصرف عني من ضروب المضار والآفات فان
لهذه النعم منعماً يطالبني بشكره وخدمته فان غفلت عن ذلك فربما يزيل عني نعمته ويذيقني
بأسه ونقمته فقد بعث الي رسولاً ايده بالمعجزات الخارقة للعادات الخارجة عن مقدور البشر
واخبرني بان لي رباً جل ذكره قادراً عالماً حياً متكلماً يامر وينهى وانه قادر على ان يعاقبني
ان عصيته ويثيبني ان اطعته عالم باسراري وما يختلج في افكاري وقد وعد واوعد وامر بالتزام
قوانين الشرع فيقع في قلبه انه ممكن لا استحالة لذلك في العقل في اول البداهة فيخاف على نفسه
عنده ويفزع فهذا خاطر الفزع الذي ينبه العبد ويلزمه الحجة ويقطع عنه المعذرة ويزعجه
الى النظر والاستدلال فيحتاج العبد عند ذلك ويقلقل النظر فلا يبقى له قرار وينظر في طريق
الخلاص من حصول الامان له مما وقع بقلبه وسمعه فلم يجد فيه سبيلاً سوى النظر بعقله
في الدلائل والاستدلال بالصنعة على الصانع فيحصل له العلم اليقين بما هو علم الغيب
ويعلم ان له رباً كلفه وحكمه ونهاه فهذه اول عقبة استقبله في طريق العبادة وهي
عقبة العلم والمعرفة ليكون في الامر على بصيرة فياخذ في قطعها من غير بد بحسن النظر
في الدلائل ووفور العلم والتامل والسؤال من علماء الآخرة الذين هم ادلاء الطريق وسراج

الامة وقادة الائمة والاستفادة منهم واستهداء الدعاء الصالح منهم للتوفيق والاعانة
الى ان يقطعها بتوفيق الله فيحصل له العلم اليقين بالغيب وهو ان له الهاً واحداً
لا شريك له هو الذي خلقه وانعم عليه بكل هذه النعم وانه كلفه بشكره وامره بخدمته وطاعته
ظاهراً وباطناً وحذره الكفر وضروب المعاصي وحكم له بالثواب الخالد ان اطاعه
وبالعقاب الخالد ان عصاه وتولى عنه فعند ذلك تبعثه هذه المعرفة واليقين بالغيب
على التشمر للخدمة والاقبال على العبادة لهذا المولى المنعم الذي طلبه فوجده وعرفه بعدما
جهله ولكنه لا يدري كيف يعبده وماذا يلزمه من خدمته بظاهره وباطنه فعند
حصول هذه المعرفة بالله سبحانه وتعالى يتعلم ما يلزمه من الفرائض الشرعية ظاهراً
وباطناً فلما استكمل العلم والمعرفة بالفرائض انبعث لياخذ في العبادة ويشتغل
بها فنظر فاذا هو صاحب جنايات وذنوب هذا حال الاكثرين من الناس فيقول كيف
اقبل على العبادة وانا مصر على المعصية متلطخ بها فيجب اولاً ان اتوب اليه ليغفر لي ذنوبي
ويخلصني من اسرها واتطهر من اقذارها فاصلح للخدمة وبساط القربة فيستقبله
ههنا عقبة التوبة الصادقة وحقوقها وشرائطها الى ان يقطعها فلما حصلت له التوبة
وفرغ من هذه العقبة حن الى العبادة لياخذ فيها فنظر فاذا حوله عوائق محدقة به كل واحدة
منها تعوقه عما قصد من العبادة بضروب من العوائق فتامل فاذا اربع الدنيا
والخلق والشيطان والنفس فاحتاج لا محالة الى دفع هذه العوائق وازاحتها والا
فلا يتاتى له امر من العبادة فاستقبله ههنا عقبة العوائق فيحتاج الى قطعها باربعة امور
التجرد عن الدنيا والتفرد عن الخلق والمحاربة مع الشياطين والمخالفة مع النفس واما
النفس فاشدها اذ لا يمكنه التجرد عنها ولا ان يقهرها بمرة ويحسمها كالشيطان
اذ هي المطية والآلة ولا مطمع ايضاً في موافقتها على ما يقصد العبد من العبادة والاقبال
عليها اذ هي مجبولة على ضد الخير كالهوى واتباعها له فاحتاج اذاً ان يلجمها بلجام التقوى

فيستقبله عقبة التوبة

فيستقبله عقبة العلم

لتبقى له فلا ينقطع وتنقاد له فلا تطغى فيستعملها في المصالح والمراشد ويمنعها عن المفاسد والمهالك فيأخذ اذاً في قطع هذه العقبة ويستعين بالله جل ذكره على ذلك فلما فرغ من قطعها رجع الى قصد العبادات فاذا عوارض تعترضه فتشغله عن الاقبال على مقصوده من العبادة وتمنعه عن التفرغ كما ينبغي فتأمل فاذا هي اربع الاول الرزق يطالبه النفس به وتقول لابد لي من رزق وقوام وقد تجردت عن الدنيا وتفردت ايضاً عن الخلق فمن اين يكون قوامي ورزقي والثاني الاخطار من كل شيء يخافه او يرجوه او يريده او يكرهه ولا يدري في ذلك صلاحه او فساده فان عواقب الامور مبهمة فيشتغل قلبه بها فانه يقع في فساد او مهلكة والثالث الشدائد والمصائب تنصب عليه من كل جانب لا سيما وقد انتصب لمخالفة الخلق ومحاربة الشيطان ومضادة النفس فكم من غصة يتجرعها وكم من شدة يستقبله وكم من هم وحزن يعترضانه وكم من مصيبة يتلقاه والرابع انواع القضايا من الله سبحانه وتعالى بالحلو والمر ترد عليه حالاً فحالاً والنفس تتسارع الى السخط وتبادر الى الفتنة فاستقبلته ههنا عقبة العوارض الاربعة فاحتاج الى قطعها باربعة اشياء بالتوكل على الله سبحانه في موضع الرزق والتفويض في موضع الخطر والصبر عند نزول الشدائد والرضاء عند نزول القضاء فاخذ في قطع هذه العقبة باذن الله سبحانه وتعالى وحسن تأييده فلما فرغ من قطعها عاد الى قصد العبادة فنظر فاذا النفس فاترة كسلاً لا تنشط ولا تنبعث الى الخير كما يحق وينبغي وانما ميلها ابداً الى غفلة ودعة وراحة وبطالة بل الى شر وفضول وبلية وجهالة فاحتاج ههنا الى سائق يسوقها الى الخير والطاعة وينشطها فيه وزاجر يزجرها عن الشر والمعصية ويفترها عنه وهما الرجاء والخوف فالرجاء في عظيم ثواب الله تعالى وجسيم ما وعد من انواع الكرامة وتذكر ذلك سائق يسوقها فينبعث على الطاعة ويحركها لذلك وينشطها والخوف من اليم عقاب الله وعذابه وصعوبته حالاً وعد من العقاب والاهانة زاجر يزجرها عن المعصية ويفترها ويجنبها عن ذلك فهذه عقبة

البوا

البواعث استقبلته ههنا واحتاج الى قطعها بهذين المذكورين فاخذ فيها بحسن توفيق الله سبحانه وتعالى فقطعها فلما فرغ منها رجع الى الاقبال على العبادة فلم ير عائقاً ولا شاغلاً ووجد باعثاً وداعياً فنشط في العبادة فاقامها وعانقها بتمام الشوق والرغبة فاذا مهما فنظر فاذا يبدو لهذه العبادة العظيمة التي احتمل فيها كل ذلك آفتان عظيمتان وهما الرياء والعجب تارة يرائي بطاعته للناس فيفسدها واخرى يمتنع عن ذلك ويلزم نفسه فيها فيعجب بنفسه فيحبط العبادة عليه ويتلفها فاستقبلته ههنا عقبة القوادح فاحتاج الى قطعها بالاخلاص وذكر المنة ونحوها ليسلم له ما يعمل من خير فاخذ في قطع هذه العقبة باذن الله بجد واحتياط وتيقظ بحسن عصمة الجبار وتأييده فلما فرغ من هذه كلها حصلت العبادة له كما تحق وتنبغي وسلمت من كل آفة ولكنه نظر فاذا هو غريق في بحور منن الله وايادٍ من كثرة ما انعم الله عليه من امداد التوفيق والعصمة وانواع التأييد والحراسة والكرامة وخاف ان يكون منه اغفال للشكر فيقع في الكفران فيحط عن تلك المرتبة الرفيعة التي هي مرتبة الخدام الصالحين لله عز وجل وتزول عنه تلك النعم الكريمة من ضروب الطاف الله تعالى وحسن نظره اليه فاستقبلته ههنا عقبة الحمد والشكر فاخذ في قطعها بما امكنه من كثرة الحمد والشكر على كثير نعمه فلما فرغ من هذه العقبة ونزل فاذا هو بمقصوده ومبتغاه بين يديه فلم يسر الا قليلاً حتى وقع في سهل الفضل وصحراء الشوق وعرصات المحبة ثم يقع في رياض الرضوان وبساتين الانس الى بساط الانبساط ومرتبة التقريب ومجلس المناجاة ونيل الخلع والكرامات فهو يتنعم في هذه الحالة ويتقلب في طيبها ايام بقائه وبقية عمره بشخص في الدنيا وقلبه في العقبى ينتظر المزيد يوماً فيوماً حتى يمل الخلق كلهم ويستقذر الدنيا فيحن الى الموت ويستكمل الشوق الى الملأ الاعلى فاذا هو برسل رب العالمين يردون عليه بالروح والريحان والبشرى والرضوان من عند رب راضٍ غير غضبان فينقلونه في غيبة النفس وتمام البشر والانس من هذه الدنيا الفانية المفتنة الى الحضرة الالهية ومستقره رياض الجنة فيرى لنفسه الضعيفة الفقيرة نعيماً وملكاً كبيراً عظيماً ويلقى هنالك من سيد رحيم الفضل الكريم

جل ذكره من اللطف والعطف والترحيب والتقريب والانعام والاكرام ما لا يحيط به وصف الواصفون
لتوفيق الله وهو كل يوم في زيادة الى ابد الابدين فيا لها من سعادة عظيمة ويا لها من دولة عالية
ويا له من عبد مسعود وامر مغبوط وشأن محمود فطوبى له وحسن مآب نسئل الله البر الرحيم
سبحانه وتعالى ان يمن علينا وعليكم بهذه النعمة العظيمة وما ذلك على الله بعزيز وان لا يجعلنا
من الذين لا نصيب لهم من هذه الامور الا وصف او سماع او تمن بلا انتفاع وان لا يجعل ما
تعلمنا من العلم علينا حجة يوم القيمة وان يوفقنا جميعا للعمل بذلك والقيام به كما يحب ويرضى
انه ارحم الراحمين واكرم الاكرمين فهذا هو الترتيب الذي الهمني مولاي في طريق العبادات
فاعلم الآن ان ما حصل من هذه الجملة سبع عقبات **الاول** عقبة العلم **والثاني** عقبة التوبة
والثالث عقبة العوائق **والرابع** عقبة العوارض **والخامس** عقبة البواعث **والسادس** عقبة القوادح
والسابع عقبة الحمد والشكر وبتمامها يتم منهاج العابدين الى منهاج الجنة ونحن الآن ان شاء الله
تعالى نبين هذه العقبات بشرح موجز في اللفظ يشتمل على النكتة المقصودة من هذا الشأن
بشرح وجيز في باب مفرد ان شاء الله تعالى والله ولي التوفيق والتسديد بمنه وكرمه ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم

الباب الاول في عقبة الاولى

وهي عقبة العلم فاقول وبالله
التوفيق يا طالب الخلاص والعبادة عليك اولا وفقك الله بالعلم فانه القطب وعليه المدار
واعلم ان العلم والعبادة جوهران لاجلهما كان كل ما ترى وتسمع من تصنيف المصنفين وتعليم
المتعلمين ووعظ الواعظين ونظر الناظرين بل لاجلهما انزلت الكتب وارسلت الرسل
بل لاجلهما خلقت السموات والارض وما فيهما من الخلق فتامل آيتين من كتاب الله عز وجل **احدهما**
قوله تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله
على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما وكفى بهذه الآية دليلا على شرف العلم لا سيما
علم التوحيد **والثانية** قوله تعالى عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وكفى بهذه الاية دليلا
على شرف العبادة ولزوم الاقبال عليها **فاعظم** بامرين **هما** المقصود من خلق الله في الدارين

فحق

فحق للعبد ان لا يشتغل الا بهما ولا يتعب الا لاجلهما ولا ينظر الا فيهما **فاعلم**
انما سواهما من الامور باطل لا خير فيه ولغو لا حاصل له فاذا علمت ذلك فاعلم ان العلم
اشرف الجوهرين وافضلهما ولذلك قال النبي صلعم ان فضل العالم على العابد كفضلي على امتي وقال
النبي صلعم نظرة الى العالم احب الي من عبادة سنة صيام نهارها وقيام لياليها وقال النبي صلعم
الا ادلكم على اشراف اهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله صلعم قال هم علماء من امتي فبان لك ان العلم
اشرف جوهر من العبادة وان لا شيء اشرف جوهرا من العلم ولكن لا بد للعبد من العبادة
مع العلم والا كان علمه هباء منثورا **فان العلم** بمنزلة الشجرة والعبادة بمنزلة ثمرة من ثمراتها
فالشجرة اشرف اذ هي الاصل لكن الانتفاع انما يحصل بثمراتها فاذا لا بد من العبادة ليسلم
شرف العلم ولا بد للعبد ان يكون له من كلا الامرين جميعا حظ ونصيب ولهذا قال الحسن البصري
اطلبوا هذا العلم طلبا لا تضروا بالعبادة واطلبوا هذه العبادة طلبا لا تضروا بالعلم ولكن
استقر انه لا بد للعبد منهما جميعا فان العلم اولى بالتقديم لا محالة لانه الاصل والدليل ولذا
قال عليه السلام العلم امام العمل والعمل تابعه ولما صار العلم اصلا متبوعا يلزمك تقديمه على
العبادة لامرين **احدهما** لتسلم لك العبادة وتحصل فانك اولا يجب ان تعرف المعبود ثم تعبده
وكيف تعبد من لا تعرفه وانما تعلم باسمائه وصفات ذاته وما يجب وما يستحيل في نعته فربما تعتقد
فيه وفي صفاته شيئا والعياذ بالله مما يخالف الحق فتكون عبادتك هباء منثورا وقد شرحنا
في ذلك من الخطر العظيم في بيان معنى سوء الخاتمة من كتاب الخوف من كتب احياء علوم الدين
ثم يجب ان تعلم ما يلزمك فعله من الواجبات الشرعية على ما امرت به لتفعل ذلك وما يلزمك
تركه من المناهي لتترك ذلك فكيف تقوم بطاعة لا تعرفها ما هي وكيف هي وكيف يجب ان تفعل
ام كيف تجتنب المعاصي لا تعلم انها معاصي لئلا توقع نفسك فيها فالعبادات الشرعية كا
الطهارة والصلوة والصوم وغيرها يجب ان تعلمها باحكامها وشرائطها حتى تقيمها
فربما انت مقيم على شيء سنين واعواما مما يفسد عليك طهارتك وصلواتك ويخرجهما

عن كونها واقعين على وفاق السنة وانت لا تشعر به لكن ربما يعترض لك شيء مشكل
ولا من تسأل عن ذلك وانت ما تعلمته ثم مدار هذا الشأن ايضا على العبادة الباطنة التي
هي صنائع القلب يجب ان تعلمها من التوكل والتفويض والرضاء والصبر والتوبة والاخلاص
وغير ذلك مما سيأتي ذكره ان شاء الله ويجب ان تعلم مناهيها التي هي اضداد هذه الامور
كالسخط والامل والرياء والكبر لتجتنب ذلك فان هذه فرائض نص الله على الامر بها والنهي
عن اضدادها في كتابه العزيز وعلى لسان محمد صلى الله عليه وسلم كما قال الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم
مؤمنين واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون واصبروا ان الله مع الصابرين واصبر وما صبرك
الا بالله وقوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا اي اخلص اليه اخلاصا ونحو ذلك من الايات كما نص
على الامر بالصلوة والصوم فما لك اقبلت على الصوم والصلوة وتركت هذه الفرائض
والامر بها من رب واحد في كتاب واحد بل غفلت عنها بالكلية فلا تعرف شيئا منها فصرت
ممن اصبح بعاجل حظه مشغوفا حتى صير المنكر معروفا والمعروف منكرا ومن
اهمل العلوم التي سماها الله تعالى في كتابه نورا وحكمة وهدى واقبل بما به يكتسب الحرام ويكون
مصيدة للحطام اما تخاف ايها المسترشد ان تكون مضيعا لشيء من هذه الواجبات بل الاكثر
ها وتشتغل بصلوة التطوع وصوم النفل فتكون في لا شيء وربما انت مصر على معصية من هذه
المعاصي التي تستوجب بها النار وتترك بها مباحا من طعام او شراب او نوم تبتغي به قربة الى الله
فتكون في لا شيء او اشد من ذلك كله انك تكون في الامر الامل والامل معصية محضة فتظنه
نية خير لجهلك بالفرق بينهما وتقاربهما في بعض الوجوه وكذلك تكون في جزع وسخط
فتظنه تضرعا وابتهالا الى الله تعالى وتكون في رياء محض وتحسبه حمد الله تعالى او دعوة
للناس الى الخير فتأخذ تعد على الله تعالى المعاصي بالطاعة وتحتسب الثواب العظيم في موضع
العقوبات فتكون في غرور عظيم وغفلة قبيحة فطن لها والله مصيبة فضيحة للعا
ملين بغير علم ثم مع ذلك كله ان للاعمال الظاهرة علائق من المساعي الباطنة فهي

فتصلحها

٨

فتصلحها او تفسدها كالاخلاص والرياء والعجب وذكر المنة وغيرها فمن لم يعلم هذه المساعي
الباطنة ووجه تأثيرها في العبادات الظاهرة وكيفية الاحتراز منها وحفظ العمل عنها
فقلما يسلم له عمل الظاهر ايضا فتفوته طاعة الظاهر والباطن فلا يبقى في يده الا الشقاء و
الكد وهذا هو الخسران المبين ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نوما على علم خير من صلوة على جهل
فان العامل بغير علم ما يفسده اكثر مما يصلح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة العلم يلهمه السعداء
ويحرمه الاشقياء والمعنى بهذا والله اعلم ان احدى شقوتيه ان لا يتعلم العلم ثم يسعى ويتعب
في العبادة على خبط فما يكون له من ذلك الا العناء نعوذ بالله من علم وعمل لا ينفع ولهذا
عظمت عناية العلماء الزهاد والعاملين بالعلم رضي الله عنهم خاصة بين سائر الناس فان
مدار امر العبادة وملاكها العبودية والخدمة لله رب العالمين على العلم وهكذا يكون نظر اولي
الابصار واهل التوفيق والتأييد فاذا تبين لك بهذه الجملة ان الطاعة لا تحصل للعبد ولا
تسلم له الا بالعلم فيلزم اذا تقديمه في شأن العبادة واما الخصلة الثانية التي توجب
تقديم العلم ان العلم النافع يثمر خشية الله تعالى ومهابته قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده
العلماء وذلك ان من لم يعرفه حق معرفته لم يهبه حق مهابته ولم يعظمه حق تعظيمه
وحرمته فبالعلم يعرفه ويعظمه فصار العلم يثمر الطاعة كلها ويحجز عن المعصية كلها
بتوفيق الله وليس وراء هذين مقصد للعبد في عبادة الله تعالى فعليك بالعلم ارشدك الله
تعالى يا سالك طريق الاخرة اول كل شيء والله ولي التوفيق بفضله ولعلك ان تقول قد روي
في الخبر عن صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم انه قال طلب العلم فريضة على كل مسلم
فما العلم الذي طلبه فرض لازم وما الحد الذي لا بد للعبد من تحصيله في امر العبادة فاعلم ان العلوم
التي طلبها فرض في الجملة ثلثة علم التوحيد وعلم السر اعني علم ما يتعلق بالقلب ومساعيه
وعلم الشريعة واما حد ما يجب من كل واحد منها فالذي يتعين فرضه من علم التوحيد مقدار ما
تعرف به اصول الدين وهو ان لك الها عالما قادرا حيا متكلما مريدا سميعا بصيرا

بالقهر

واحدًا لا شريك له متصفًا بصفات الكمال منزهًا عن النقصان والزوال ولا احد منفردًا
عن كل محدث وان محمدًا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله الصادق فيما جاء به عن الله سبحانه وفيما
ورد على لسانه من امور الآخرة ثم مسائل في شعار السنة يجب معرفتها واياك ان تبتدع
في دين الله ما لم يأت به كتاب الله تعالى وقد ذكرها شيوخنا رحمهم الله في كتبهم التي صنفوها
في اصول الدين وعلى الجملة كل ما لا تأمن من الهلاك مع جهله فطلب علمه فرض لا يسوغ لك تركه فهذا
هذا وبالله التوفيق واما الذي يتعين فرضه من علم السر فمعرفة مواجبه ومناهيه حتى يحصل
لك تعظيم الله والنية والاخلاص له وسلامة العمل وعامة ذلك يأتي في اثناء هذا الكتاب
ان شاء الله تعالى واما من علم الشريعة فكل ما يتعين عليك فرضه فعله وجب عليك معرفته
لتؤديه كالطهارة والصلوة والصيام فاما الحج والزكوة والجهاد ان تعين عليك فرضه
وجب عليك معرفته لتؤديها والا فلا فهذا احد ما يلزم العبد تحصيله من العلم لا محالة وتعين
فرضه بحيث لا بد لك من ذلك فان قلت هل يفترض علي ان اتعلم من علم التوحيد ما انقض
به جميع ملل الكفر والزمهم حجة الاسلام وانقض به جميع البدع والزمهم حجة الاسلام والسنة
فاعلم ان هذا فرض على الكفاية وانما يتعين عليك فرضه لتصحح به اعتقادك في اصول الدين لا غير
وكذلك لا يتعين عليك معرفة فروع علم التوحيد ودقائقه والاتيان على جميع مسائله نعم
ان وردت عليك شبهة في اصول الدين تخاف ان تقدح في اعتقادك فيتعين عليك
حل تلك الشبهة بما امكن من الكلام المقنع واياك والمماراة والمجادلة فانه
محض لا دواء له فاحترز منه بجهدك كما فان من ارتداه لم يفلح الا ان يتغمده الله برحمته ولطفه
ثم اعلم انه اذا كان في كل قطر داع من دعاة اهل السنة يحل الشبهة ويرد الشبهة على اهل
البدعة ويشتغل بهذا العلم ويصفي قلوب اهل الحق عن وساوس المبتدعة فقد سقط
الفرض عنك وعن سواه وكذلك لا يلزمك معرفة دقائق علم السر وجميع شرح عجائب
القلب الا ما يفسد عليك عبادتك فيجب عليك معرفته لتجتنبه وما يلزمك فعله

كالاخلاص

كالاخلاص والحمد والشكر والتوكل ونحو ذلك فيلزمك
معرفته لتؤديه واما ما سواه فلا وكذلك لا يلزمك معرفة سائر ابواب الفقه من البيوع
والاجارات والنكاح والطلاق والجنايات وانما كل ذلك فرض على الكفاية فان قلت هذا
القدر من علم التوحيد هل يحصل بنظر الانسان من غير معلم فاعلم ان الاستاذ فاتح ومسهل
والتحصيل معه اسهل واروح والله تعالى بفضله يمن على من يشاء من عباده فيكون هو
معلمهم ثم اعلم ان هذه العقبة التي هي عقبة العلم عقبة كؤد ولكن بها تنال المقصود
والمطلوب ونفعها كثير وقطعها شديد وخطرها عظيم كم من عدل عنها فضل وكم من
سالكها فاز وكم من داخل فيها متحير وكم هائم منقطع وكم سالك قطعها في مدة
يسيرة وآخر متردد فيها سبعين سنة والامر كله بيد الله عز وجل اما نفعها فعلى ما ذكرناه
من شدة الحاجة للعبد اليه وبناء امر العبادة كلها عليه لا سيما علم التوحيد وعلم السر فلقد
روي ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام فقال يا داود تعلم العلم النافع فقال الهي وما العلم
النافع فقال ان تعرف جلالي وعظمتي وكبريائي وكمال قدرتي على كل شيء فان هذا الذي
يقربك الي وعن علي رضي الله عنه انه قال ما يسرني ان لو مت طفلًا وادخلت الجنة ولم
اكبر فلم اعرف ربي فان اعلم الناس بالله اشدهم له خشية واكثرهم عبادة واحسنهم
نصيحة فاما شدتها فبذل نفسك في الاخلاص في طلب العلم وليكن الطلب
طلب دراية لا طلب رواية واعلم ان الخطر عظيم فمن طلب العلم ليصرف وجوه الناس
اليه ويجالس به الامراء او يباهي به السفهاء والنظراء او يصيد به الحطام فتجارته
بائرة وصفقته خاسرة قال ابو يزيد البسطامي رحمه الله عملت في المجاهدة ثلثين
سنة فما وجدت شيئا اشد علي من العلم وخطره واياك ان يغرك الشيطان فيقول
اذا كان قد ورد هذا الخطر العظيم في العلم فتركه اولى فلا تظنن ذلك فلقد روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اطلعت ليلة المعراج على النار فرأيت اكثر اهلها الفقراء

قالوا يا رسول الله من الملل قال لا من العلم فمن لم
لم يتعلم العلم لا يتأتى له احكام العبادة والقيام بحقوقها ولو ان رجلا عبد الله تعالى
عبادة ملائكة السماء بغير علم كان من الخاسرين فتشمر في طلب العلم بالبحث والتلقين
والتدريس واجتنب الكسل والملال والآفات في خطر الضلال والعياذ بالله ثم جملة
الامر انك اذا نظرت في دلائل صنع الله تعالى وامعنت النظر علمت ان لك ولنا الها
قادرا عالما حيا مريدا سميعا بصيرا متكلما منزها عن حدوث الكلام والارادة
والعلم مقدسا عن كل نقص وآفة لا يوصف بصفات المحدثين ولا يجوز عليه ما يجوز على
المحدودين لا يشبه شيئا من خلقه ولا يشبهه شيء ولا يتضمنه الاماكن والجهات
ولا تحله الحوادث والآفات ونظرت في معجزات الرسول صلعم واعلام نبوته فعلمت انه
رسول الله صلعم وامينه على وحيه وما كان السلف الصالح يعتقدونه من ان الله تعالى
يرى في الآخرة وانه موجود ليس في جهة محدود فهو غير محدود وان القرآن كلام الله
تعالى غير مخلوق وليس بحروف مقطعة ولا اصوات مختلفة اذ لو كان كذلك من جملة
المخلوقات وانه لا يكون في الملك والملكوت فلتة خاطر ولا لفتة ناظر الا بقضاء الله
تعالى وقدره وارادته ومشيته فمنه الخير والشر والنفع والضر والايمان والكفر وانه
لا واجب على الله لاحد من خلقه شيء من اثابه فبفضله ومن عاقبه فبعدله وما
ورد على لسان صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم من امور الآخرة كالحشر والنشر
وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير والصراط والميزان فهذه اصول درج السلف رضي
الله عنهم على اعتقادها والتمسك بها ووقع عليها الاجماع قبل نبوغ البدع و
ظهور الاهواء نعوذ بالله من الابتداع في الدين واتباع الهوى بغير دليل ثم ان
نظرت في اعمال القلب والواجبات الباطنة والمناهي التي تأتي في هذا الكتاب
ليحصل لك علمه ثم تعرف جملة ما تحتاج الى استعماله كالطهارة والصلوة

والصوم

والصوم ونحوه فاذا فعلت فقد اديت فرض الله عليك الذي تعبدك به في باب العلم
وقد صرت من علماء امة محمد صلعم الراسخين في العلم فان عملت بعلمك واقبلت على
عمارة معادك كنت عبدا عاملا لله تعالى على بصيرة غير جاهل ولا مقلد ولا غافل
ولك الشرف العظيم ولعلمك القيمة الكبيرة والثواب الجزيل وكنت قد قطعت هذه
العقبة وخلفتها وراءك وقضيت حقها باذن الله والله سبحانه المسئول بان
يمدك وايانا بحسن توفيقه وتيسيره انه ارحم الراحمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الباب الثاني في العقبة الثانية وهي عقبة التوبة

ثم عليك يا طالب العلم العبادة وفقك الله بالتوبة وذلك لامرين احدهما ليحصل لك توفيق الطاعة
فان شوم الذنوب يورث الحرمان ويعقب الخذلان وان قيد الذنوب يمنع عن المشي الى طاعة
الله عز وجل والمسارعة الى خدمته وان ثقل الذنوب يمنع من الخفة في الخيرات والنشاط
الى الطاعات وان الاصرار على الذنوب يسود القلب فتجده في ظلمة وقساوة لا خلوص
فيها ولا صفاء ولا لذة ولا حلاوة وان لم يرحم الله فينتهي صاحبها الى الكفر
والشقاوة فيا عجبا كيف يوفق للطاعة من هو في شوم وقسوة وكيف يدعى الى
الخدمة من هو مصر على المعصية ومقيم على الجفوة وكيف يقرب للمناجات من
هو متلطخ بالاقذار والنجاسات ففي الخبر عن الصادق المصدق رسول الله صلعم انه قال
اذا كذب العبد يتنحى الملكان عن نتن ما يخرج من فيه فكيف يصلح هذا اللسان
لذكر الله فلا جرم لا يكاد يجد المصر على العصيان توفيقا ولا تخف اركانه
له فان اتفق فبكد لا حلاوة معه ولا صفوة وكل ذلك بشوم الذنوب وترك
التوبة ولقد صدق من قال اذا لم تقو على قيام الليل وصيام النهار فاعلم
بانك محروم قد كبلتك خطيئتك فهذه هذه والثانية من الامرين
يلزمك التوبة ليقبل منك عبادتك فان رب الدين لا يقبل الهدية وذلك ان التوبة

عن المعاصي وارضاء الخصوم فرض لازم وعامة العبادة التي تقصدها نفل فكيف
يقبل منك تبرعك والدين عليك حال لم تقضه ام كيف تترك لاجله المباح وانت مصر
على فعل المحظور وكيف تناجيه وتدعوه وتثني عليه وهو والعياذ بالله عليك
غضبان فهذا ظاهر حال العصاة المصرين على المعصية والله المستعان
فان قلت فما معنى التوبة النصوح وحدها وما ينبغي للعبد ان يفعله
من الذنوب كلها فاقول اما التوبة فانها سعي من مساعي القلوب وهي عند
التحصيل في قول العلماء تبرية القلب عن الذنب قال شيخنا رحمه الله تع
في حد التوبة انه ترك اختيار ذنب سبق مثله عنه منزلة لا صورة تعظيما لله تع
وحذرا من سخطه فلها اذا اربع شرائط احدها ترك اختيار الذنب وهو ان
يوطن قلبه ويجرد عزمه على ان لا يعود الى الذنب البتة فاما ان ترك الذنب وفي نفسه
انه ربما يعود اليه او لا يعزم على ذلك بل يتردد فانه ربما يقع له العود فانه ممتنع
عن الذنب غير تائب عنه والثاني ان يتوب من ذنب قد سبق عنه مثله اذ لو
لم يسبق عنه مثله لكان متقيا غير التائب الا ترى انه يصح القول بان النبي صلى الله عليه وسلم كان متقيا
عن الكفر ولا يصح القول انه كان تائبا عن الكفر اذ لم يسبق منه كفر بحال وان عمر
رضي الله عنه كان تائبا عن الكفر لما سبق عنه ذلك والثالث ان الذي سبق عنه
يكون مثل ما يتركه اختيارا في المنزلة والدرجة لا في الصورة الا ترى ان الشيخ الهرم
الفاني الذي سبق منه الزنى وقطع الطريق اذا اراد ان يتوب عن ذلك يمكنه التوبة
عند ذلك لا محالة اذ لم يغلق عنه بابها ولا يمكنه ترك اختيار الزنى وقطع الطريق اذ هو
لا يقدر الآن على فعل ذلك فلا يقدر على ترك اختياره فلا يصح وصفه بانه تارك له ممتنع عنه
وهو عاجز عنه غير متمكن لكنه يقدر على ما هو مثل الزنا وقطع الطريق في المنزلة والدرجة
كالكذب والقذف والغيبة والنميمة اذ جميع ذلك معاصي وان كان يتفاوت الاثم في

حق كل واحد

في حق كل واحد بقدرها لكن جميع هذه المعاصي الفرعية كلها بمنزلة واحدة وهي دون منزلة البدعة
ومنزلة البدعة دون منزلة الكفر فلذلك يصح منه التوبة عن الزنا وقطع الطريق وسائر
ما مضى من الذنوب التي هو عاجز عن امثالها اليوم في الصورة الرابع ان يكون
اختياره لذلك تعظيما لله وحذرا من سخطه واليم عقابه مجردا لا لرغبة دنياوية او
رهبة من الناس او طلب ثناء من صيت او ضعف في النفس او فقر او غير ذلك فهذه شرائطها
التوبة واركانها فاذا حصلت واستكملت فهي توبة حقيقة صادقة اما مقدمات التوبة ثلث
احدها ذكر غاية قبح الذنوب الثاني ذكر شدة عقوبة الله تع واليم سخطه وغضبه الذي لا طاقة به
الثالث ذكر ضعفك وقلة حيلتك في ذلك فان من لا يتحمل حر شمس ولطمة شرطي وقرص
نملة كيف يتحمل حر نار جهنم وضرب مقامع الزبانية ولسع حيات كاعناق البخت وعقارب
كالبغال خلقت من النار في دار الغضب والبوار نعوذ بالله من سخط الله وعذابه
فاذا واظبت على هذه الاذكار وعادتها اناء الليل والنهار فانها ستحملك على التوبة
النصوح من الذنوب والله الموفق بفضله فان قيل اليس قد قال النبي صلى الله عليه وسلم الندم توبة
ولم يذكر شيئا مما ذكرتم من شرائطها وشدائدها فيقال له اعلم اولا ان الندم
غير مقدور للعبد الا ترى انه يقع الندامة عن امور في قلبه وهو يريد ان لا يكون ذلك
والتوبة مقدورة للعبد مأمور بها ثم انا قد علمنا انه لو ندم على الذنوب لاجل ذهاب
بذلك جاهه بين الناس او ماله في النفقة فيها فان ذلك لا يكون توبة بلا ريب فعلمت
بذلك في الخبر معنى لم تفهمه من ظاهره وهو ان الندم لتعظيم الله وخوف عقابه
مما ينبعث على التوبة النصوح فان ذلك من صفات التائبين وحالهم فانه
اذا ذكر اذكار الثلثة التي هي مقدمات التوبة فندم وحملته الندامة على ترك اختيار
الذنب وتبقى ندامته في قلبه في المستقبل تحمله على الابتهال والتضرع فلما كان ذلك
من اسباب التوبة وصفات التائبين سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم التوبة فافهم ذلك موفقا ان شاء الله تع

فان قلت كيف يمكن للانسان ان يصير بحيث ان لا يقع منه ذنب البتة من صغير او كبير
كيف وانبياء الله صلوات الله عليهم الذين هم اشرف الخلق قد اختلف اهل العلم هل نالوا هذه
الدرجة ام لا فاعلم ان هذا الامر ممكن غير مستحيل ثم هو هين والله يختص برحمته من يشاء
ثم من شرائط التوبة ان لا يتعمد ذنبا فاما ان وقع بسهو او خطاء فهو معفو عنه مع
بفضل الله وهذا هين على من وفقه الله فان قلت انما يمنعني من التوبة اني اعلم من
نفسي اني اعود الى الذنب ولا اثبت على التوبة فلا فائدة في ذلك فاعلم ان هذا من غرور
الشيطان ومن اين لك هذا العلم فعسى ان تموت تائبا قبل ان تعود الى الذنب واما الخوف
من العود فعليك العزم والصدق في ذلك وعليه الاتمام فان اتم فذلك المقصود وان لم يتم
فقد غفرت ذنوبك السالفة كلها وتخلصت منها وتطهرت وليس عليك الا هذا الحدث الذي
احدثته الآن وهذا هو الربح العظيم والفائدة الكبيرة ولا يمنعك خوف العود عن التوبة فانك
من التوبة ابدا بين احدى الحسنيين والله ولي التوفيق والهداية فهذه هذه واما الخروج
من الذنوب والتخلص منها فاعلم ان الذنوب في الجملة ثلثة اقسام احدها ترك واجبات
الله تعالى عليك من صلوة او صوم او زكوة او كفارة او غيرها فتقضي ما امكن لك منها
والثاني ذنوب بينك وبين الله عز وجل كشرب الخمر والمزامير واكل الربوا ونحو ذلك فتندم
على ذلك وتوطن قلبك على ترك العود الى مثلها ابدا والثالث ذنوب بينك وبين العباد فهذه
اشكل واصعب وهي اقسام قد تكون في المال او في النفس او في العرض او في الحرمة او في الدين
فما كان في المال فيجب ان ترد عليه ان امكنك فان عجزت عن ذلك لعدم او فقر فيستحل منه وان
عجزت عن ذلك لغيبة الرجل او موته وامكن التصدق فافعل وان لم يمكن فعليك بتكثير
حسناتك والرجوع الى الله والتضرع والابتهال اليه ان يرضيه عنك يوم القيمة واما ما كان
في النفس فتمكنه من القصاص او اوليائه حتى يقتص منك او يجعلك في حل وان عجزت
فالرجوع الى الله والابتهال اليه ان يرضيه عنك يوم القيمة واما في العرض اغتبت او

بهته

او بهته او شتمته فحقك ان تكذب نفسك بين يدي من فعلت ذلك عنده وان تستحل من صاحبه
ان امكنك هذا اذا لم تخش زيادة غيظ وهيج فتنة في اظهار ذلك او تجديده فان خشيت
ذلك فالرجوع الى الله ليرضيه عنك ويجعل له خيرا كثيرا في مقابلته والاستغفار الكثير لصاحبه
واما في الحرمة بان خنته في اهله وولده او نحوه فلا وجه للاستحلال والاظهار لانه يولد فتنة
وغيظا بل تتضرع الى الله تعالى ليرضيه عنك ويجعل له خيرا كثيرا في مقابلته فان امنت الفتنة
والهيج وهو نادر فتستحل منه واما في الدين بان كفرته او بدعته او ضللته فهو اصعب
الامر فتحتاج الى تكذيب نفسك عند من قلت ذلك له وان تستحل من صاحبه ان امكنك والا
فالابتهال الى الله عز وجل والتندم على ذلك ليرضيه عنك وجملة الامر فما امكنك من ارضاء
الخصوم عملت وما لم تمكن راجعت الى الله تعالى بالتضرع والابتهال والصدق ليرضيه عنك
فيكون ذلك في مشية الله تعالى يوم القيمة والرجاء منه بفضله العظيم واحسانه العميم انه اذا
علم الصدق من قلب العبد فانه يرضي خصمائه من خزائنه ولا حكم فاعلم هذه جملتها ابدا
فهذه هذه فاذا انت عملت ما وصفناه وبرأت القلب عن اختيار مثلها في مستقبل
فقد خرجت من الذنوب كلها وان حصلت منك تبرئة القلب ولم يحصل منك قضاء الفوائت
وارضاء الخصوم فالتبعات لازم وسائر الذنوب سواها مغفورة ولهذا الباب شرح طويل
فلا يحتمله هذا المختصر فانظر كتاب التوبة من كتب احياء علوم الدين اولا وكتاب القربة الى الله
ثانيا وكتاب غاية القصوى ثالثا تجد فائدة كثيرة وشرحا جما والذي ذكرناه ههنا هو الاصل الذي
لا بد منه وبالله التوفيق فصل ثم اعلم يقينا ان هذه العقبة عقبة صعبة امرها مهم وخطرها
عظيم فلقد بلغنا عن الاستاد ابي اسحق الاسفرائني وكان من الراسخين في العلم العاملين
لله انه قال دعوت الله عز وجل ثلثين سنة ان يرزقني توبة نصوحا ثم تعجبت في نفسي
فقلت سبحان الله حاجة دعوت الله فيها ثلثين سنة فما قضيت الى الآن فرايت فيما يرى النائم
كأن قائلا يقول لي اتتعجب من ذلك اتدري ماذا تسأل انما تسأل الله ان يحبك اما سمعت

الائمة

الله انه يقول ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فهنا حاجة حقيقية فانظر الى هولاء واهتمامهم ومواظبتهم على صلاح قلوبهم والتزود لمعادهم واما الضرر المحرق في تاخير التوبة فان اول الذنب قسوة واخره والعياذ بالله شوم وشقوة فاياك في تاخير التوبة وتنسى امر ابليس وبلعم بن باعورا كان مبدا امرهما ذنبا واخره كفرا فهلكا مع الهالكين ابد الابدين فعليك رحمك الله بالتيقظ والجهد عسى ان تقلع من قلبك عرق هذا الاضرار وتخلص رقبتك من هذه الاوزار ولا تامن قساوة القلب وتامل حالك فلقد قال بعض الصالحين ان سواد القلب من الذنوب وعلامة سواد القلب ان لا تجد من الذنوب مفزعا ولا للطاعة موقعا ولا للموعظة منجعا ولا تستحقر شيئا من الذنوب فتحسب نفسك تائبا وانت مصر على الكبائر فلقد بلغنا عن كهمس بن الحسن انه قال اذنبت ذنبا انا ابكي عليه اربعين سنة قيل ما هو يا ابا عبد الله قال زارني اخ لي في الله فاشتريت له سمكا فاكل ثم قمت الى حائط جاري فاخذت منه قطعة من طين فغسل بها يديه وكان رجل يكتب رقعة وهو في بيت الكراء فاراد ان يترب الكتاب من جدار البيت فخطر بباله ان البيت بالكراء ثم انه لا خطر لهذا فترب الكتاب فسمع هاتفا يقول سيعلم المستخف بالتراب ما يلقى غدا من طول الحساب فناقش نفسك وحاسبها وبادر الى التوبة وبادر فان الاجل مكتوم والدنيا غرور وتضرع الى الله وابتهل واذكر حال ابينا ادم عليه السلام الذي خلقه الله بيده وحمله الى الجنة على اعناق الملائكة لم يذنب الا ذنبا واحدا فنزل به ما نزل حتى يروى ان الله تعالى قال له يا ادم اي جار كنت لك قال نعم الجار يا رب قال يا ادم اخرج من جواري وضع عن راسك تاج كرامتي فانه لا يجاورني من عصاني حتى انه فيما روي بكى على ذنبه مائتي سنة حتى قبل توبته وغفر ذنبه الواحد هذا حاله مع نبوته وصفوته في ذنب واحد فكيف الحال الغير في ذنوب كثيرة لا تحصى عددها تضرع التائب وابتهاله فكيف المصر المتعسف ولقد احسن من قال يخاف على نفسه من يتوب فكيف ترى حال من لا يتوب فلا تتب ثم نقضت وعدت الى الذنب ثانيا فعد الى التوبة مبادرا وقل لنفسك لعلي اموت قبل

ان اعود

التوبة

ان اعود الى الذنب هذا المرة وكذلك ثالثا ورابعا وكما اتخذت الذنب والعود اليه حرفة فاتخذ ايضا والعود اليها حرفة فلا تكن في التوبة اعجز منك في الذنب ولا تياس ولا يمنعك الشيطان من التوبة بسبب ذلك فانها دلالة الخير اما تسمع قوله عليه السلام خياركم كل مفتن تواب اي كثير الابتلاء بالذنب كثير التوبة منه والرجوع الى الله بالندامة والاستغفار وتذكر قوله تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما فهذه هذه وبالله التوفيق

فصل وجملة الامر انك اذا ابتدات بالتوبة فبرات قلبك عن الذنوب كلها بان توطنه على ان لا تعود الى الذنب ابدا البتة الا ما كان في علم الله على وجه علم الله تعالى بقصد قوي مكين من قلب تقي وترضي الخصوم بما امكنك وتقضي الفوائت بقدر ما تقدر عليه وترجع في الباقي الى الله تعالى بالابتهال والتضرع ليكفيك ذلك ثم تذهب فتغتسل وتغسل ثيابك وتصلي اربع ركعات كما تجب وتضع وجهك بالارض في مكان خال لا يراك الا الله تعالى ثم تجعل التراب على راسك وتمرغ وجهك الذي هو اعز اعضائك في التراب بدمع جار وقلب حزين وصوت عال وتذكر ذنوبك واحدا واحدا ما امكنك وتلوم نفسك العاصية عليها وتوبخها وتقول اما تستحي يا نفس اما ان لك ان تتوبي الك طاقة بعذاب الله الك صبر بسخط وتذكر من ذلك كثيرا وتبكي ثم ترفع يديك الى الرب الرحيم سبحانه وتقول الهي عبدك الابق رجع الى بابك عبدك العاصي رجع الى الصلح عبدك المذنب اتاك بالعذر فاعف عني بجودك وتقبلني بفضلك وانظر الي برحمتك اللهم اغفر لي ما سلف من الذنوب واعصمني فيما بقي من الاجل فان الخير كله بيدك وانت بنا رؤوف الرحيم ثم تدعو دعاء الشدة وهو يا مجلي عظائم الامور يا منتهى همة المهمومين يا من اذا اراد امرا فانما يقول له كن فيكون احاطت بنا ذنوبنا وانت المذخور لها يا مذخورا لكل شدة كنت اذخرك لهذه الساعة فتب علي انك انت التواب الرحيم ثم اكثر من الدعاء وتذلل فتقول يا من لا يشغله سمع عن سمع يا من لا يغلطه كثرة المسائل يا من لا يبرمه الحاح الملحين اذقنا برد عفوك وحلاوة مغفرتك انك على كل شيء قدير ثم تصلي

نصوحًا

على النبي صلى الله عليه وسلم واستغفر لجميع المؤمنين والمؤمنات وترجع الى طاعة الله تعالى فتكون قد تبت توبة
وقد خرجت من الذنوب طاهرًا كيوم ولدتك امك واحبك الله سبحانه وتعالى ولك من الاجر والثواب
وعليك من البركة والرحمة ما لا يحيط به وصف الواصفين وحصل لك الامن والخلاص ونجوت من عقبة
غصبة المعاصي وبليتها في الدنيا والاخرة وقد كنت قد قطعت هذه العقبة باذن
الله تعالى والله ولي الهداية بمنه وفضله الباب الثالث في العقبة الثالثة وهي عقبة
العوائق ثم عليك يا طالب العبادة وفقك الله بدفع العوائق حتى تستقيم عبادتك وقد
ذكرنا ان العوائق اربعة احدها الدنيا ودفعها بالتجرد عنها والتزهد فيها وانما لزمك
هذا التجرد والزهد لامرين احدهما لتستقيم لك العبادة وتكثر فان الرغبة في الدنيا تشغلك
اما ظاهرك بالطلب واما باطنك بالارادة وحديث النفس وكلاهما يمنعان عن العبادة فان
النفس واحدة والقلب واحد فاذا اشتغل بشيء انقطع عن ضده وان مثل الدنيا والاخرة
كمثل الضرتين وان ارضيت احديهما اسخطت الاخر وانهما كالمشرق والمغرب بقدر ما
تميل الى احديهما اعرضت عن الاخر اما شغلها في الظاهر فقد روينا عن ابي الدرداء انه قال
زاولت ان اجمع بين العبادة والتجارة فلم يجتمعا فاقبلت على العبادة وتركت التجارة وعن
عمر رضي الله عنه انه قال لو كانتا مجتمعتين لاحد لاجتمعتا لي لما اعطاني الله من القوة واللين
فاذا كان الحديث كذلك فاظفر بالغاية واختر السلامة واما شغلها بالقلب وهو الباطن فكان
الارادة فيما روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من احب دنياه اضر بالاخرة ومن احب آخرته اضر
بدنياه فاثروا ما يبقى على ما يفنى فبان لك انه اذا اشتغل ظاهرك بالدنيا وباطنك بارادتها
فلا يتيسر لك العبادة بحقها واما اذا زاهدت فيها وتفرغت بظاهرك وباطنك تيسر
لك العبادة بل يعاونك اعضاؤك عليها ولقد روي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه انه قال
ان العبد اذا زاهد في الدنيا استنار قلبه بالحكمة وتعاونت اعضاؤه في العبادة فهذا هو
والثاني من الامرين ان تكثر قيمة عملك وتعظم قدره وشرفه فلقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ركعتان

من رجل

الواصفين

من رجل زاهد قلبه خير واحب الى الله عز وجل من عبادة المتعبدين الى آخر الدهر ابدًا سرمدًا
فاذا كانت العبادة تكثر وتشرف بذلك فحق لمن طلب العبادة ان يزهد في الدنيا
ويعرض عنها فان قلت فما معنى الزهد في الدنيا وحقيقة ذلك فاعلم ان الزهد عند علمائنا زهدان
زهد مقدور للعبد وزهد غير مقدور فالزهد الذي هو مقدور ثلثة اشياء ترك طلب المفقود
من الدنيا وتفريق المجموع منها وترك اختيارها وارادتها واما الزهد الذي غير مقدور للعبد
فهو برودة الشيء على قلب الزاهد ثم الزهد الذي هو مقدور للعبد مقدمات للزهد الذي هو غير
مقدور للعبد فاذا اتى العبد بهذا الزهد طلب ما ليس عنده من الدنيا وان يفرق ما عنده منها وترك
بالقلب ارادتها واختيارها الا ابتغاءً اورثته هذه برودة الدنيا على قلبه لاجل الله وعظيم ثوابه
وهذا عنده هو الزهد الحقيقي ثم اعلم ان اصعب الامور الثلثة انما هو ترك الارادة بالقلب اذ كم
تارك لها بظاهره محب مريد لها بباطنه فهو في معالجة ومقاساة من نفسه شديدة والشان
كله في هذه الكلمة تسمع قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا
علق الحكم فيه بنفي الارادة دون الطلب والفعل المراد وهو قوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له
في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب وقوله من كان يريد العاجلة
عجلنا له فيها ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا
افلا ترى ان الاشارة كلها الى الارادة فامرها هو المهم اذا لكن العبد اذا واظب واستقام
على الاوليين اعني الترك والتفريق فالمأمول من فضل الله تعالى ان يوفقه لدفع هذه الارادة و
الاختيار عن قلبه فانه المفضل والكريم عز وجل ثم الذي يبعث على الترك والتفريق ويهون
على ذلك ذكر آفات الدنيا وعيوبها وقد اكثر الناس القول في ذلك فمنه قول بعضهم تركت
الدنيا لقلة غنائها وسرعة فنائها وكثرة عنائها وخسة شركائها قال شيخ الامام رحمه الله
لكن تخرج من هذا رائحة الرغبة فائحة لان من تركها لاجل احد احبه وصاله ومن ترك شيئا
لمكان الشركاء فيه فيا حبذا لو انفرد به فالقول البالغ فيه ما قاله شيخنا ان الدنيا عدوة الله تعالى

وانت تحبه ومن احب احدًا ابغض عدوه قال ولا تغتر في اصلها وسخة جيفة الاترى كان آخرها
الى القذر والفساد والتلاشي والاضمحلال لكنها جيفة ضمخت بطيب وطرئت بزينة فا
غتر بظاهرها الغافلون وزهد فيها العاقلون فان قيل فما حكم الزهد في الدنيا اهو فرض
ام نفل فاعلم ان الزهد عندنا يقع في الحلال والحرام وهو في الحرام فرض وفي الحلال نفل ثم منزلة
هذا الحرام لمستقيمي الطاعة بمنزلة الميتة المستقذرة لا يقدم عليها الا عند الضرورة بقدر
دفع الضرورة واما الزهد في الحلال انما يكون في منزلة الابدال يكون عندهم الحلال بمنزلة الميتة
ولا يتناولون منها الا قدرًا لا بد منه والحرام عندهم بمنزلة النار لا يخطر بالهم قصد تناولها
بحال وهذا معنى البرودة على القلب بان تنقطع همته عنها ويستقذرها ويستنكرها
جدًا فلا يبقى لها في قلبه اختيار وارادة فان قلت كيف يمكن ان تصير الدنيا في شهواتها ولذا
تها العجيبة المطلوبة عند انسان بمنزلة النار او بمنزلة الجيفة المستقذرة المستحيلة
والبنية بنيتها والطبع طبعنا فاعلم ان من وفق للتوفيق الخاص وعلم آفاتها وقذرها في اصلها
فتصير عنده كذلك وانما يتعجب من هذا الراغبون العميان عن عيوب الدنيا وافاتها المغترون بظاهرها
وزينتها وساضرب لك مثلًا لذلك فاعلم ان هذا يمثل بانسان صنع خبيصًا بشرائط من السكر
او غيره ثم طرح فيه قطعة من سم قاتل وابصر ذلك رجل ولم يبصره آخر ووضع الخبيص بين
ايديهما مزينًا مزخرفًا فالرجل الذي ابصر ما جعل فيه من السم يكون زاهدًا في ذلك الخبيص لا يخطر
بباله ان يتناوله بحال البتة ويكون عنده بمنزلة النار بل اصعب لكون ما يعلم من آفته فلا يغتر
بظاهره وزينته واما الرجل الآخر الذي لم يبصر ما جعل فيه اغتر بظاهره المزخرف وحرص عليه
ولم يصبر عنه واخذ يتعجب من صاحبه الزاهد فيه وربما يسفهه في ذلك فهذا مثل حرام الدنيا
مع البصراء المستقيمين والجهال الراغبين واما حلال الدنيا وان لم يطرح فيه السم ولكن
[illegible] اذا امتخط فيه ثم زينه وضمخ فالرجل الذي شاهد منه ذلك الفعل يكون مستقذرًا
ذلك الخبيص نافرًا عنه لا يكاد يقدم عليه الا عند الضرورة وشدة الحاجة والذي لم

يشاهد ذلك

يشاهد ذلك فهو جاهل بما فيه مغتر بظاهره حريص عليه مكب متعجب معجب فهذا مثل حلال الدنيا
مع الفريقين اهل البصيرة والاستقامة واهل الرغبة والغفلة وانما اختلف حال الرجلين مع
تساويهما في الطبع والبنية لموضع النظر ببصارة وعلم كان لاحدهما وجهالة وغفلة وحمق
كان للآخر فلو علم الراغب وابصر ما علمه الزاهد لكان زاهدًا مثله ايضًا ولو جهل الزاهد و
عمي عن الذي عمي عنه الراغب كان راغبًا مثله فعلمت بهذا ان هذا التميز لمكان البصائر دون الطبائع
فهذا اصل مفيد وكلام بين سديد احفظه فانه من عقل وانصف والله ولي التوفيق والهداية
بفضله فان قلت فلا بد لنا من قدر من الدنيا ليكون قوامًا لنا فكيف نزهد فيها فاعلم
ان الزهد يجب في الفضول مما لا يحتاج اليه في قوام البنية فالمقصود القوام والقوة حتى يعبد
الله سبحانه لا الاكل والشرب والتلذذ والله تعالى ان شاء اقامها بشيء وسبب وان شاء
اقامها بغير سبب كالملائكة ثم ان كفلها بشيء فان شاء فبشيء حاصل عندك او بطلبك وكسبك
وان شاء فبشيء غيره يسببه لك من حيث لا تحتسب من غير طلب منك وكسب كما قال الله تعالى ومن
يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب فاذًا الاحتياج بحال الى الطلب والارادة فان لم
تقو على ذلك وطلبت واردت فانو بذلك القوة على عبادة الله دون الشهوة واللذات
فانك اذا نويت ذلك كان الطلب والارادة منك خيرًا وطلبًا للآخرة بالحقيقة لا للدنيا ولا
يقدح في زهدك وتجردك فاعلم هذه الجملة راشدًا وبالله التوفيق العائق الثاني
الخلق ثم عليك وفقك الله وايانا للطاعة بالتفرد والتجرد عن الخلق وذلك لامرين احدهما
انهم يشغلونك عن عبادة الله تعالى عز وجل على ما حكي عن بعضهم انه قال مررت بجماعة يترامون
وواحد جالس بعيد منهم فاردت ان اكلمه فقال ذكر الله اشهى الي فقلت انت وحدك
فقال معي ربي وملكان فقلت من سبق من هؤلاء فقال من غفر الله له فقلت اين الطريق
فاشار بيده الى السماء وقام وتركني فالخلق اذا يشغلونك عن العبادة بل يشغلونك منها
بل يوقعونك في الشر والهلاك على ما قال حاتم الاصم رحمة الله عليه قال طلبت من هذا الخلق خمسة

فلم اجدها طلبت منهم الطاعة والذكر فلم يفعلوها فقلت اعينوني عليها الا لم تفعلوا
اذا لم تفعلوا فقلت ارضوا مني ان فعلت فلم يفعلوا فقلت لا تمنعوني عنها اذا فمنعوني منها
فقلت لا تدعوني الى ما يسخط الله العظيم ولا تعادوني عليها الا لم اتابعكم فجعلوا فلما رأيت ذلك
فتركتهم وشغلت بخاصة نفسي ثم اعلم ايها الاخ في الدين ان نبيك محمدا صلى الله عليه وسلم وصف زمان العزلة وبين
نعته ونعت اهله وامر فيه بالتفرد وكان عليه السلام لا محالة اعلم بالمصالح وانصح لنا منا لانفسنا
فان وجدت زمانك على ما وصف وبين فامتثل امره صلى الله عليه وسلم واقبل نصيحته ولا تتشكك في انه صلى الله عليه وسلم كان
اعرف بما يصلح لك في زمانك فلا تعلل بالعلل الكاذبة ولا تخادع نفسك والا فانت هالك ولا
عذر لك والوصف الذي ذكرنا ما هو في الخبر المشهور عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه قال بينما
نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ ذكر الفتنة فقال اذا رأيتم الناس قد مرجت عهودهم وخفت اماناتهم
وكانوا هكذا وشبك بين اصابعه فقلت ما اصنع عند ذلك جعلني الله فداك فقال الزم
بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بامر الخاصة ودع عنك امر
العامة وذكر في خبر آخر انه صلى الله عليه وسلم قال ذاك ايام الهرج قيل وما ايام الهرج قال حين لا يأمن
الرجل جليسه وذكر ابن مسعود في خبر آخر للحارث بن عميرة انه قال له ان تدفع عن عمرك فسيأتي
عليك زمان كثير خطباؤه قليل علماؤه كثير سؤاله قليل معطوه والهوى فيه قائد
العلم قال ومتى ذلك قال اذا اميتت الصلوة وقبلت الرشى ويباع الدين بعرض يسير
من الدنيا فالنجا النجا ويحك ثم النجا فلعمري جميع ما ذكر في هذه الاخبار تراه
بعينك في زمانك واهله فانظر لنفسك ثم ان السلف الصالح رحمهم الله عنهم اجمعين اجمعوا
على التحذير من زمانهم واهله وآثروا العزلة وامروا بذلك وتواصوا به ولا تشك انهم كانوا ابصر
وانصح وان الزمان لم يتغير بعدهم الى خير مما كان بل اشر منه وامر وهو ما ذكر عن يوسف
بن اسباط انه سمع الثوري يقول والله الذي لا اله الا هو لقد حلت العزلة في هذا الزمان
قلت انا ولئن حلت في زمانه ففي زماننا وجبت وافترضت وعن سفيان الثوري ايضا رضي الله عنه

انه كتب

انه كتب الى عباد الخواص اما بعد فانك في زمان كان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يتعوذون بالله من ان يدركوه فيما
بلغنا ولهم من العلم ما ليس لنا فكيف بنا حين ادركناه على قلة العلم وقلة الصبر وقلة الاعوان
على الخير وكدر من الدنيا وفساد من الناس وان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال في العزلة
راحة من خلطاء السوء وفي مثل هذا قيل هذا الزمان الذي كنا نخوفه اعني قول كعب وعن قول
ابن مسعود ان دام هذا الامر ولم يحدث به غيرهم لم تبك على احد من اموات ولم تفرح لمولود ولقد
وجدت عن سفين بن عيينة انه قال للثوري اوصني قال اقلل معرفة الناس قلت رحمك الله
أليس قد جاء في الخبر اكثروا من معرفة المؤمنين فان لكل مؤمن شفاعة قال لا احسبك
رأيت قط ما تكره الا ممن تعرف قلت اجل ثم مات فرأيته بعد موته في المنام فقلت
يا ابا عبد الله اوصني قال اقلل معرفة الناس ما استطعت فان التخلص منهم شديد
وقد قيل في معنى الخبر وما زلت مذ لاح المشيب بمفرقي افتش عن هذا الورى واكشف فما
ان عرفت الناس الا ذممتهم جزى الله خيرا كل من لست اعرف وقال الفضيل بن عياض هذا زمان احفظ
لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر قال الثوري هذا زمان السكوت
ولزوم البيوت والرضاء بالقوت الى ان تموت وعن داود الطائي رحمه الله عليه صم الدنيا واجعل فطرك الآخرة
وفر من الناس فرارك من الاسد وعن ابي عبيد ما رأيت حكيما قط الا قال في عقيب
كلامه ان احببت ان لا تعرف فانت من الله على بال والاخبار في هذا الباب اكثر من ان يحتمله
هذا الكتاب وقد صنفنا كتابا مفردا وسميناه كتاب اخلاق الابرار والنجاة من الاشرار
فتقف عليه ترى العجب العجاب وللعاقل يكفيه اشارة والله ولي التوفيق والهداية بفضله

الخصلة الثانية التي تقتضي التفرد عن الناس في هذا الشأن ان الناس يفسدون
عليك ما يحصل لك من العبادة ان لم يعصم الله تعالى بسبب ما يعرض من تلطيخ دواعي الرياء
والتزين ولقد صدق يحيى بن معاذ رضي الله عنه حيث قال رؤية الناس بساط الرياء
وهؤلاء الزهاد قد خافوا على انفسهم من هذا المعنى حتى تركوا الملاقات والتزاور ولهذا كل

الله حرم بن حيان قال لاويس القرني يا اويس صلنا بالزيارة واللقاء قال اويس قد وصلتك
بما هو انفع لك منهما وهو الدعاء على ظهر الغيب لان الزيارة واللقاء يعرض فيهما التزين
والرياء وقيل لسليمان الخواص قدم ابراهيم بن ادهم افلا تأتيه قال لا لأن القى شيطانا
ماردا احب الي من لقائه فاستنكروا ذلك من قوله فقال اني اذا لقيته اخاف ان اتزين له
واذا لقيت شيطانا امتنع منه ولقد لقي شيخ الامام بعض العارفين فتذاكرا مليا
ثم دعوا في اخر حديثهما فقال للعارف ما اظن جلسته مجلسا انا ارجا من مجلس هذا
فقال له العارف لكن ما جلست مجلسا انا اخوف منه من مجلس هذا الست تعمد الى احسن حد
يثك وعلمك فتحدثني بها فتظهرها بين يديك وانا كذلك فوقع الرياء فيهما فبكا شيخ الامام مليا
ثم غشي عليه وكان بعد ذلك يتمثل بهذه الابيات يا ويلتي من موقف ما به اخوف من ان يعدل
الحاكم ابادر الله بعصيانه وليس لي من دونه مرحل يا رب عفوا منك عن مذنب اسرف الا انه
نادم فهذه حال اهل الزهد والرياضة في ملاقاتهم فكيف حال اهل الرغبة والبطالة بل حال
اهل الشر والجهالة واعلم ان الزمان قد اصبح في فساد عظيم واصبح الناس في شر كثير
فانهم يشغلونك عن عبادة الله حتى لا يكاد يحصل لك منها شيء ثم يفسدون عليك
ما حصل لك حتى لا يكاد يسلم لك منها شيء فلزمك العزلة والتفرد عن الناس والاستعانة
بالله من شر هذا الزمان واهله والله تعالى الحافظ بفضله ورحمته فان قيل فما حكم العزلة والتفرد
عن الناس فبين لنا حال طبقات الخلق فيها والحد الذي يجب منها فاعلم رحمك الله وايانا
ان الناس في الباب رجلان رجل لا حاجة للخلق اليه في علم وبيان حكم فالاولى بهذا الرجل التفرد عن
الناس فلا يلقاهم الا في جمعة او جماعة او عيد او حج او مجلس علم بالسنة او حاجة في معيشة
لا بد له من ذلك والا فيلزم بيته ويلزم كنه لا يعرف ولا يعرف فاما ان احب هذا الرجل
ان ينقطع عن الناس فلا يلقاهم في امر من الامور البتة من دين او دنيا او جماعة وجمعة
او عيد على ما يرى في ذلك من مصلحة وفراغة فانه لا يسعه ذلك الا باحد امرين اما ان يصير

الموضع

الى موضع لا يلزمه هناك هذه الفروض كرؤس الجبال وبطون الاودية ونحوها ولعل هذا احد الوجوه التي
دعت العباد الى تلك المواضع البعيدة عن الناس واما ان يتيقن بالحقيقة ان الضرر الذي
يلحقه في مخالطة الناس بسبب هذه الفروض اعظم من تركها فحينئذ يكون له عذر في ذلك ولقد
رايت انا بمكة حرسها الله بعض المشايخ المتفردين من اهل العلم وهو لا يحضر المسجد الحرام
في الجماعات مع قربه منه وسلامة حاله فعجبت ورثيت في ذلك يوما في حال ترددي اليه فذكر ما عنده
ما اشرنا اليه وهو انما نجد من الثواب لا يفي بما يلحقه من الاثام والتبعات في الخروج الى المسجد
الحرام ولقاء الناس قلت انا وجملة الامر فلا عيب على المعذور والله اعلم بالعذر وهو عليم
بذات الصدور ولكن الطريق العدل فيه هو الاول بان يشارك الناس في الجمعة والجماعات
وضروب الخيرات ويباينهم فيما سوى ذلك فان من احب الطريق الثاني بان ينقطع
عن الناس بمرة فسبيله الى الخروج الى موضع لا يتوجه عليه هذه الفروض فيها لان الطريق الثاني هو
ان يكون مع الناس في مصر واحد لا يحضر جماعة ولا جمعة لعذر يراه في ذلك من وزر او تبعة
عليه فانه يحتاج الى نظر دقيق وعوارض عظيمة حتى يسقط عنه ذلك فيه خطر من الغلط
فالاول لانه اسلم واحفظ له والله ولي الهداية بفضله واما الرجل الثاني فرجل يكون
قدوة في العلم بحيث يحتاج الناس اليه في امر دينهم لبيان حق او رد على مبتدع او دعوة الى خير
بفعل او قول او نحو ذلك فلا يسعه لهذا الرجل الاعتزال عن الناس بل ينصب نفسه بينهم ناصحا
لخلق الله ذابا عن دين الله مبينا لاحكام الله فلقد روينا عن رسول الله ص انه قال اذا
ظهرت البدع وسكت العالم فعليه لعنة الله هذا اذا كان بينهم واذا خرج من بينهم فلا يجوز له
ايضا ذلك ولقد حكي عن الاستاذ ابي بكر بن فورك انه قصد ان ينفرد بعبادة الله تعالى
عن الخلق فبينا هو في بعض الجبال اذ سمع صوتا ينادي يا ابا بكر اذا صرت من حجج الله على خلقه تركت
عباد الله فرجع وكان هذا سبب صحبته وذكر لي مامون بن احمد ان الاستاذ ابا اسحاق
قال لعباد جبل لبنان يا اكلة الحشيش تركتم امة محمد ص في ايدي المبتدعة واشتغلتم ها هنا

فصل

باكل الحشيش فقالوا له انا لانقوى على صحبة الناس وانما اعطاك الله قوة فيلزمك فلك
بعد ذلك كتاب الجلي والخفي وكان لهم رضي الله عنهم مع غزارة علمهم العمل الجم والنظر الدقيق
في سلوك طريق الآخرة فاعلم ان مثل هذا الرجل المحتاج اليه الناس في باب الدين يحتاج في صحبة الناس
الى الامرين شديدين احدهما صبر طويل وحلم عظيم ونظر لطيف واستعانة بالله دائمة
والثاني ان يكون في هذا المعنى متفردا عنهم وان كان بالشخص معهم فان كلموه كلمهم وان
زاروه عظمهم على قدرهم وشكرهم وان سكتوا عنه واعرضوا عنه استغنم ذلك منهم وان كانوا
في حق وخير ساعدهم وان صاروا الى لغو وشر خالفهم وهاجرهم بل رد عليهم وزجرهم
ان رجا قبولهم ثم يقوم بجميع حقوقهم من الزيارة والعيادة وقضاء الحاجة التي ترفع اليه
ما امكنه ولا يطالبهم بالمكافات ولا يرجو ذلك منهم ولا يريهم من نفسه استيحاشا لذلك
ويباسطهم بالبذل اذا قدر ويقبض عنهم في الاخذ ان اعطي ويحتمل منهم الاذى ويظهر لهم
البشر ويتحمل بظاهره لهم ويكتم حاجته عنهم فيقاسيها ويعالجها في سره وباطنه ثم يجعل
مع ذلك ان ينظر لنفسه خاصة فيجعل لها حظا من العبادة الى الصحة كما قال عمر ابن الخطاب رضي
الله عنه ان نمت الليل لاضيعن نفسي وان نمت النهار لاضيعن الرعية فكيف لي بالنوم
بين هاتين وفي هذا المعنى عرض لي ابيات من الشعر وهي ٥ ان كنت في هدي الائمة راغبا :.
فوطن على ان تركبك الوقائع ٥ بنفس وقور عند كل كريهة :. وقلب صبور وهو في الصدر
مانع ٥ لسانك مخزون وراسك حلم :. وسرك مكتوم لدى الرب ذائع ٥ وذكرك معمور وبابك
مغلق :. وثغرك بسام وبطنك جائع ٥ وقلبك مجروح وسوقك كاسد :. وفضلك مدفون وطعنك
شائع ٥ وفي كل وقت انت جارع غصة :. من الدهر والاخوان والغلب طائع ٥ نهارك شغل الناس
منة :. وليلك سوق غاب عنه الطائع ٥ فدونك صحو الليل خذه ذريعة :. ليوم عبوس [illegible]
فيه الزرائع ٥ نعم [illegible] بالنفس معهم وبالقلب ما ابعده عنهم وذلك لعمري امر شديد
وعيش نكد وفيه يقول شيخنا في وصيته يا بني عش مع اهل زمانك ولا تعتقد بهم ثم

قال ما

قال ما اشد هذا العيش مع الاحياء والاقتداء بالاموات وعن ابن مسعود رضي الله عنه
خالط الناس وزايلهم بدينك لا تكلمنه فهذه نكتة مقنعة ثم اقول اذا اصلح الفريق
بعضها في بعض وتراجع الامر ولو ان الناس عن امر الدين مدبرين لا يرقبون في مؤمن الا
ولا ذمة ولا يطلبون عالما ولا يرمقون مفيدا ولا يغنيهم امر دينهم البتة وترى الفتنة تعم
العامة وتدب بين الخاصة فللعالم عذر في العزلة والتفرد ودفن العلم واخفائه كما ذكرناه
هو بهذا الزمان النكد الصعب والله المستعان وعليه التكلان فهذا حكم العزلة والتفرد
عن الناس فافهم فان الغلط فيه عظيم وضرره كثير وبالله التوفيق فان قيل اليس قد روي
انه قال عليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة فان الشيطان ذئب الانسان ياخذ الشاة
والناحية والقاصية وقال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين ابعد فاعلم ان هذا
ورد وورد ايضا الزم بيتك وعليك بالخاصة وامر بالعزلة والتفرد في زمان السوء
ولا تناقض في قوله صلى الله عليه وسلم ولا بد من الجمع بين الخبرين بحول الله وقوته وتوفيقه فاقول قوله صلى الله عليه وسلم عليكم
بالجماعة يحتمل على ثلثة اوجه احدها يعني به في الدين والحكم اذ لا يجتمع هذه الامة على الضلالة
فخرق الاجماع والحكم بخلاف ما عليه الجمهور من الائمة والتشبث عنهم باطل وضلال فاما
ان يعتزل عنهم لصلاح في دينه فليس هذا من ذلك في شيء والثاني عليكم بالجماعة بان
لا ينقطعوا عنهم في جمعهم وجماعتهم ونحوها فان فيها قوة الدين وجمال الاسلام وغيظ الكفار
والملحدين ولا يخلو ذلك من بركات من الله ونظرته بالرحمة ولذلك نقول ان حق المنفرد ان
يشارك الناس في الجموع العامة في الخير وان يجانبهم في الصحبة والمزاحمة في سائر الامور وما فيها
من ضروب الآفات والثالثة ان ذلك في غير زمان الفتنة للرجل الضعيف في امر الدين واما الرجل
القوي في امر الله ثم اذا راى زمان الفتنة الذي حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم الامة منه وامرهم بالعزلة
فيه فالعزلة اولى لما في الخلطة من الفساد والآفة وان لا ينقطع من جموع الاسلام والجماعة
العامة فاما الا ان يتفرد عن الناس بمرة فيسكن شاهق الجبل او بطن فلاة للصلاح

براه في دينه ثم قلت لا ادري مثل هذا الرجل اينما كان الا ويمكنه الله من حضور الجماعة والجمعة
وسائر جموع الاسلام فيحضره لئلا يفوت الحظ فيها فان جموع الاسلام من الله تعالى
بمكان عال وان تغير الناس وفسدوا كما اسمعنا من حال الابدال انهم يحضرون جموع
الاسلام اينما كانت ويسيرون من الارض حيث شاءوا فان الارض لهم قدم واحد وفي
الاخبار ان الارض تطوى لهم وينادون بالتحيات ويتحفون بانواع البر والكرامات فهنيئا
لهم بما ظفروا به واحسن الله عزاء من غفل عن النظر في خلاص نفسه واعان الطالب
الذي لم يصل الى المقصود كامثالنا ولقد عرض لي في صفة حالي ابيات من الشعر وهي ظفر
الطالبون واتصل الوصل ۞ وفاز الاحباب بالاحباب ۞ وبقينا مذبذبين حيارى ۞ بين حد
الوصال والاجتناب ۞ نرتجي القرب بالبعاد وهذا ۞ نفس حال المحال بالالباب ۞ فاسقنا
منك شربة تذهب الغم ۞ وتهدي الى الطريق الصواب ۞ يا طبيب السقام يا مرهم الجرح ۞ ويا منقذا
من شرق الاوصاب ۞ فلنقبض الآن عنان الجنان ونرجع الى المقصود من شأن العزلة فقد
خرجنا عن شرط الباب فان قيل اليس قد قال النبي صلى الله عليه وسلم رهبانية امتي الجلوس في المساجد وفيه زجر
عن التفرد فاعلم ان ذلك في تجرده من الفتنة كما ذكرناه وايضا فانه يجلس في المسجد ولا يخالط الناس
ولا يباسطهم فيكون بالشخص معهم وبالمعنى منفردا وهذا هو المعنى في العزلة والتفرد الذي نحن
في شرحه لا التفرد بالشخص والمكان فافهم ذلك رحمك الله وفيه يقول ابراهيم بن ادهم رحمه
الله كن واحدا جامعيا ومن ربك ذا انس ومن الناس وحشيا فان قيل فما تقول في
مدارس علماء الآخرة ورباطات الصوفية سالكي طريق الآخرة والكون فيها فاعلم ان ذلك
الطريقة المثلى في هذا الشان لعامة اهل العلم والاجتهاد وذلك انها جمعت المعنيين
والفائدتين اللتين احدها العزلة عن الناس والتفرد عنهم بالصحبة وا
المخالطة والمناجنة في امورهم والثاني المشاركة معهم في جمعهم وجماعاتهم وتكثير شعائر
الاسلام فتحصل السلامة التي هي للمنفردين والخير الكثير الذي هو لعامة المسلمين معا

للناس

حال
للناس فيعم من الحق والبركة والنصيحة فصار الكون السكون فيها اعدل طريق واحسن
واسلم سبيل ولهذا الشان اقام اكثر العارفين بين الناس لنفعهم لعباد الله في باب الدين
وقلة اذاهم ومشاهدة الخلق لادابهم وحسن رسومهم ليقتدوا بهم فان لسان الحال افصح
من لسان المقال فصار ذلك احسن تدبير في امر الدين والعلم والعبادة واحكم راي فان قيل
فما حال المريد مع المجتهدين والمرتاضين ايصحبهم ام يفترق عنهم فاعلم انهم كانوا ثابتين
على رسومهم الاولة وسيرتهم الموروثة عن سلفهم فهم اجل اخوانه في الله عز وجل واصحابه
واعوانه على عبادة الله سبحانه فلا يسعك عنهم عزلة وتفرد وانما مثلهم مثل ما يسمع من زهاد
لبنان وغيرهم ان منهم جماعة يتعاونون بالبر والتقوى ويتواصون بالحق والصبر واما اذا
تغيروا وتركوا رسومهم وخلواطرائقهم الموروثة عن السلف الصالحين فحكم هذا المجتهد
المرتاض معهم كحكمه مع سائر الناس يلزم زاويته ويكف لسانه ويشاركهم في خيراتهم ويجانبهم
في سائر احوالهم وآفاتهم فيكون هو في عزلة من اهل العزلة متفردا من المتفردين فان
فان اختار هذا المجتهد المرتاض ان يخرج من بينهم الى مكان آخر لصلاح يراه في نفسه ويتجنب
آفة تدخل عليه في صحبتهم فاعلم ان هذه المدارس والرباطات بمنزلة حصن حصين يتحصن
بها المجتهد من القطاع والسراق وان الخارج الى الصحراء يحذر فيها فرسان الشياطين عسكرا
فتسلبه او تستاسره فكيف حاله اذا الى الصحراء وتمكن منه العدو من كل جانب يفعل به
ما يشاء فاذا ليس لهذا الضعيف الا لزوم الحصن واما الرجل القوي البصير الذي لا يغلبه
الاعداء واستوى عنده الحصن والصحراء فلا خرج عليه اذا خرج غير ان الكون في الحصن
احوط على كل حال اذ لا يؤمن به من الغلبات والاتفاقات مع قوة السالك اذا كان
الامر بهذه الجملة فالكون مع رجال الله والصبر على هذه الصحبة اولى للمرتاض وطالب الخير بكل حال
وان لا مانع للتقوى البالغ مبلغ الاستقامة عن التفرد منهم فاعلم هذه الجملة وتاملها
تغتنم وتسلم انشاء الله فان قيل فما تقول في زيارة الاخوان في الله تعالى ومواصلة الاصحاب

بالتلاقي والتذاكر فاعلم ان زيارة الاخوان في الله من جواهر عبادة الله تعالى وفيها الرغبة الكريمة
الى الله تعالى مع ما فيها من ضروب الفائدة وصلاح القلب ولكن بشرطين احدهما ان لا تخرج
في ذلك الى الاكثار والافراط قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي هريرة رضي الله عنه زر غبا تزدد
حبا والثاني ان يحفظ حق ذلك بالتجنب عن الرياء والتزين وقول اللغو والغيبة ونحو ذلك
فيعود عليك وعلى اخيك الوبال فلقد حكي ان الفضيل وسفيان تذاكرا فبكيا فقال
سفيان يا ابا علي ارجوا انا ما جلسنا مجلسا ارجى لنا من هذا فقال الفضيل ما جلست مجلسا
اخوف علي من هذا قال وكيف يا ابا علي فقال الست تعمد الى احسن حديثك فحدثتني
وانا اعمد الى احسن ما عندي فاحدثك فتزينت لي وتزينت لك فبكى سفيان فيجب
ان يكون مجالستك للاخوان وملاقاتهم على مقدار قصد واحتياط ونظر لطيف فلا يقدح
ذلك حينئذ في عزلتك وتفردك عن الناس ولا يعود عليكما وعلى اخيك بضرر وآفة بل بخير كثير ونفع
عظيم والله الموفق فان قلت فما يبعثني على العزلة عن الناس والتفرد ويهون علي ذلك فاعلم
ان الذي يهون عليك ذلك ثلثة امور احدها استغراق اوقاتك في العبادة فان في العبادة شغلا
وان الاستئناس بالناس من علامة الافلاس فاذا رأيت نفسك تتطلع الى ملاقات الناس
وكلامهم من غير حاجة وضرورة فاعلم ان ذلك فضول ساقه الفراغ والبطر ولقد احسن من قال
ان الفراغ الى سلمك قادني ولربما حمل الفضول الفارغ فاذا انت عانقت العبادة بحقها
ووجدت حلاوة المناجات واستأنست بكتاب الله واشتغلت عن الخلق واستوحشت
عن صحبتهم وكلامهم وفي الخبر ان موسى عليه السلام كان اذا رجع عن المناجات يستوحش عن الناس وكان يجعل
اصبعيه في اذنيه لئلا يسمع كلامهم وكان كلامهم عنده في النفور والوحشة في ذلك الوقت كاصوات الحمير
فحسبك بما قال شيخنا رحمه الله [illegible] صاحباه وذر الناس جانبا [illegible]
والثاني قطع الطمع منهم بحيث فيهون عليك امرهم انك من لا ترجو نفعه ولا تخاف ضره فوجوده وعدمه في
قلبك سواء والثالث تبصر آفاتهم وتذكرها وتكررها على قلبك فان هذه الاذكار

الثلثة

الثلثة اذا ادمتها طرحتك عن صحبة الخلق الى باب الله تعالى والتفرد لعبادته وحببته اليك
والزمتك بابه وبالله التوفيق والعصمة العائق الثالث الشيطان ثم عليك
يا انهما بمحاربة الشيطان وقهره وذلك لخصلتين احدهما انه عدو مضل لا مطمع فيه بمصالحة
واتقاء عليك بل لا يقنعه الا هلاكك اصلا فلا وجه اذا للامن من مثل هذا العدو والغفلة عنه و
تامل ايتين من كتاب الله سبحانه وتعالى احدهما قوله تعالى الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان
انه لكم عدو مبين والثانية قوله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وهذا اقصى
التحذير وغايته والخصلة الثانية انه مجبول على عداوتك ومنتصب ابدا لمحاربتك فهو
آناء الليل واطراف النهار يرميك بسهامه وانت غافل فكيف تكون الحال ثم وقعت لك
نكتة اخرى وهي انك في عبادة الله تعالى ودعوة الخلق الى باب الله تعالى بفعلك وقولك وهذا
ضد صنيع الشيطان وهمته ومراده وحرفته فصرت كانك قمت وشددت وسطك لتغايظ
الشيطان وتكايده وتناقضه فهو ايضا يشد وسطه ليعاديك ويقاتلك ويماكرك
حتى يفسد عليك بغيانك بل حتى يهلكك رأسا اذ لا يأمن من جانبك بعد فانه الذي يسعى
ويقصد بالهلاك الى من لا يناقضه ولا يغايظه بل يصادقه ويوافقه كالكفار واهل الضلالة
واهل الرغبة في بعض الاحوال فكيف تظن قصده لمن قام لمغايظته وتجرد لمناقضته فله اذا
مع سائر الناس عداوة عامة ومعك ايها المجتهد في العبادة والعلم عداوة خاصة وان امرك
له لمهم ومعه عليك اعوان اشدها نفسك وهواك وله اسباب ومداخل وابواب وانت عنها
غافل ولقد صدق يحيى بن معاذ رحمه الله حيث قال الشيطان فارغ وانت مشغول وهو يراك وانت
لا تراه وانت تنسى الشيطان وهو لا ينساك ومن نفسك للشيطان عليك عون فاذا لا بد من
محاربته وقهره والا فلا تأمن من الفساد والهلاك فان قلت فبأي شيء احارب
الشيطان وبماذا اقهره واقمعه فاعلم ان لاهل هذه الصناعة في هذه المسألة طريقين
احدهما ما قال بعضهم ان تصبر في دفع الشيطان الاستعاذة بالله لا غير فان الشيطان

كلبٌ سلّطه الله عليك وان اشتغلت بمحاربته ومعالجته تعبت وضاع عليك وقتك فربما
يظفر بك فيعقرك ويجرحك فان الرجوع الى رب الكلب ليصرفه عنك اولى الثاني
ما قال آخرون الطريق المجاهدة والقيام عليه بالدفع والرد والمخالفة قلت والذي عندي ان الطريق
العدل الجامع في امره ان نجمع بين الطريقين فنستعيذ بالله اولاً من شره كما امرنا الله وهو
الكافي شره ثم ان رأيناه يتغلب علينا علمنا انه ابتلاء من الله تعالى ليرى صدقنا بمجاهدتنا
وقوتنا في امره سبحانه وتعالى ويرى صبرنا كما انه يسلط الكفار علينا مع قدرته على كفاية امرهم
وشرهم ليكون لنا حظ من الجهاد والصبر والتمحيص والشهادة كما قال الله تعالى وليعلم
الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء وقال ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم ويعلم الصابرين فكذلك ثم ان محاربته وقهره فيما قال علماؤنا رحمهم الله في ثلثة
اشياء احدها ان تتعرف وتتعلم مكائده وحيلته فلا يتجسس حينئذ عليك كاللص
ما ذا علم ان صاحب الدار قد احس به فرّ والثاني ان تستخف بدعوته فلا تعلق قلبك
بذلك ولا تتبعه فانه بمنزلة الكلب النابح ان اقبلت عليه ولغى بك ولج وان اعرضت
عنه سكت والثالث ان تديم ذكر الله بلسانك وقلبك فلقد قال عم ان ذكر الله في جنب
الشيطان كالاكلة في جنب ابن ادم فان قلت فكيف نعلم مكائده فكيف الطريق الى معرفة ذلك
فاعلم ان له وساوس هي بمنزلة السهام التي يرميها وذلك انما يتبين لك بمعرفة الخواطر
واقسامها والثاني ان له حيلاً بمنزلة الشبكات التي نصبها وذلك يتبين لك بمعرفة المكائد
والوضايع ومجاريها ولقد ذكر علماؤنا رحمهم الله ابواباً في الخواطر وقد صنفنا كتاباً سميناه
تلبيس ابليس وكتابنا هذا لا يحتمل الاكثار ولكنا نذكر لك ان شاء الله من كل واحد منها
اصلاً كافياً اذا اعتصمت به فاما اصل الخواطر فاعلم ان الله تعالى وكّل بقلب ابن ادم ملكاً
يدعوه الى الخير يقال له الملهم ولدعوته الالهام وسلّط في مقابلته شيطاناً يدعو العبد
الى الشر يقال له الوسواس ولدعوته وسوسة والملهم لا يدعوه الا الى الخير والوسواس لا تدعو

الا الى الشر في قول اكثر علمائنا ولقد حكي عن شيخنا ان الشيطان ربما يدعو الى الخير وقصده
في ذلك الشر بان يدعوه الى المفضول ليمنعه عن الفاضل او يدعوه الى الخير ليجره الى ذنب عظيم
لا يفي خيره بذلك الشر من عجب او غيره فهذان داعيان قائمان يدعوانه وهو يسمع قلبه
ويحتج لذلك على ما روي في الاخبار انه اذا ولد لابن ادم مولود قرن الله تعالى به ملكاً وقرن
به شيطاناً فالشيطان جاثم على اذن قلب ابن ادم اليسرى والملك جاثم على اذن
قلبه اليمنى فهما يدعوانه وقال النبي صلعم للشيطان لمة بابن ادم وللملك لمة يعني نزلة
بالدعوة من قولهم لمّ بالمكان والمّ به اذا نزل به ثم ركب الله في بنية الانسان طبيعة مائلة
الى الشهوات ونيل اللذات كيف كانت من حسن او قبيح فذلك هو هوى النفس الصارفة
الى الآفات فهذه ثلث دعوات ثم اعلم بعد هذه المقدمة ان الخواطر هي آثار تحدث في قلب
العبد تبعثه على الافعال والترك وتدعوه اليها وسميت خواطر لاضطرابها من خطرات الرمح الريح
او نحوه وحدوثها جميعاً في قلب العبد بالحقيقة من الله تعالى لكنها اربع منها ما يحدثه
الله تعالى في القلب ابتداء فيقال له الخاطر فقط وقسم يحدثه موافقا لطبع الانسان يقال
له هوى النفس وينسب اليه وقسم يحدثه عقيب دعوة الملهم فينسب اليه ويقال له الالهام
وقسم يحدثه عقيب دعوة الشيطان فينسب اليه فيقال له الوسوسة وتنسب اليه بانها خواطر
من الشيطان وانما هي بالحقيقة حادثة عند دعوته فهي كالسبب في ذلك ولكنها تنسب اليه
فهذه اربعة اقسام من الخواطر ثم اعلم بعد هذا التقسيم ان الخاطر الذي من قبل الله سبحانه تعالى
ابتداء قد يكون بخير اكراماً والزاماً للحجة وقد يكون بشر امتحاناً وتغليظاً للمحنة والخاطر
الذي يكون من قبل الملهم لا يكون الا بخير لانه ناصح مرشد لم يرسل الا لذلك والخاطر الذي من
قبل الشيطان لا يكون الا بشر اغواء واستدلالا وربما يكون بالخير مكراً واستدراجاً والخاطر
الذي يكون من قبل هوى النفس يكون بالشر وربما لا خير فيه تمنعاً وتعسفاً ولقد وجدت عن
بعض السلف ان هوى النفس ايضا قد تدعو الى خير والمقصود منه شر كالشيطان فهذه انواعها

ثم بعد هذا انك محتاج الى معرفة ثلثة فصول لابد لك منها البتة وفيها المقصود احدها
الفرق بين خاطر الخير وخاطر الشر في الجملة والثاني الفرق بين خاطر شر ابتدائي او هوائي
او شيطاني وبماذا يفرق بينهما فان لكل واحد منها دفقا من نوع آخر والثالث
الفرق بين خاطر خير ابتدائي او الهامي او شيطاني لتتبع ما يكون من الله او من الملهم
وتجتنب ما يكون من الشيطان وكذلك الهوائي على قول من يقول به فاما الفصل الاول
قال علماؤنا رحمهم الله اذا اردت ان تعرف خاطر الخير من خاطر الشر وتفرق بينهما باحد الموا
زين الاربعة فتبين لك حاله فالاولى ان تعرض الامر الذي خطر ببالك على الشرع فان وافق
جنسه فهو خير وان كان بالضد برخصة او شبهة فهو شر فان لم يتبين لك بهذا الميزان
فاعرضه على الاقتداء فان كان في فعله اقتداء بالصالحين فهو خير وان كان بالضد من
اتباع الصالحين فهو شر فان لم يتبين لك بهذا الميزان فاعرضه على النفس والهوى
فانظر ان كان مما تنفر عنه النفس نفرة الطبع لا نفرة خشية وترهيب فاعلم انه خير وان كان
مما تميل اليه النفس ميل طبع وحيلة لا ميل رجاء الى الله تع وترغيب فهو شر اذ النفس لامارة
بالسوء لا تميل باصلها الى خير فاحفظ هذه الموازين اذا نظرت وانعمت النظر يتبين
لك خاطر الخير من خاطر الشر والله تع ولي الهداية بفضله انه جواد كريم واما الفصل الثاني
اذا اردت ان تفرق بين خاطر شر يكون من قبل الشيطان وبين خاطر شر يكون من هوى
النفس او من الله تع ابتداء فانظر فيه ثلثة اوجه احدها ان وجدته مصمما ثابتا على
حالة واحدة فهو من الله تع او من هوى النفس وان وجدته مترددا ومضطربا
فاعلم انه من الشيطان احفظ وكان بعض العارفين يقول مثل هوى النفس مثل النمر اذا غار
لا ينصرف الا بقمع بالغ وقهر ظاهر اذ مثل المحارب الذي يقاتل تدينا لا يكاد يرجع حتى يقتل
ومثل الشيطان مثل الذئب اذا طردته من جانب دخل من جانب آخر وثانيها ان و
جدته عقيب ذنب احدثته فهو من الله تع اهانة وعقوبة لشوم ذلك الذنب

قال الله تع

قال الله تع كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قال الشيخ الامام هكذا ادى الذنوب الى
قسوة القلب اولها خاطر ثم تؤدي الى قسوة والرين وان كان هذا الخاطر ابتداء لا عقيب
ذنب كان منك فاعلم انه من قبل الشيطان هكذا في الاكثر يبتدئ بدعوة الشر ويطلب
الاغواء بكل حال وثالثها ان وجدته لا يضعف ولا يقل بذكر الله ولا يزول فهو من الهوى
وان وجدته يضعف ويقل بذكر الله سبحانه فهو من الشيطان كما ذكر في تفسير قوله من شر
الوسواس الخناس ان الشيطان جاثم على قلب ابن ادم اذا ذكر الله تع خنس واذا غفل
وسوس واما الفصل الثالث اذا اردت ان تفرق بين خاطر خير يكون من الله سبحانه وما
يكون من الملك فانظر في ذلك ثلثة اوجه احدها ان كان قويا مصمما فهو من الله سبحانه
وان كان مترددا فهو من الملك اذ هو بمنزلة ناصح يدخل معك من كل جانب ووجه ويعرض عليك
كل نصح رجاء اجابتك ورغبتك في الخير والثاني منها ان كان عقيب اجتهاد منك وطاعة
فهو من الله تع قال الله تع والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا والذين اهتدوا
زادهم هدى وان كان مبتدأ فهو من الملك في الاغلب والثالث منها ان كان في الاصول
والاعمال الباطنة فهو من الله سبحانه وان كان في الفروع والاعمال الظاهرة فهو من الملك
في الاكثر اذ الملك لا سبيل له الى معرفة باطن العبد في قول اكثرهم واما الخاطر الذي يكون من
قبل الشيطان استدراجا الى شر يربى عليه فلقد قال شيخنا رحمه الله انظر ان وجدت
نفسك في ذلك الفعل الذي خطر بقلبك مع نشاط لا مع خشية ومع عجلة لا مع تأني ومع
امن لا مع خوف ومع عمى العاقبة لا مع بصيرة فاعلم انه من الشيطان فاجتنبه وان وجدت
نفسك على ضد ذلك مع خشية لا مع نشاط ومع تأني لا مع عجلة ومع خوف لا مع امن ومع بصارة
العاقبة لا مع عمى فاعلم انه من الله او من الملك قلت ان النشاط فكان خفة في الانسان
للفعل من غير بصيرة وذكر ثواب ينشطه واما التأني فمحمود الا في مواضع معدودة وذكرت
في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم العجلة من الشيطان الا في خمسة تزويج البكر اذا ادركت

وقضاء الدين اذا وجب وتجهيز الميت اذا مات وقرى الضيف اذا نزل . والتوبة من الذنب اذا اذنب

واما الخوف فيحتمل ان يكون في اتمامه واداۂه على وجهه وحقه وقبول الله تعـ اياه واما العاقبة بان يصبر ويتيقن انه خير ورشد ويكتفى لرؤية الثواب في العقبى ورجائه فاعلم ذلك موفقا فهذه جملة الفصول الثلاثة التى لزمتك معرفتها في فصل الخواطر فارعها وانعم النظر فيها ما استطعت فانها من العلوم اللطيفة والاسرار الشريفة في هذه الباب والله الموفق بفضله

واما فصل الحيل والمخادعات من الشيطان فهى ذلك وتمامه ان مكائد الشيطان مع ابن ادم في الطاعة في سبعة اوجه احدها ان ينهاه فان عصمه الله تعـ رده بان قال انى لمحتاج الى ذلك جدا اذ لا بد لى من التزود من هذه الدنيا الفانية للاخرة التى لا انقضاء لها ثم يامره بالتسويف فان عصمه الله تعـ رده بان قال ليس اجلى بيدى على انى ان سوفت عمل اليوم الى غد فبعمل الغد متى اعمله فان لكل يوم عملا ثم يامره بالعجلة فيقول له عجل عجل لتفرغ لكذا وكذا فان عصمه الله تعـ رده بان قال قليل العمل مع التمام خير من كثير مع الانتقاص ثم يامره باتمام العمل مراءاة للناس فان عصمه الله تعـ رده بان قال ايش احمل بمراءاة الناس افلا تكفينى رؤية الله تعـ ثم يريد ان يوقعه في العجب فيقول لها اعظمك وما ايقظك فان عصمه الله تعـ رده بان قال المنة لله تعـ في ذلك دونى فهو الذى حصنى بتوفيقه وجعل لعملى قيمة بفضله ولولا فضله فما ذا كان قيمة هذا العمل في نعم الله على وجنب معصيتى ثم يأتيه من وجه سادس وهو اعظمها ولا يعوق عليه الا متيقظ وهو ان يقول اجتهد انت في الستر فان الله تعـ سيظهره عليك ويلبس على كل عامل عمله واراد به ان يكون ضربا من الرياء فان عصمه الله تعـ رده بان قال يا ملعون الى الان كنت معى من وجه افساد عملى والان تأتينى من جهة اخلاصه لتفسده انما انا عبد الله تعـ وهو سيدى ان شاء اظهر وان شاء اخفى وان شاء جعلنى خطيرا وان شاء جعلنى حقيرا وذلك اليه وما ابالى ان يظهر ذلك للناس ثم يأتيه من جهة سابع ويقول لك لا حاجة لك الى هذا العمل لانك ان خلقت

لا يعسر ولا تعسر وتمم وسهل اتمامه

سعيدا لم يضرك ترك العمل وان خلقت شقيا لم ينفعك فان عصمه الله تعـ رده بان قال انما انا عبد وعلى العبد امتثال الامر لعبوديته والرب اعلم بحوبيه بربوبيته يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد الا انه ينفعنى العمل كيف ما كنت لانى ان كنت سعيدا احتج اليه لزيادة الثواب وان كنت شقيا فانا محتاج اليه كى لا الوم نفسى على ان الله تعـ لا يعاقبنى على الطاعة بكل حال ويضرنى على انى ان دخلت النار وانا مطيع احب الى من ان ادخلها وانا عاص فكيف تركت ووعده حق وقوله صدق وقد وعد على الطاعة بالثواب فمن لقى الله تعـ على الايمان والطاعة لن يدخل النار البتة ودخل الجنة لا لاستحقاقه بعمله الجنة ولكن لوعد الله الصادق ولهذا المعنى اخبر الله تعـ عن السعداء اذ قالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده فتيقظ رحمك الله فان الامر كما ترى وتسمع وقس عليه سائر الافعال والاحوال واستعين بالله تعـ واستعذ به فان الامر بيده ومنه التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

العائق الرابع النفس ثم عليك يا طالب العبادة عصمك الله وايانا بالحذر من هذه النفس الامارة بالسوء فانها اعز الاعداء وبلاؤها اصعب البلاء وعلاجها اعسر الاشياء وداؤها اعضل الداء ودواؤها اشكل الدواء وانما ذلك لامرين احدهما انها عدو من داخل واللص اذا كان في داخل البيت عزت الحيلة فيه وعظم ضرره ولقد صدق القائل بقوله

نفسى الى ما ضرنى داعى ... تكثر اسقامى واوجاعى

فكيف احتيالى من عدوى اذا ... كان عدوى بين اضلاعى

والثانى انها عدو محبوب والانسان عمى من عيب محبوبه ولا يكاد يبصر عيبه كما قال القائل

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... ولكن عين السخط تبدى المساويا

فاذا يستحسن الانسان من نفسه كل قبيح ولا يكاد يطلع على عيبها لعدو في عداوتها واضرارها فيا اوشك ان تو قعه في فضيحة وهلاك وهو لا يشعر الا ان يحفظ الله تعـ ويعين عليها ثم اقول تأمل ايها الرجل نكتة واحدة مقنعة وهى اذا نظرت وجدت اصل كل فتنة وفضيحة وخزى وهلاك وذنب وافة وقع في خلق الله من اول الخلق

الى يوم القيامة من قبل هذه النفس اما بعا وخدها واما بعونها ومشاركتها ومساعدتها

فاول المعصية لله تعالى كان من ابليس وكان سببه بعد القضاء السابق هوى النفس بكبرها
وحسدها الفتنة بعد عبادة ثمانين الف سنة فيما قيل في بحر الضلال والهلاك
يغرق الى ابد الآبدين اذ لم يكن هنالك دنيا ولا خلق ولا شيطان بل كانت بكبرها وحسدها
فعلت به ما فعلت ثم زلة آدم وحوى عليهما السلام وطرحتهما شهوة النفس في ذلك
بحرصهما على البقاء والحيوة حتى اغترا بقول ابليس فكان ذلك اذا بجون النفس وشركتها
حتى سقط بذلك من جوار الله تعالى وقرار الفردوس دار اخرج الى هذه الدنيا الحقيرة النكدة
الفانية المهلكة ولقي ما لقي ولقي اولاده ما لقوا من ذلك اليوم الى ابد الآبدين ثم حديث قابيل
وهابيل كان السبب فيه امرها الحسد والشح ثم هاروت وماروت كان السبب في شانهما الشهوة
ثم هلم جرا الى يوم القيمة ثم لا تجد في الخلق من سلامة وخير اذا كان عدو بعض النفس كله فحق للعاقل
ان يهتم بامره والله تعالى ولي التوفيق والهداية بفضله فان قلت فما الحيلة اذا في هذا العدو وما
التدبير في امره فبين لنا ذلك فاعلم انا ذكرنا فيما تقدم ان امرها عسير وصعب اذ لا يمكن
قهرها بمرة كسائر الاعداء اذ هي المطية والالة وقيل ان اعرابيا دعا للانسان بخير فقال كبت الله
لكل عدو الا نفسك ولا يمكن استيصالها بمرة لمكان ضررها فتحتاج الى طريق بين طريقين تسخير
وتقويه بقدر ما تحتمل فعل خير ثم تضعفها وتحبسها على حد لا تتمادى فانت في امرها في علاج
شديد ونظر لطيف ثم قد ذكرنا في امرها انه يلجمها بلجام التقوى والورع لتحصيل الخير
كلاتيهما جميعا فان قيل ان هذه دابة جموح وبهيمة صعبة شكسة لا تنقاد للجام فما الحيلة فيها
تمكننا منها فاعلم انك فيها الصادق والحيلة تذليلها حتى تنقاد للجام قال علماؤنا رضي الله
عنهم انما تذلل النفس وتكسر هواها بثلثة اشياء احدها منع الشهوة فان الدابة الحرون
تلين اذا حبس ونقص من علفها والثاني حمل اثقال العبادات عليها فان الحمار اذا زيد
في حمله مع نقصان علفه تذلل وانقاد والثالث الاستعانة بالله والتضرع اليه بان يعينك والا

فلا يخلص

فلا تخلص اما تسمع قول يوسف عليه السلام ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي فاذا واظبت
على هذه الامور الثلثة انقادت لك النفس الجموح باذن الله عز وجل فحينئذ تبادر الى ان تملكها
وتلجمها وتامن من شرها فان قلت فبين الآن بما هو التقوى حتى نعلمه فاعلم اولا ان التقوى
كنز عزيز فلئن ظفرت به فكم تجد فيه من جوهر شريف وعلق نفيس وخير كثير ورزق كريم
وفوز كبير وغنم جسيم وملك عظيم فكان خير الدنيا والاخرة جمعت وجعلت تحت هذه
الخصلة الواحدة التي هي التقوى وتامل ما في القرآن من ذكرها كم علق بها من خير وكم وعد
عليها من ثواب وكم اضاف اليها من سعادة وانا اعد لك من جملتها اثنا عشر خصلة
اولها المدحة والثناء قوله تعالى وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور والثاني الحفظ
والحراسة من الاعداء قال الله تعالى وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا والثالث التاييد والنصرة
قال الله تعالى ان الله مع الذين اتقوا وقال الله تعالى والله مع المتقين والرابع النجاة من الشدائد
والرزق من الحلال قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب
والخامس اصلاح العمل قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم
والسادس غفران الذنوب قال الله تعالى يغفر لكم ذنوبكم والسابع محبة الله تعالى قال الله تعالى ان الله
يحب المتقين والثامن القبول قال الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين والتاسع الاكرام والاعزاز
قال الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقيكم والعاشر بشارة عند الموت قال الله تعالى الذين امنوا وكانوا
يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة والحادي عشر النجاة من النار قال الله تعالى ثم ننجي الذين
اتقوا وقوله تعالى وسيجنبها الاتقى الذي والثاني عشر الخلود في الجنة قال الله تعالى اعدت للمتقين فهذه
كل خير وسعادة في الدارين تحت هذه التقوى فلا تنس نصيبك ايها الرجل منها ثم الذي يختص به
هذا الشان من علم العبادة ثلثة اصول احدها التوفيق والتاييد اولا وهو للمتقين كما قال
الله تعالى ان الله مع المتقين والثاني اصلاح العمل واتمام التقصير وهو للمتقين كما قال الله تعالى
يصلح لكم اعمالكم والثالث قبول العمل وهو للمتقين كما قال الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين

ومدار العبادة على هذه الامور الثلثة التوفيق اولاً حتى يعمل ثم الاصلاح
حتى يتم ثم القبول اذا تم وهذه الخصلة الثلثة التي يتضرع فيها العابدون الى الله سبحانه
ويسئلون فيقولون ربنا وفقنا لطاعتك واتمم تقصيرنا وتقبل منا وقد وعد الله ذلك
كله على التقوى واكرم بها المتقي سأل اولم يسأل فعليك بهذه التقوى ان اردت عبادة الله
سبحانه بل ان اردت سعادة الدنيا والعقبى ولقد صدق القائل ؞ من اتقى الله فذاك الذي
سيق اليه المتجر الرابح ٥ وكتب بعضهم هذا البيت لايتبع المرء ؞ الى قبره غير التقوى والعمل الصالح ٥
وقال آخر من عرف الله فلم تغنه ؞ معرفة الله فذاك الشقي ٥ مايصنع العبد بغير التقى ؞
والعز كل العز للمتقي ٥ وكتب بعضهم على بعض القبور ليس زاد سوى التقى ؞ فخذ منه او دع ٥
ثم تأمل اصلاً واحداً وهو انك قد تعبت جميع عمرك في العبادة وجاهدت وكابدت حتى
حصل لك ما تمنيت اليس الشأن كله في القبول وقد علمت ان الله تعالى يقول انما يتقبل الله من المتقين
فرجع الامر كله الى التقوى ولذلك روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت ما اعجب رسول الله
صلى الله عليه وسلم بشيء من الدنيا ولا اعجبه احد الا ذو تقى وعن قتادة انه قال مكتوب في التورية يا ابن ادم
اتق الله ونم حيث شئت وبلغنا عن عامر بن عبد القيس انه بكى عند موته وكان يصلي
كل يوم وليلة الف ركعة ثم يأوي الى فراشه فيقول يا مأوى كل شر والله ما رضيتك لله
تعالى طرفة عين وبكى يوماً فقيل له ما يبكيك فقال قوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين ثم تأمل
نكتة اخرى وقيل اصل الاصول وهي ما ذكر ان بعض الصالحين قال لبعض اشياخه اوصني بوصية
فقال اوصيك بوصية الله رب العالمين للاولين والاخرين قوله تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله قلت اليس الله سبحانه اعلم بصلاح العبد من كل
احد اوليس انصح له وارحم وارأف من كل احد ولو كان في العالم خصلة هي اصلح للعبد
واجمع للخير واعظم للاجر واجل في العبودية واعظم للقدر واولى بالحال وانجح للآمال
هذه الخصلة التي هي التقوى لكان الله تعالى قد امر بها عباده واوصى خواصه بذلك لكمال

حكمته

حكمة وسعة رحمته فلما اوصى بهذه الخصلة الواحدة وجمع الاولين والاخرين من عباده في ذلك
واقتصر عليها فعلمت انها الغاية التي لا متجاوز عنها ولا منفعة دونها وانه تعالى قد جمع كل
نصح ودلالة وارشاد وتنبيه وتأديب وتهذيب في هذه الوصية الواحدة كما يليق بحكمته ورحمته
وعلمت ان هذه الخصلة التي هي التقوى هي الجامعة لخير الدنيا والاخرة الكافية لجميع المهمات المبلغة
الى اعلى الدرجات في العبودية وهذا اصل لا مزيد عليه وفيه كفاية لمن ابصر النور واهتدى كما
وعمل بذلك فاستغنى والله ولي التوفيق بفضله فان قلت لقد عظم قدر هذه الخصلة
وجل موقعها واشتدت الحاجة الى معرفتها فلابد الان من تفصيلها فاعلم ان الامر
كذلك فحق لها ان يجل قدرها ويلزم طلبها وتمس الحاجة الى علمها ولكنك تعلم ان كل خطير
وكبير يحتاج في اجتلابه الى طلب كثير وتعب كبير وهمة عالية وجهد شديد فاذا علمت ان هذه
الخصلة خصلة عظيمة كبيرة فالمجاهدة في طلبها والقيام بحقها والعناية في تحصيلها
ايضا لفضل كبير وشأن عظيم فان المكارم على حسب المكاره وان اللذات على حسب المؤنات
وان الله تعالى على حسب المؤنات والله تعالى يقول والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فان الله
الرؤف الرحيم الذي بيده تيسير كل عسير فاستمع وتنبه وتفهم لحد بيان هذه الخصلة حتى
تعلمها ثم تشمر للقيام بها واستعن بالله تعالى حتى تعمل بما تعلم فان الشأن كله في ذلك
والله تعالى ولي الهداية بفضله فنقول اعلم اولاً ان التقوى في قول شيوخنا رحمهم الله هو تبرئة
القلب عن ذنب لم يسبق عنك مثله حتى يحصل للعبد من قوة العزم على تركها وقاية بينه وبين
المعاصي هكذا قال شيخنا رحمه الله وذلك ان اصل لفظ التقوى في اللغة وهو الوقوى بالواو
وهو مصدر الوقاية يقال وقى يقي وقاية ووقوى فابدلت عن الواو تاء كما في التكلان
في الوكلان والتكلان ونحوها فقيل تقوى فاذا ما حصلت وقاية بين العبد وبين المعاصي
من قوة عزمه على تركها وتوطين قلبه على ذلك فيوصف حينئذ بانه متق ويقال
لذلك التنزيه والعزم والتوطين تقوى والتقوى في القرآن ينطلق على ثلثة اشياء احدها

بمعنى الخشية والهيبة قال الله تع واياى فاتقون وقال واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله **والثاني**
بمعنى الطاعة والعبادة قال الله تع يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته قال ابن عباس رضي
الله عنه واطيعوا الله حق طاعته وقال مجاهد ان يطاع فلا يعصى وان يذكر فلا ينسى وان
يشكر فلا يكفر **والثالث** بمعنى تبرئة القلب عن الذنوب فهذه الحقيقة في التقوى دون الاولين
الا ترى ان الله تع يقول ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون
ذكر الطاعة والخشية ثم ذكر التقوى فعلمت ان حقيقة التقوى معنى سوى الطاعة والخشية وهي
تبرئة القلب على ما ذكرنا ثم قالوا رحمهم الله منازل التقوى ثلثة تقوى عن الشرك وتقوى
عن البدعة وتقوى عن المعصية الفرعية ولقد ذكرها الله تع في اية واحدة وهو قوله تع ليس
على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا
وامنوا ثم اتقوا واحسنوا **والتقوى الاولى** عن الشرك والايمان الذي في مقابلته التوحيد **والتقوى
الثانية** عن البدعة والايمان الذي ذكر معها اقرار عقود السنة والجماعة **والتقوى الثالثة** عن المعاصي
الفرعية ولا اقرار في هذه المنزلة فقابلها بالاحسان وهي الطاعة والاستقامة عليها فيكون
منزلة مستقيم الطاعة فان الاية جمعت ذكر المنازل الثلثة منزلة الايمان ومنزلة السنة
ومنزلة استقامة الطاعة فهذا ما قال العلماء في بيان معنى التقوى **قلت** انا وجدت التقوى
بمعنى اجتناب فضول الحلال وما روي في الخبر المشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انما سمي المتقون
لتركهم ما لا باس به حذرا عما به باس فاحببت ان اجمع بين ما قاله علماؤنا وبين ما جاء في الخبر
عن النبي صلى الله عليه وسلم فيكون حدا جامعا ومعنى بالغا فقلت التقوى هو اجتناب كل ما تخاف منه ضررا
في دينك الا ترى انه يقال للمريض المحتمي يتقي اذا اجتنب كل شيء يضره في بدنه من طعام
او شراب او فاكهة او غيرها ثم الذي يخاف منه الضرر في امر الدين قسمان محض الحرام والمعصية
وفضول الحلال لان الاشتغال فيه يستجر صاحبه الى الحرام ومحض العصيان وذلك لشره النفس
وطغيانها وتمرد الهوى وعصيانها فمن اراد ان يامن من الضرر في امر دينه اجتنب

عن الخطر

عن الخطر فامتنع عن فضول الحلال حذرا ان يجره الى محض الحرام على ما قال صلى الله عليه وسلم يعني لتركهم ما لا باس
به حذرا عما به باس يعني لتركهم فضول الحلال حذرا عن الوقوع في الحرام فالتقوى البالغة الجامعة
اجتناب كل ما فيه ضرر لامر الدين وهي المعصية والفضول هذا تفصيلها **واما** اذا اردنا تحديدها
على موضع علم الشرع فنقول حد التقوى الجامع تبرئة القلب عن شر لم يسبق عنك
مثله بقوة العزم على تركه حتى يصير ذلك وقاية بينك وبين كل شر **ثم** الشرور ضربان شر اصلي
وهو كل ما نهي عنه كالمعاصي المحضة وشر غير اصلي وهو ما نهي عنه تاديبا وهو فضول
الحلال كالمباحات الماخوذات بالشهوات **فالاول** تقوى فرض يلزم بتركها عذاب النار **والثاني**
تقوى خير وادب يلزم بتركها الحبس والحساب والتعيير واللوم فمن اتى بالاولى فهو في درجة
الادنى من التقوى وهي بمنزلة مستقيم الطاعة ومن اتى بالاخرى فهو في الدرجة الاعلى
من التقوى وذلك منزلة مستقيم المباح فاذا جمع العبد بينهما باجتناب كل معصية وفضول
فقد استكمل معنى التقوى وقام بحقها وجمع كل خير فيها وهذا هو الورع الكامل الذي هو ملاك
امر الدين وذلك بمنزلة الادب بباب الله سبحانه فهذا معنى التقوى وبيانها في الجملة فافهم
موفقا ان شاء الله تع **فان قلت** ففصل لي الان هذا المعنى في النفس واستعماله فيها
فان الجملة جاءت من هنالك لنعلم كيف نلجم هذه النفس بهذا المعنى الذي فصلت من حقيقة التقوى
فاقول اجل نعم انما تفصيله في امر هذه النفس ان تقوم عليها بقوة العزم فتمنعها عن كل معصية
وتصونها عن كل فضول فاذا فعلت ذلك كنت قد اتقيت الله تع في عينك واذنك ولسانك و
قلبك وبطنك وفرجك وجميع اركانك فالجمتها بلجام التقوى ولهذا الباب شرح طويل وقد
اليه في كتاب احياء علوم الدين **واما** الذي لا بد منها هنا ان تقول من اراد ان يتقي انه تعالى يراعي
الاعضاء الخمسة فانهن الاصول وهي العين والاذن واللسان والقلب والبطن
فيحرص عليها بالصيانة لها عن كل ما يخاف منه ضررا في امر الدين من معصية وحرام وفضول
واسراف في حلال واذا حصل صيانة هذه الاعضاء فمرجو ان يكون سائر اركانه ويكون

قد قام بالتقوى الجامعة بجميع بدنه لله تعالى فدعت الحاجة الى بيان خمسة فصول لهذه الاعضا
وتفصيل ما يحرم في حق كل واحد منها على ما يليق بهذا الكتاب **الفصل الاول في العين**
ثم عليك وفقك الله وايانا بحفظ العين فانها سبب كل فتنة واذكر في امرها ثلثة اصول
كافية **احدها** ما قال الله سبحانه قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك
ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون واعلم اني تاملت هذه الاية فاذا فيها مع قصرها ثلثة
معان عزيزة تأديب وتنبيه وتهديد **فاما** التأديب قوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم
ولا بد للعبد من امتثال امر السيد والتأدب بادبه والا فيكون سيئ الادب يحجب فلا يأذن له
في حضور المجلس والمثول بالحضرة فافهم هذه النكتة وتامل ما تحتها فان فيها ما فيها **واما**
التنبيه فقوله تعالى ذلك ازكى لهم وينطلق على معنيين والله اعلم **احدهما** اي ذلك اطهر لقلوبهم
والزكوة الطهارة والتزكية التطهير **والثاني** ذلك انمى لخيرهم واكثر لان الزكوة في الاصل النمو
فتنبه على ان في غض البصر تطهير القلب وتكثير الطاعة والخير وذلك انك ان لم تغض بصرك
وارسلته عنانها تنظر الى ما لا يعنيك فلا تخلوا اما ان تقع عينك على حرام فان تعمدت
فذنب كبيرة وربما تعلق قلبك بذلك فتهلك ان لم يرحم الله تعالى ولقد روي ان العبد
لينظر نظرة ينغل فيها قلبه كما ينغل الاديم في الدباغ لا ينتفع به ابدا فان كان مباحا
فربما يشتغل قلبك به فيجيء الوسواس والخواطر ولعلك لا تصل اليه فتبقى مشغول
القلب منقطعا عن الخير وان كنت لم تر ذلك فقد كنت مستريحا عن ذلك كله وفي هذا المعنى
ذكر عيسى عم وعلى نبينا صم اياكم والنظرة فانها تزرع في القلب الشهوة وكفى لصاحبها
فتنة وقال ذو النون نعم عون حاجب الشهوات غض الابصار ولقد احسن القائل يقول
شعر وانت اذا ارسلت طرفك رائدا ٭ لقلبك يوما اتعبتك المناظر ٥ رايت الذي
لا كله انت قادر عليم ٭ ولا عن بعضه انت صابر ٥ فاذا ما كنت غاض البصر والطرف
حافظا للعين لا تنظر الى ما لا يعنيك ولا تهمك كنت نقي الصدر فارغ القلب مستريحا

عن كثيرا

عن كثير من الوسواس سالم النفس عن الافات متزايدا للخيرات فتنبه بهذه النكتة
الجامعة والله عز وجل الموفق بمنه **واما** التهديد قوله تعالى ان الله خبير بما يصنعون
وقال يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وكفى بها تحذيرا لمن خاف مقام ربه
فهذا اصل واحد من كتاب الله تعالى عز وجل **الاصل الثاني** ما روي عن رسول الله صلعم
ان النظر الى محاسن المراة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها اذاقه الله طعم
عبادة تسره وان وجدان حلاوة العبادة ولذة المناجاة من العابدين بمكان وهذا
شيء مجرب علمه وتحققه من عمل به لانه اذا امتنع عن النظر الى ما لا يعنيه يجد لذة العبادة
وحلاوة الطاعة وللقلب صفوة لم يجدها قبل ذلك **الاصل الثالث** ان تنظر الى كل عضو
من اعضائك يصلح لماذا وينتظر له ماذا فعلى حسب ذلك تصونه وتحفظه فالرجل للمشي
في رياض الجنة وقصورها واليد لكاس الشراب وتناول الثمار وكذلك في سائر الاعضاء
فالعين انما هي للنظر الى رب العالمين سبحانه وليس في الدارين كرامة اجل واكبر
من ذلك فحقيق لشيء ينتظر ويرجى له مثل هذه الكرامة ان يصان
ويحفظ ويعز ويكرم فهذه الاصول الثلثة اذا احسنت التامل فيها كفتك المؤنة
في هذا الفصل والله ولي التوفيق **الفصل الثاني في الاذن** فعليك بصيانة
سمعك عن الخناء والفضول وذلك لامرين **احدهما** لما روي ان المستمع شريك المتكلم وفي
ذلك قيل ٭ تحر من الطريق اوسطها ٭ وعد عن الجانب المشتبه ٥ وسمعك صن عن سماع
القبيح ٭ كصون اللسان عن النطق به ٥ فانك عند سماع القبيح ٭ شريك لقائله
فانتبه ٥ **والثاني** ان ذلك يهيج الخواطر والوسواس في القلب ثم من ذلك يبعد الاشتغال
في البدن فما يبقى للعبادة شيء **ثم اعلم** واما الكلام الذي يقع في قلب الانسان ويسمعه بمنزلة
الطعام الذي يقع في جوفه فمنه الضار ومنه النافع ومنه الغذاء ومنه السم بل ان
بقاء الكلام وتجرعه اكثر وابلغ فان الطعام يزول عن المعدة بنوم وغيره وربما يبقى اثره زمانا

ثم يزول الضرر وله دواء يزيل اثره من نفس الانسان واما كلام الذى وقع فى قلب الانسان
بما يبقى جميع عمره ولا ينساه فان كان شيئا رديا فلا يزال يبغضه ويبغضه و
بسببه خواطر فى القلب ووساوس يحتاج الى ان يعرض عنها ويعدل عنها بقلبه
عن تفكرها ويستعيذ بالله تعالى من شرها ولا يامن ان يحمله على بلية ويحركه حتى يقع
اخر الامر فى افة عظيم بسبب ذلك ولو كنت حفظت سمعك عما لا يعنيك كنت عن هذه المؤنة
مستريحا فلينظر العاقل فى ذلك وبالله التوفيق الفصل الثالث فى اللسان ثم عليك
بحفظ اللسان وضبطه وقيده فانه اشد الاعضاء جماحا وطغيانا واكثرها فسادا و
عدوانا ولقد روينا عن سفيان بن عبد الله انه قال قلت يا رسول الله ص ما اكثر ما تخاف على
فاخذ عليه السلام بلسان نفسه ثم قال هذا وعن يونس بن عبيد قال انى وجدت نفسى تحتمل
مؤنة الصوم فى الحر الشديد بالبصرة ولا تحمل ترك كلمة لا تعنيها فعليك اذا بالتحفظ جدا وبذل
المجهود وتذكر خمسة اصول احدها ما روى ابو سعيد الخدرى رض ان ابن ادم
اذا اصبح تشكو الاعضاء كلها الى اللسان وقلن ننشدك الله لتستقيم فانك اذا استقمت استقمنا
فان اعوججت اعوججنا قلت والمعنى فيه والله اعلم ان نطق اللسان يؤثر فى اعضاء الانسان با
لتوفيق والخذلان ويؤكد هذا المعنى ما حكى عن مالك بن دينار انه قال اذا رايت قساوة
فى قلبك ووهنا فى بدنك وحرمانا فى رزقك فاعلم انك قد تكلمت فيما لا يعنيك والاصل الثانى
حفظ وقتك فان اكثر ما يتكلم به الانسان من غير ذكر الله فعلى الاقل يكون لغوا يضيع به الوقت
وذكر ان حسان بن سنان مر على غرفة بنيت فقال مذكم بنيت هذه ثم اقبل على نفسه وقال
يا نفس المغرورة تسئلين عما لا يعنيك وعاقبها بصوم سنة قلت فيا طوبى للمهتمين بانفسهم
ويا ويح للغافلين الذين خلعوا العذار وارخوا العنان والله المستعان ولقد صدق القائل شعر
واذا هممت بالنطق فى الباطل فاجعل مكانه تسبيحا واغتنم ركعتين فى ظلمة الليل اذا كنت
فارغا مستريحا والاصل الثالث حفظ الاعمال الصالحة فان من لم يصن لسانه واكثر كلامه

يتردد

علوا

حممت بالنطق

ولزوم السكوت خير من النطق
وان كنت فى الكلام فصيحا

للطاعة
يقع لا محالة فى غيبة الناس كما قيل من كثر لفظه كثر سقطه والغيبة هى الصاعقة المهلكة
على ما قيل ان مثل من يغتاب الناس مثل من نصب منجنيقا يرمى حسناته شرقا وغربا وبلغنا
عن الحسن انه قيل له يا ابا سعيد ان فلانا اغتابك فبعث اليه بطبق فيه رطب وقال بلغنى انك
اهديت الى حسناتك فاحببت ان اكافيك وذكر الغيبة عند ابن المبارك فقال لو كنت مغتابا
لاغتبت امى لانها احق بحسناتى وذكر انه فات حاتم الاصم ليلة القيام فعيرته زوجته
فقال ان اقواما صلوا بالليل البارحة فلما اصبحوا اكلونى فتكون صلوتهم يوم القيمة فى ميزانى
والاصل الرابع السلامة من آفة الدنيا تجلب فوجدت له حمية على ما قال سفيان لا تتكلم
بلسانك ما تكسر اسنانك وقال آخر لا تبسطن لسانك فيفسد عليك شانك احفظ لسانك
لا تقول فتبتلى ان البلاء موكل بالنطق ولابن المبارك احفظ لسانك ان اللسان سريع الى المرء
فى قتله اخى وان للسان دليلا بالفؤاد دليل الرجال على عقله وعن ابن المطيع لسان المرء
ليث فى كمين اذا خلى عليه له اغاره فصنه عن الخناء بلجام صمت يكن لك من بليات ستاره
وفى المثل السائر رب كلمة تقول لصاحبها دعنى والاصل الخامس ذكر آفة الآخرة وعاقبتها واذكر
فيه نكتة واحدة وهى انه لا يخلو اما انك تقول قولا محظورا حراما او قولا مباحا من فضول لا
يعنيك وان كان محظورا ففيه عذاب الله عز وجل الذى لا طاقة لك به ولقد روينا عن رسول الله
انه قال ليلة اسرى بى فنظرت فى النار فرايت قوما ياكلون الجيف قلت يا جبرائيل من هؤلاء قال
هؤلاء الذين ياكلون لحوم الناس ولقد قال ص لمعاذ اقطع لسانك عن حملة القران وطلاب العلم
ولا تمزق الناس بلسانك فتمزقك كلاب النار وعن ابى قلابة ان الغيبة خراب القلب
من الهدى فنسأل الله تعالى العصمة من ذلك بفضله هذا فى الكلام المحظور واما المباح
ففيه اربعة امور احدها شغل الكرام الكاتبين بما لا خير فيه ولا فائدة فحق للمرء ان يستحيى
منهما فلا يؤذيهما قال الله سبحانه وتعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد والثانى ارسال
كتاب الى الله تعالى من اللغو والهذر فليحذر العبد من ذلك وليخش الله عز وجل وذكر ان

بعضهم نظر الى رجل يتكلم بالخنا فقال يا هذا ويحك انما تملي كتابا الى ربك فانظر ما تملي والثالث قراته بين يدي الملك الجبار يوم القيمة على رؤس الاشهاد بين الشدائد والاهوال عطشان عريان جيعان منقطعا عن الجنة محرومًا عن النعمة والرابع اللوم والتعيير لما ذا قلت وانقطع الحجة والحياء من رب العالمين وقد قيل اياك والفضول فان حسابه يطول وكفى بهذه الاصول واعظا لمن اتعظ وقد بسطنا في كتاب اسرار معاملة الدين ما فيه مقنع فانظر فيه تجد الشفاء ان شاء الله تعالى الفصل الرابع في القلب واصلاحه ثم عليك بحفظ القلب وصلاحه فانه اشد الاعضاء وصلاحه وحسن نظر في ذلك وبذل المجهود فانه اعظم هذه الاعضاء خطرا واكثرها اثرا وادقها امرا واشقها اصلاحا واذكر فيه خمسة اصول مقنعة الاول قوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وقوله تعالى انه عليم بذات الصدور رحم ذكره وكرره في القران وكفى باطلاع العليم الخبير تحذيرا وتهديدا للخواص من العباد دلالة المعاملة مع علام الغيوب خطرة فانظر ماذا يعلم من قلبك والاصل الثاني قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لا ينظر الى صوركم وابشاركم انما ينظر الى قلوبكم فان القلب اذا موضع نظر رب العالمين فيا عجبا ممن يهتم بوجهه الذي هو منظر الخلق فيغسله وينظفه من الاقذار والادناس ويزينه بما امكنه كيلا يطلع مخلوق منه على عيب ولا يهتم بقلبه الذي هو موضع رب العالمين فيطهره ويزينه كيلا يطلع الرب جل ذكره على دنس فيه وشين وافة وعيب بل يهمله بفضائح واقذار وقبائح لو اطلع عليها الخلق لهجروه على واحدة منها وتبرؤا منه وطردوه والله المستعان والاصل الثالث ان القلب ملك مطاع ورئيس متبع والاعضاء كلها له تبع فاذا صلح المتبوع صلح التابع واذا استقام الملك استقامت الرعية وتبين ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الا ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد بها الجسد الا وهي القلب واذا كان صلاح الكل في ذلك وجب صرف العناية اليه والاصل الرابع ان القلب خزانة كل جوهر نفيس وكل معنى

خطير

خطير اولها العقل واجلها معرفة الله تعالى عز وجل التي هي سبب سعادة الدارين ثم البصائر التي بها التقدم والوجاهة عند الله عز وجل ثم النية الخالصة في الطاعة التي بها يتعلق ثواب الابد ثم انواع العلوم والحكم التي هي شرف العبد وسائر الاخلاق الشريفة والخصال التي بها يحصل تفاضل الرجال على ما فصلنا وشرحنا في كتاب اسرار معاملة الدين وحق لمثل هذه الخزانة ان تحفظ وتصان عن الادناس والافات وتحرس وتحرز عن السراق والقطاع وتكرم وتجل بضروب الكرامة لئلا يلحق تلك الجواهر العزيزة دنس ولا يظفر عدو بها والعياذ بالله الاصل الخامس اني تاملت في حال القلب فوجدت له خمسة احوال ليست لغيره من اعضاء ابن ادم احدها ان العدو قاصد اليه مقبل مرتمه فان الشيطان جاثم على قلب ابن ادم فهو منزلة الالهام والوسوسة يقرعانه ابدا بالدعوتين ابدا الملك والشيطان والثاني ان الشغل له اكثر فان الهوى والعقل كلاهما فيه فهو معترك العسكرين الهوى وجنوده والعقل وجنوده فهو اذا بين تجاذبهما ولقائهما وتناقضهما وحق بالشغل ان يحرس ويحصن ولا يغفل ويغضل والثالث ان العوارض له اكثر فان الخواطر له كالسهام لا تزال تقع فيه كالمطر لا تزال تمطر عليه ليلا ونهارا لا تنقطع ولا انت تقدر على منعها فتمنع وليس بمنزلة العين التي بين جفنتين تغمض فتستريح او تكون في موضع خال او ليل مظلم فتكفى رؤيتها او اللسان الذي هو وراء الحجابين الاسنان والشفتين وانت قادر على منعه وتسكينه بل القلب غرض للخواطر لا يقدر على منعها والتحفظ منها بحال ولا انها تنقطع عنك بوقت ثم النفس سارعة الى اتباعها والامتناع عن ذلك في مجهود الطاقة امر شديد ومحنة عظيمة والرابع ان علاجه عليك عسير اذ هو غيب عنك فلا تكاد تشعر حتى تدب فيه افة وتعرض له حالة فتحتاج الى ان تبحث عن ذلك ثم البحث بطول الجهد ودقيق النظر وكثرة الرياضة والخامس ان الافات اليه اسرع فهي الانقلاب اقرب ولقد قيل ان القلب اسرع انقلابا من القدر في غليانها ولذلك قيل ما سمي القلب الا من تقلبه وان اي تغير به بالانسان اطول الا ثم ان هذا القلب

والعياذ بالله فزلته اعظم ووقوعه اصعب وافظع أدناه فسوق ويل الى غير الله سبحانه
ومنتهاه ختم ونكر بالله نعم اما تسمع قوله تعـ ابى واستكبر وكان الكبر بقلبه فحمله على الاباء
والكفر بظاهره اما تسمع قوله تعـ ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فكان الميل واتباع
الهوى بقلبه فحمله على ذلك الذنب المشئوم بنفسه اما تسمع قوله تعـ ونقلب افئدتهم وابصارهم
كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ولهذا المعنى ايها الرجل خاف
عباد الله تعـ الخواص على قلوبهم وبكوا عليها وصرفوا عنايتهم اليها قال الله سبحانه
في وصفهم يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار جعلنا الله واياكم من المعتبرين المتنبهين
بمواضع الخطر الموفقين لاصلاح قلوبهم بحسن النظر انه ارحم الراحمين فان قيل ان امر هذا القلب
لمهم جدا فاخبرنا عن المعاني التي تصلحه وعن الافات التي تعترضه فتفسده عسى ان نوفق
للاجتهاد في العمل بذلك يقال له اعلم ان تفصيل هذه المعاني لطويل لا يحتمله هذا الكتاب وانما
بعلماء الاخرة يحثوا باستخراج ذلك وتصنيفه في هذه النكتة لا غير وقد ذكروا فيما يحتاج
اليه من ذلك نحوا من سبعين خصلة محمودة وفي اضدادها المذمومة ثم من الافعال والمباح
عن الواجبة والمحظورة ونحو ذلك في سائر تفاصلها ولعمري ان من اهم امر دينه وانتبه من رقدة
الغافلين فنظر لنفسه فلا يكون تحصيل جميع ذلك والعمل به عليه كثيرة اذا وفقه الله تعـ
وقد ذكرنا نبذة منها في شرح عجايب القلب من كتاب احياء علوم الدين واتينا على شرح
جميعها بتفاصيلها وكيفية علاجها في كتاب اسرار معاملات الدين وهو كتاب مستقل بنفسه
بذاته عظيم الفائدة ولا ينفع به الا فحول العلماء الراسخين في علم الاخرة وموضوع هذا الكتاب
ان ينتفع به المبتدي والمنتهي والقوي والضعيف فنظرنا في الاصول التي لا بد من ذكرها في علاج القلب
والحاجة اليها ثابتة ولا غنية عنها البتة في شأن العبادة وفي حدها اربعة امور وهي
حصن العابدين وافات المجتهدين وهي فتن القلوب وبليات النفوس تعوق وتشين وتفسد
وتتلف واربعة في مقابلتها فيها قوام العباد وانتظام العبادة واصلاح القلوب

والافات الاربع

والافات الاربع الامل والاستعجال والحسد والكبر والمناقب الاربع قصر الامل
والتأني في الامور والنصيحة للخلق والتواضع والخشوع فهذه هي الاصول
في صلاح القلوب وفسادها والنكتة التي عليها المدار فليبذل المجهود في التحرز
من هذه الافات والتحصيل لهذه المناقب لتكفى المؤنة وتظفر بالمقصود ان شاء الله تعـ
وسنخبرك من هذه الافات بكلمات وجيزة مقنعة اما طول الامل فانه العائق عن كل
خير وطاعة الجالب لكل شر وفتنة فانه الداء العضال الذي يوقع الخلق في انواع البلايا
واعلم انه اذا طال املك هاج لك منه اربعة اشياء احدها ترك الطاعة والكسل فيها تقول
سوف افعل والايام بين يدي ولا يفوتني ذلك ولقد صدق داود الطائي رحمه الله حيث قال من
خاف الوعيد قرب عليه البعيد ومن طال امله ساء عمله قال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله
الامل قاطع من كل خير والطمع مانع من كل حق والصبر صائر الى كل ظفر والنفس داعية الى كل شر
والثاني ترك التوبة وتسويفها يقول سوف اتوب وفي الايام سعة وانا شاب وسني قليل
والتوبة بين يدي وانا قادر عليها متى رمتها وربما يغتاله الحمام على الاصرار فاختطفه الاجل
قبل اصلاح العمل والثالث الحرص على الجمع والاشتغال بالدنيا عن الاخرة يقول اخاف الفقر في
الكبر وربما اضعف عن الاكتساب ولا بد لي من شيء فاضل اذخره لمرض او هرم او فقر
هذا ونحوه مما يحرك الى الرغبة في الدنيا والحرص عليها والاهتمام للرزق يقول ايش اكل
وايش البس وهذا الشتاء وهذا الصيف ومالي شيء ولعل يطول العمر فاحتاج والحاجة مع
الشيب شديدة ولا بد من قوة وغنية من الناس هذه واشكالها تحرك الى طلب الدنيا والرغبة
فيها والجمع لها والمنع لما عندك منها واقل ما في الباب يشغل قلبك ويضيع عليك وقتك
ويكثر همك وغمك بلا فائدة ولا طائل على ما روي عن ابي ذر رضه انه قال قتلني هم يوم لم ادرك
قيل وكيف ذلك يا ابا ذر قال ان املي جاوز اجلي والرابع القسوة في القلب والنسيان للاخرة
لانك اذا املت العيش الطويل لا تذكر الموت والقبر كما قال علي ابن ابي طالب رضه اخوف

ما اخاف عليكم اثنتان طول الامل واتباع الهوى الا وان طول الامل ينسي الاخرة واتباع الهوى
يصدك عن الحق فاذا اشتغل قلبك بما صار فكرك ومعظم قلبك في حديث الدنيا واسباب
العيش في صحبة الخلق ونحو ذلك فيقسو القلب من هذه وانما رقة القلب وصفوته انما
هو بذكر الموت والقبر والثواب والعقاب واحوال الاخرة فاذا لم يكن شيء من ذلك فمن
اين يكون قلبك رقة وصفوة قال الله تعالى فطال عليهم الامد فقست قلوبهم ولانك اذا
طولت املك قلت طاعتك وتاخرت توبتك وكثرت معصيتك واشتد حرصك وقسا
قلبك وعظمت غفلتك عن العاقبة فذهبت آخرتك والعياذ بالله ان لم يرحم الله تعالى
فاي حال اسوء من هذه واي آفة اعظم من هذه وكل هذا بسبب طول الامل فاما ان
قصرت املك وقربت من نفسك موتك وتذكرت حال اقرانك اخوانك الذين غافصهم
الموت في وقت لم يحتسبوا ولعل حالك مثل احوالهم احذري يا نفس المغرور واذكري ما قال
عون بن عبد الله رحمه الله : كم من مستقبل يوما لم يستكمله ٥ وكم منتظر غدا لم يدركه ٥
لو رأيتم الاجل ومسيره ٥ لابغضتم الامل وغروره ٥ اما سمعت قول عيسى ابن مريم
عليه السلام الدنيا ثلاثة ايام امس مضى ما بيدك منه شيء وغدا لا تدري اتدركها
ام لا ويوم انت فيه فاغتنمه ثم قول ابي رضي الدنيا ثلاث ساعات ساعة مضت وساعة
انت فيها وساعة لا تدري اتدركها ام لا فلست تملك بالحقيقة الا ساعة واحدة
اذ الموت من ساعة الى ساعة ثم يقول شيخنا رضي الدنيا ثلاثة انفاس نفس مضى عملت فيه ما
عملت ونفس لا تدري اتدركه ام لا اذ كم من تنفس نفسا ففاجاءه الموت قبل نفس الاخر
فلست تملك الا نفسا واحدا لا يوما ولا ساعة فبادر في هذه النفس الواحد الى طاعة الله تعالى
قبل ان تموت والى التوبة فلعلك في النفس الثاني تموت ولا تهتمي يا نفس بالرزق فلعلك
لا تبقين لتحتاج اليه فيكون وقتك ضائعا والهم فضلا وما عسى ان يهتم الانسان بالرزق
ليوم واحد او ساعة واحدة او نفس واحد الم تذكري قال النبي عم لاسامة الا تعجبون من

اسامة

اسامة المشتري الوليدة يصبر الى شهرين ان اسامة لطويل الامل والله ما وضعت
قدما فظننت اني ارفعها وما لقمت لقمة فظننت اني اسيغها حتى يدركني الموت والذي
نفسي بيده انما توعدون لآت وما انتم بمعجزين فاذا انت ايها الرجل تذكرت من هذه الاذكار
وواظبت على ذلك بالاعادة والتكرار يقصر املك باذن الله تعالى فحينئذ ترى نفسك
تبادر الى الطاعات وتعجل توبتك فتسقط عنك معصيتك وتزهد في الدنيا وطلبها
فيخف عليك حسابك وتبعتك ويقع قلبك في تذكر الآخرة واهوالها وما هو الا
من نفس الى نفس تصير اليها وتعاينها واحدا فواحدا فتزول عنك القسوة وتبدو لك الرقة
والصفوة وتستشعر عند ذلك الخوف من الله تعالى والخشية فيستقيم لك امر عبادتك وتقوى
الرجاء في ان تستعد في عاقبتك وتظفر بالمراد في آخرتك وكل ذلك بعد فضل الله بسبب
هذه الخصلة التي هي قصر الامل ولقد حكي ان زرارة بن اوفى رحمه الله قيل له في النوم بعد موته
اي الاعمال ابلغ عندكم قال الرضا وقصر الامل فانظر لنفسك ايها الاخ فابذل المجهود في هذا
الاصل الكبير فانه الاهم والاعظم في صلاح القلب والنفس والله تعالى ولي التوفيق بفضله ورحمته

واما الحسد فانه المفسد للطاعة الباعث على الخطيئات وانه الداء الذي يبتلى به الكثير
من القراء والعلماء فضلا عن العامة والجهلاء حتى اهلكهم واوردهم النار اما تسمع قول رسول الله عم
ستة يدخلون النار بستة الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالكبر والتجار بالخيانة
واهل الرساتيق بالجهل والعلماء بالحسد فان بلية بلغ شومها الى العلماء حتى اوردتهم النار
لحقيق ان يحذر منها **واعلم** ان الحسد يهيج خمسة اشياء **احدها** افساد الطاعات قال رسول
الله عم الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب **والثاني** فعل المعاصي والشرور على ما قال
وهب رحمه الله تعالى الحاسد ثلث علامات يتملق اذا شهد ويغتاب اذا غاب ويشمت بالمصيبة
قلت حسبك ان الله تعالى امر بالاستعاذة عن الحسد ومن شر حاسد اذا حسد
كما امر بالاستعاذة من شر الشيطان والساحر فانظر كم له من الشر والفتنة حتى امر به

منزلة الشيطان والساحر حتى ان لا يستعان عليه ولا يستعاذ الا بالله رب العالمين
والثالث التعب والهم من غير فائدة بل كل وزر ومعصية كما قال ابن السماك لم ار ظالما
اشبه بالمظلوم من الحاسد نفس دائم وعقل هائم وغم لازم والرابع عمى القلب حتى
لا يكاد يفهم حكما من احكام الله تعالى عز وجل فلقد قال سفيان الثوري عليك بطول الصمت
تملك الورع ولا تكن حريصا على الدنيا تكن حافظا ولا تكن طعانا تنج من السن الناس ولا
تكن حاسدا تكن سريع الفهم والخامس الحرمان والخذلان فلا يكاد يظفر بمراد ولا ينصر
على عدو كما قال حاتم الطغاني غير ذي دين والعائب غير عابد والنمام غير مأمون والحسود
غير منصور قلت الحسود كيف يظفر بمراده ومراده زوال نعمة الله من عباده المسلمين وكيف
ينصر على اعدائه وهم عباد الله المؤمنون ولقد احسن ابو يعقوب فيما قال اللهم صبرا على تمام
النعم على عبادك وحسن احوالهم وان الحسد داء يفسد عليك الطاعة ويكثر شرك ومعصيتك
ويمنعك راحة النفس وفهم القلب والنصر على الاعداء والظفر بالمطلوب فاي داء يكون اردأ
منه فعليك بمعالجة نفسك من ذلك والله تعالى ولي التوفيق واما الاستعجال فانه الخصلة
المفوتة للمقاصد الموقعة في المعاصي وان منها تتبدو اربع آفات احدها ان يقصد العابد
منزلة الى خير والاستقامة ويجتهد فربما يستعجل في نيلها وليس ذلك بوقتها فاما ان يفتر
ويأيس ويترك الاجتهاد فيحرم تلك المنزلة واما يغلو في الجهد واتعاب النفس فينقطع
عن تلك المنزلة فهو بين افراط وتفريط وكلاهما نتيجة الاستعجال ولقد روينا عن رسول الله
انه يقول ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى وفي المثل
السائر ان لم تستعجل تصل ولقد قال القائل وقد يكون المتأني مدركا بعض حاجة
وقد يكون مع المستعجل الزلل والثانية ان يكون للعابد حاجة فيدعو الله تعالى فيها ويكثر
الدعاء ويجد فربما يستعجل الاجابة في غير وقتها ولا يجدها فيفتر ويسأم ويترك الدعاء فيحرم
حاجته ومقصوده والثالثة ان يظلمه انسان فيغيظه فيعجل بالدعاء عليه فيهلك مسلم

بسببه

بسببه وربما يتجاوز عن الحد فيقع بسببه في معصية وهلاك قال الله سبحانه ويدعو الانسان بالشر دعاءه
بالخير وكان الانسان عجولا والرابعة ان اصل العبادة ومبناها الورع والورع اصله النظر
البالغ عن كل شيء والبحث التام عن كل شيء هو بصدده من اكل وشرب ولبس وكلام وفعل
فاذا كان الرجل مستعجلا في الامور غير متأن فيها غير متبين لم يقع منه تورع ونظر في الامور
كما يجب ويسارع الى كل كلام فيقع في الزلل والى كل طعام فيقع في الحرام والشبهة وكذلك في كل
امر فيفوته الورع واي خير في عبادة بلا ورع واذا كان في خصلة الاستعجال الانقطاع
عن منازل الخير وحرمان الحاجات واهلاك المسلمين وهلاكه ثم خطر فوت الورع الذي هو راس
المال فحق للانسان ان يحكم لها بالادالة واصلاح النفس بعدها والله الموفق بفضله ومنه
واما الكبر فانه الخصلة المهلكة رأسا اما تسمع قوله تعالى ابى واستكبر وكان من
الكافرين وليست هذه الخصلة بمنزلة سائر الخصال التي تقدح في عمل وتفرع بفرع انما تقدح
بالاصل وتقدح في الدين والاعتقاد واذا قربت وغلبت لا يتدارك والعياذ بالله ثم
اقل ما يهيج منها على صاحبها اربع آفات احدها حرمانه الحق وعمى القلب عن معرفة آيات
الله تعالى وفهم احكامه قال الله تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال
الله تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار والثانية المقت والبغض من الله تعالى انه
لا يحب المستكبرين وروي ان موسى عليه السلام قال يا رب من ابغض خلقك اليك قال من تكبر قلبه وغلظ
لسانه وصفق عينه وبخلت يده وساء خلقه والثالث الخزي والنكال في الدنيا والاخرة قال
حاتم رضي اجتنب ان يميتك ربك الموت على ثلاثة على الكبر والحرص والخيلاء فان المتكبر
لا يخرجه الله تعالى من الدنيا حتى يريه الهوان من اراذل اهله وخدامه والحريص لا يخرجه الله
تعالى من الدنيا حتى يحوجه الى كسرة او شربة ولا يجد مساغا والمختال لا يخرجه الله تعالى من الدنيا
حتى يمرغه ببوله وقذره وقيل من تكبر بغير حق اورثه الله ذلا بحق والرابعة النار
والعذاب في العقبى على ما روي ان الله تعالى يقول الكبرياء ردائي والعظمة ازاري

فمن نازعني في واحد منهما ادخلته نار جهنم والمعنى ان العظمة والكبرياء من الصفات التي تختص بي ولا ينبغي لاحد غيري كما ان رداء الانسان وازاره يختص به لا يشاركه فيه وان الكبر خصلة يفوتك معرفة الحق وفهم ايات الله تعالى واحكامه التي هو اصل الامر كله ثم يثمر لك المقت من الله تعالى والخزي في الدنيا والنار في الاخرة لا يسع للعاقل ان يغفل عن ذلك في نفسه فلا يصلحها بازالتها بالحذر والتحرز عنها والاستعاذة بالله تعالى وحسب للعاقل واحدة منها فضلًا عن الكل اذا اهمه امر قلبه وتحامى عن امر دينه والله الموفق

فان قلت فاذا كان الامر بهذه المنزلة من افات هذه الخصال ولزوم التحفظ منها فلا بد من معرفة حقيقتها وحدها فبين لنا ذلك لنعرف فنلحق الطريق الى التحفظ عنها فاعلم ان في كل واحد منها كلامًا كثيرًا واشبعنا القول في كتاب الاحياء والاسرار ونحن نذكر ههنا ما لا بد من ذكره ولا يقع الغناء عنه فنقول وبالله التوفيق اما الامل قال اكثر علمائنا رضي الله عنهم انه ارادة الحياة للوقت المتراخي بالحكم وقصر الامل ترك الحكم فيه بان يقيده بالاستثناء بمشية الله تعالى وعلمه في الذكر او بشرط الصلاح في الارادة فاذا ان ذكرت حياتك باني اعيش بعد نفسي ثان او ساعة ثانية او يوم ثان بالحكم والقطع فانت امل وذلك منك معصية اذ هو حكم على الغيب فان قيدته بالمشية والعلم من الله تعالى وتقول اعيش ان شاء الله او ان علم الله ان اعيش فقد خرجت عن حكم الامل ووصفت بقصر الامل وكذلك ان اردت حياتك للوقت الثاني قطعًا فانت امل وان قيدت ارادتك بشرط الصلاح خرجت عن حكم الامل ووصفت بقصر الامل من حيث تركت الحكم فيه فعليك بترك الحكم في ذكر البقاء وارادته والمراد بالذكر ذكر القلب ثم المراد منه التوطين على ذلك وتثبيت القلب عليه فافهم راشدًا ان شاء عز وجل ثم الامل ضربان امل العامة وامل الخاصة فامل العامة ان تريد الحيوة والبقاء لجمع الدنيا والتمتع بها وهذه معصية محضة وضدها قصر الامل قال الله تعالى ويلهيهم الامل فسوف يعلمون وامل الخاصة ان تريد البقاء لاتمام عمل خير فيه خطر وهو ما لا يستيقن الصلاح فيه فانه ربما يكون خيرًا

معينًا

معينًا لا يكون للعبد فيه او في اتمامه صلاح بان يقع بسببه في الخير وانه لا يقوم بها هذا الخير فاذن ليس للعبد اذا ابتداء في صلوة وصوم او غيره ان يحكم بانه يتمه اذ هو غيب ولا ان يقصد ذلك قطعًا لانه ربما لا يكون له فيه صلاح بل يقيد ذلك بالاستثناء وبشرط الصلاح لتخلص من عيب الامل قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدًا الا ان يشاء الله وضد هذا الامل فيما قال العلماء النية وانما قالوا ذلك على ضرب من الاتساع لان الناوي بالنية المحمودة يكون ممتنعًا من الامل فهذا حكم الامل والنية المحمودة اذ قد مست الحاجة اليها والى معرفتها مع انها اصل الاصيل قالوا النية في حدها التام الجامع ان النية الصحيحة المحمودة ارادة احد عمل مبتداءً به قبل سائر الاعمال بالحكم مع ارادة اتمامه بالتفويض والاستثناء فان قيل فلم جاز الحكم في الابتداء ووجب التفويض والاستثناء في الاتمام يقال له لفقد الخطر في الابتداء اذ هو في حال الابتداء ليس بشيء متراخ عنك ولثبوت الخطر في الاتمام اذ هو يقع في وقت متراخ ففيه الخطران الخطر الوصول لا تدري هل تصل الى ذلك ام لا وخطر الفساد لا تدري هل في ذلك صلاح ام لا فاذًا وجب الاستثناء لخطر الوصول والتفويض لخطر الفساد فاذا حصلت الارادة على هذه الشروط تكون حينئذ نية محمودة خارجة عن حد الامل وآفته فتامل جدًا فهذه هذه واعلم ان حصن قصر الامل ذكر الموت وحصن حصينه ذكر مفاجأة الموت واخذه على غفلة وغرة وهو في غرور وفتور فاحتفظ بهذه الجملة وحصلها موفقًا فان اليها الحاجة ماسة ودع عنك تضييع الوقت في القيل والقال وما هي حاجة الرجال والله الموفق بفضله واما الحسد فهو ارادة زوال نعمة الله تعالى عن اخيك المسلم بما له فيه صلاح فان لم ترد زوالها ولكن تريد لنفسك مثلها فهو غبطة وعلى هذا يحمل قوله عليه السلام لا حسد الا في اثنين الخبر اي لا غبطة الا في ذلك فعبر عن الغبطة بالحسد اتساعًا لتقاربهما فان لم يكن له فيها صلاح فاردت زوالها عنه فذلك غيرة ايضًا فهذا الفرق بين هذه الخصال واما ضد الحسد النصيحة

وهي ارادة بقاء نعمة الله على اخيك المسلم مما له فيه صلاح فان قيل كيف يعلم ان له فيها صلاحًا
او فسادًا لننصحه او نحسده فاعلم انه قد يكون ان غالب الظن بذالك وغلبة الظن منّا
تجري مجرى العلم في هذه المواضع ثم ان اشتبه عليك فلا تريد زوال نعمة احد من المسلمين
او بقائها الا مقيدًا بالتفويض وبشرط الصلاح لتتخلص من حكم الحسد ويحصل لك فائدة
النصيحة واما حصن النصيحة المانع عن الحسد فهو ذكر ما اوجب الله من موالاة المسلمين
وحصن هذا الحصن ذكر ما اعظم الله تعالى من حق المؤمن ورفع قدره وما له عند الله من
الكرامات العظيمة في العقبى وما لك فيه من الفوائد الجليلة في الدنيا من التعاون والتظاهر
والجماعات والجمعات ثم ما ترجو من شفاعته في الاخرة فهذه ونحوها مما تبعث على النصح
لكل مسلم وتجنبك ان تحسده في نعمة اعطاه الله تعالى وليّ التوفيق بفضله واما العجلة فا
نها المعنى الراتب في القلب الباعث على الاقدام على الامر باول خاطر دون التوقف
فيه والاطلاع عليه بالاستعجال في اتباعه والعمل به وضدها الاناة وهي المعنى
الراتب في القلب الباعث على الاحتياط في الامور والنظر فيها والتأني في اتباعها والعمل بها
واما التوقف فضده التعسف قال شيخنا رض الفرق بين التوقف والتأني التوقف قبل
الدخول في الامور حتى يتبين له رشده والتأني بعد الدخول فيه حتى تأدي لكل جزء
منه حقه ثم معدن الاناة ذكر وجوه الخطر في الامور التي تعترض للانسان
وضروب الافات المخوفة فيها وذكر ما في النظر والتثبت من السلامة وما في التعسف والا
ستعجال من الندامة والملامة هذه وامثالها مما يبعثه على التأني والتوقف في الامور
وتمنعه من الاستعجال والتعسف والله تعالى ولي العصمة برحمته واما الكبر فاعلم انه
خاطر في رفع النفس واستعظامها والتكبر اتباعها والضعة خاطر في وضع
النفس واحتقارها والتواضع اتباعه ولكل واحد منهما عام وخاص والتواضع
العام هو الاكتفاء بالدون من الملبس والمسكن والمركب والتكبر في مقابلة الترفع

الملبس عن ذلك

عن ذلك والتواضع الخاص هو ترييض النفس على قبول الحق ممن كان وضيعًا وشريفًا والتكبر
في مقابلة الترفع عن ذلك وهو معصية كبيرة وخطيئة عظيمة ثم حصن التواضع
العام ان تذكر مبداك ومنتهاك وما انت عليه في الحال من ضروب الافات والاقذار
كما قال بعضهم اولك نطفة مذرة واخرك جيفة قذرة وانت فيما بينهما حامل العذرة و
حصن التواضع الخاص هو ذكر عقوبة العادل عن الحق المتمادي في الباطل فهذه جملة كافية
لمن استبصر والله الموفق برحمته الفصل الخامس في البطن وحفظه ثم عليك
بحفظ البطن واصلاحه فانه اشق الاعضاء اصلاحًا على المجتهد واكثرها مؤنة وشغلًا و
اعظمها ضررًا واثرًا لانه المنبع والمعدن ومنه يهيج الادوية في الاعضاء من قوة وضعف
وعفة وجماح ونحوه فعليك اذًا بصيانته عن الحرام والشبهة اولًا ثم من فضول الحلال ثانيًا
ان كانت لك همة وقصد في عبادة الله تعالى فاما الحرام والشبهة فانما يلزمك البحث عنه لثلثة امور
اولها حذرًا من نار جهنم قال الله تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلمًا انما ياكلون في
بطونهم نارًا وسيصلون سعيرًا وقال النبي صلى الله عليه وسلم كل لحم نبت من سحت فالنار اولى به
والثاني ان اكل الحرام والشبهة مردود ومطرود لا يوفق للعبادة اذ لا يصلح لخدمة الله تعالى الا
كل طاهر مطهر قلت انا اليس الله تعالى منع الجنب عن الدخول الى بيته والمحدث عن مس كتابه
قال عز من قائل ولا جنبًا الا عابري سبيل ولا يمسه الا المطهرون مع ان الجنابة والحدث امر
مباح فكيف بمن هو منغمس في قذر الحرام ونجاسة السحت والشبهة ومتى يدعى الى خدمة الله تعالى
سبحانه العزيز برحمه ذكره الشريف كلا فلا يكون ذلك ابدًا وقال يحيى بن معاذ الرازي الطاعة
مخزونة في خزائن الله ومفتاحها الدعاء واسنانها الحلال فاذا لم يكن للمفتاح اسنان فلا يفتح
الباب فاذا لم يفتح باب الخزانة كيف تصل الى ما فيها من الطاعة والثالث ان اكل الحرام والشبهة
يحرم وان اتفق له فعل خير فهو مردود عليه غير مقبول عنه فاذن لا يكون له من ذلك الا العناء
والكد وشغل الوقت قال عم كم من قائم ليس له من قيامه الا السهر وكم من صائم ليس له من صيامه

الا جوع والظماء وعن ابن عباس رض لا تقبل الله صلوة امرء في جوفه حرام فهذه هذه

واما فضول الحلال فانه آفة العبادة وبلية اهل الاجتهاد وانّي تأملت فوجدت فيه عشر

آفات هي اصول في هذا الشان الاولى انّ في كثرة الاكل قسوة القلب وذهاب نوره روى عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه قال لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب يموت كالزرع اذا كثر عليه الماء ولقد

شبّه بعض الصالحين بان المعدة كالقدر تحت القلب تغلي والبخار يرتفع اليه فكثرة البخار تكدره

وتسخّنه الثانية انّ في كثرة الاكل فتنة الاعضاء وهيجها وانبعاثها للفضول والفساد فان الرجل

اذا كان شبعان بطرا اشتهت عينه النظر الى ما لا يعنيه من حرام او فضول والاذن الاستماع

اليه اللسان التكلم والفرج الشهوة والرجل المشي اليه وان كان جائعًا فتكون الاعضاء كلها

ساكنة هادية لا تطمع الى شيء من هذا ولا تنشط لها ولقد قال الاستاد ابو جعفر رض انّ البطن

عضو انْ جاع هو شبع سائر الاعضاء يعني يسكن فلا يطالبك بشيء وان شبع هو جاع سائر الاعضاء

وجملة الامر ان افعال الرجل واقواله على حسب طعامه وشرابه اذ دخل الحرام خرج الحرام وان دخل الفضول

خرج الفضول كان الطعام بذر الافعال والافعال نبت يبدو منه والثالثة انّ في كثرة الاكل قلّة الفهم

والعلم فانّ البطنة تذهب الفطنة ولقد صدق الداراني رض انه قال اذا اردت حاجة من حوائج الدنيا و

الاخرة فلا تاكل حتى تقضيها فان الاكل يغير العقل وهذا ظاهر يعلمه لمن اختبره والرابعة انّ

في كثرة الاكل قلة العبادة لانه اذا اكثر الانسان الاكل ثقل بدنه وغلبته عيناه وفترت اعضاؤه فلا

يجيء منه شيء وان اجتهد الا النوم كالجيفة الملقات ولقد قيل اذا كنت بطينًا فعد نفسك

زمنًا ولقد ذكر عن يحيى بن زكريا عم انّ ابليس عليه اللعنة بدا له وعليه معاليق فقال له يحيى ما هذا

قال الشهوات التي اصيد بها ادم قال فهل تجد لي فيها شيئا قال لا الا انك شبعت ذات ليلة فثقلناك

عن الصلوة قال يحيى عم لا جرم ان لا اشبع بعدها ابدا قال ابليس لا جرم انّي لا انصح احدا

فهذا لم يشبع في عمره الا ليلة فكيف بمن لا يجوع في عمره ليلة ثم يطمع في العبادة وقال سفيان

العبد حرفة وحانوتها الخلوة والاتها المجاعة والخامسة ان في كثرة الاكل فقد حلاوة العبادة

قال ابوبكر الصديق

قال ابوبكر الصديق رض ما شبعت منذ اسلمت لاجل حلاوة عبادة ربي وما رويت منذ اسلمت اشتياقًا

الى لقاء ربك وهذه صفة المكاشفين وكان ابوبكر رض مكاشفا واليه اشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ما فضلكم

ابوبكر بفضل صوم وصلوة وانما هو بشيء وقر في صدره وقال الداراني احلى ما يكون الي العبادة

اذا التصق ظهري ببطني والسادسة انّ فيه خطر الوقوع في الشبهة والحرام لانّ الحلال لا يأتيك

الا قوتا ولقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الحلال لا يأتيك الا قوتا والحرام يأتيك جزافًا والسابعة

انّ فيه شغل القلب والبدن بتحصيله اولا ثم بتهيئته ثانيا ثم باكله ثالثا ثم بالفراغ عنه والتخلص رابعا

ثم بالسلامة منه خامسًا بان لا يكون منه آفة في البدن من الآفات وعلل ولقد قال صلى الله عليه وسلم اصل كل داء البردة

يعني التخمة واصل كل دواء الازمة يعني الجوع والحمية وعن مالك بن دينار رض انه كان يقول

يا هؤلاء لقد اختلفت الى الخلاء حتى استحييت من ربي ثم في هذه الجملة من طلب الدنيا والطمع الى الناس

وتضييع الوقت بسبب كثرة الاكل والثامنة ما يناله من امور الاخرة وشدة سكرات الموت وروى

في الاخبار انّ شدة سكرات الموت على قدر لذات الحيوة فمن اكثر من هذه اكثر له من ذلك والتاسعة

نقصان الثواب في العقبى قال الله تعالى اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا الاية فانه بقدر ما تأخذ من

لذات الدنيا ينقص لك من لذات الاخرة ولهذا المعنى ان الله تعالى عرض الدنيا على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

قال له ولا انقص لك من اخرتك شيئًا حصته بذلك فدل انّ لغيره النقصان الا ان يتفضل

الله عليه بذلك ولقد روى ان خالد بن وليد اضاف عمر بن الخطاب رض وهيأ له طعاما فقال عمر

هذا لنا فما الفقراء المهاجرين الذين ماتوا ولم يشبعوا من خبز شعير قال خالد لهم الجنة

يا امير المؤمنين قال عمر لان فازوا بالجنة وكان حظنا من الدنيا فقد بانوا منا بونًا بعيدًا وروى

انّ عمر رض عطش يومًا فدعا بماء واعطاه رجل اداوة فيها ماء قد نبذ فيه تمرات فلما قربها

عمر من فيه وجد الماء باردًا حلوًا فامسك وقال اوّه فقال الرجل والله ما اوتيه

حلاوة يا امير المؤمنين فقال عمر رض ذلك الذي منعني ويحك لولا الاخرة لشاركناكم في عيشكم والعاشرة

الحبس والحساب واللوم والتعيير في ترك الادب في اخذ الفضول وطلب الشهوات فان الدنيا حلالها حساب

وحرامها عقاب وزينها تباب فهذه جملة العشرة وفي احديهما كفاية لمن نظر لنفسه فعليك
ايها المجتهد بالاحتياط البالغ في القوت كيلا يقع في حرام وشبهة فيلزمك العذاب ثم بالاقتصار
من الحلال على ما يكون عدة على عبادة الله تعالى لئلا تقع في شر ولا تبقى في الحبس والحساب والله ولي
التوفيق فاقول لعمر الله لقد اشبعنا القول في اسرارها في احياء علوم الدين وذكرناه كتابا مفردا في كتاب
الاحياء ولكنا نشير الى كلمات مفرجة بحيث تصل الى فهم الضعيف المبتدئ اذ مقصود هذا
الكتاب انه ينتفع به المبتدئ في العبادة ويعين الطالب قال بعض العلماء المحققين ما تيقنت
كونه ملكا للغير منهيا عنه في الشرع فهو حرام محض واما اذا لم يكن لك تيقن بذلك ولكن يغلب
في ظنك انه كذلك فهو شبهة وقال الاخرون الحرام المحض ما يكون به علم او غالب ظن لان
غلبة الظن ما تجري مجرى العلم في كثير من الاحكام فاما اذا تساوت الامارات حتى تبقى شاكا لا يكون
لاحدهما ترجيح عندك فذلك شبهة يشبه انه حلال ويشبه انه حرام فاشتبه امره عليك والتبس
حاله ثم الامتناع عن الذي هو حرام محض حتم واجب وعن الذي هو شبهة تقوى وورع
وهذا اولى القولين عندنا فان قيل فما تقول في قبول جوائز السلاطين في هذا الزمان فاعلم ان العلماء
اختلفوا فيه فقال قوم كل ما لا يتيقن انه حرام فله اخذه وقال الاخرون لا يحل ان يؤخذ ما لا يتيقن
انه حلال لان الاغلب في هذا العصر على اموال السلاطين الحرام والحلال في ايديهم معدوم وعزيز
وقال قوم ان صلات السلاطين تحل للغني والفقير اذا لم يتحقق انها حرام وانما التبعة
على المعطي قالوا لان النبي صلى الله عليه وسلم قبل هدية المقوقس ملك الاسكندرية واستقرض من اليهودي مع
قول الله تعالى فيهم اكالون للسحت قالوا وقد ادرك جماعة من الصحابة ايام الظلمة واخذوا منهم
منهم ابو هريرة وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وقال الاخرون لا يحل من اموالهم شيء لا للغني
ولا للفقير اذ هم موسومون بالظلم والغالب من اموالهم السحت والحرام والحكم للغالب
فيلزم الاجتناب وقال آخرون ما لا يتيقن انه حرام فهو حلال للفقير دون الغني
الا ان يعلم الفقير ان ذلك عين الغصب فليس له ان ياخذ الا ليرده على مالكه ولا حرج

على الفقير

على الفقير ان ياخذ من مال السلطان لانه ان كان من ملك السلطان فاعطى الفقير فله اخذه بلا ريب
وان كان من فيء او خراج او عشر فللفقير فيه حق وكذلك لاهل العلم قال علي ابن ابي طالب رض من دخل
الاسلام طائعا وقرأ القرآن ظاهرا فله في بيت مال المسلمين كل سنة مائتا درهم وروي مائتا دينار
ان لم ياخذها في الدنيا اخذها في الاخرة واذا كان كذلك فالفقير والعالم ياخذ من حقه قالوا
واذا كان المال مختلطا بمال مغصوب لا يمكن تميزه او غصبا لا يمكن رده على صاحبه وذريته فلا
مخلص للسلطان منه الا ان يتصدق به وما كان الله ليامره بالصدقة على الفقير وينهى الفقير عن قبوله
او يأذن للفقير في القبول وهو عليه حرام فاذن للفقير ان ياخذ الا عين الغصب والحرام فليس له اخذه
وهذه المسائل لا يمكن الفتوى فيها الا ببسط وتشقيق واستيعاب القول فيها يخرج عن المقصود من الكتاب
فان اردت معرفتها فطالع كتاب الحلال والحرام من كتاب احياء علوم الدين تجده مشروحا مبينا
ان شاء الله تعالى فان قيل فما تقول في صلات اهل السوق وغيرهم هل يلزم ردها والبحث عنها وقد علمت
[illegible] وقلة نظرهم في معاملاتهم وكذلك صلات الاخوان فالجواب انه اذا كان ظاهر الانسان
الصلاح والستر فلا حرج عليك في قبول صلته وصدقته ولا يلزم البحث بان يقول قد فسد الزمان فان
هذا سوء ظن بذلك الرجل المسلم بل حسن الظن بالمسلمين مأمور به ثم اعلم ما هو الاصل في هذا
الباب وهو ان ها هنا شيئين احدهما حكم الشرع وظاهره والثاني حكم الورع وحقه وحكم الشرع
ان تاخذ ما اتاك من ظاهره صلاح ولا تسأل الا ان تتيقن انه غصب او حرام بعينه وحكم الورع
ان لا تاخذ شيئا من احد حتى تبحث عنه غاية البحث وتستقصي غاية الاستقصاء فتستيقن انه
لا شبهة فيه بحال والا فترده فلقد روينا عن ابي بكر الصديق رضوان الله عليه ان غلاما له اتاه بلبن فشربه فقال
الغلام كنت اذا جئتك بشيء تسألني عنه ولم تسألني عن هذا اللبن فقال وما قصته قال رقيت
قوما في الجاهلية فاعطوني هذا فتقيأه ابو بكر رض وقال اللهم هذا مقدوري فما بقي في العروق
فانت حسيبه فهذا يدلك على وجوب البحث عما تقدم عليك ان كان نظرك في الورع وحقه
فاعلم ان الشرع موضوع على اليسر والسماحة ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحة والورع موضوع على التشديد والاحتياط

الامر على المتقي اضيق من عقد التسعير ثم الورع من الشرع ايضا وكلاهما في الاصل واحد لكن للشرع
حكمان حكم الجواز وحكم الافضل والاحوط فالجائز يقال له حكم الشرع والافضل الاحوط يقال له
له حكم الورع فهما مع تميزهما واحد في الاصل فافهم راشدا ان شاء الله فان قلت اذا جاء البحث و
الاستقصاء عن كل شيء واشتد علينا ما نأخذ في اهل الزمان وتعذر الامر بمرة على صاحب الورع
اذ لا بد له من بلاغ يبلغه الى الطاعة فاعلم ان طريق الورع شديد وان من قصد سلوكه فشرطه
ان يوطن نفسه وقلبه على احتمال الشدة والا فلا يتم له ذلك ولهذا المعنى صار الكثير من اهل الورع والسابقون
الى جبل لبنان وغيره فاقتصروا على اكل الحشيش وثمرات تافهة لا تبعة فيها بحال فمن سمت
همته الى نيل منزل الورع الاعلى فعليه ان يحتمل الشدائد ويصبر عليها ويسلك طريق اولئك
لينال منزلتهم واما ان اقام بين الناس واكل مما يتداولونه في ايديهم فليكن عنده بمنزلة الميتة
لا يقدم عليها الا عند الضرورة ثم لا يتناول منها الا مقدار ما يبلغه الى الطاعة فيكون له عذر
في ذلك ولا يخرم وان كان في اصله شبهة فان الله تعالى اولى بالعذر ولهذا قال حسن البصري
اذ فسد السوق فعليكم بالقوت ولقد بلغنا عن وهب بن الورد رض انه كان يجوع نفسه يوما ويومين
وثلثة ثم ياخذ رغيفا ويقول اللهم انك تعلم اني لا اقوى على العبادة واخشى الضعف والا
لم اكله اللهم ان كان فيه شيء من خبث وحرام فلا تؤاخذني ثم يبل الرغيف في الماء فيأكله قلت فهذه
الطريقة الطبقة العليا من اهل الورع فيما نعلم واما من دونهم فلهم احتياط ذكرناه على قدر
ولهم ايضا نصيب من الورع على مقدار وبقدر ما تتعنى تنال ما تمنى والله لا يضيع اجر من احسن
عملا وهو عليم بما يفعلون فان قيل فهذا جانب الحرام فاخبرنا عن جانب الحلال وما حد
الفضول الذي يلزم منه الحبس والحساب وما المقدار الذي اذا اخذ العبد يكون ذلك ادبا ولا
يكون فضولا ولا عليه فيه حبس ولا حساب يقال له فاعلم ان احوال المباح في الجملة ثلثة اقسام
احدها ان ياخذ العبد مفاخرا مكاثرا مباهيا مرائيا فيكون الاخذ منه فعلا منكرا يستوجب
على ظاهر فعله الحبس والحساب واللوم والتعيير وهو منكر وشر يستوجب على باطن فعله وهو

التكاثر

ولاينة

التكاثر والتفاخر عذاب النار وذلك القصد منه معصية وذنب لقوله تعالى انما الحيوة الدنيا لعب ولهو
الى قوله وفي الاخرة عذاب شديد وقال النبي صلعم من طلب الدنيا حلالا مباهيا متكاثرا مفاخرا مرائيا
لقي الله تعالى وهو عليه غضبان فالوعيد على قصد ذلك بقلبه والقسم الثاني ان ياخذ الحلال بشهوة نفسه
لا غير فذلك منه شر يستوجب عليه الحبس والحساب لقوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم و
قال صلعم حلالها حساب والقسم الثالث ان ياخذ من الحلال في حال العذر قدرا يستعين به على عبادة
الله ويقتصر على ذلك فذلك خير وحسنة وادب لا حساب عليه فيه ولا عتاب بل يستوجب عليه الاجر
والمدحة لقوله تعالى اولئك لهم نصيب مما كسبوا وقال صلعم من طلب الدنيا حلالا استعفافا
عن المسئلة وتعطفا على جاره وسعيا على عياله جاء يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر وذلك
لما قصد به هذا المقصود المحمود لله تعالى فهذه هذه فاعلمها فان قيل فما شرط المباح حتى يصير
خيرا وحسنة كما ذكرتم فاعلم انه يحتاج في كونه خيرا في الاصل الى شرطين احدهما الحال والثاني القصد
فالحال يجب ان يكون في حال العذر وهو بحيث ان لم ياخذ يؤخذ وتفسيره ان يكون حاله انه لم ياخذ
ذلك المباح ينقطع بسببه عن فرض او سنة او نفل يكون ذلك افضل من ترك المباح فان ترك
مباح الدنيا فضيلة فاذا كان الحال كذلك فهو حال العذر واما القصد فان يقصد به العون
والاستعانة على عبادة الله تعالى وهو ان يذكر بقلبه انه لولا ما فيه من التوصل الى عبادة الله تعالى سبحانه
لما اخذت ذلك فهذا ذكر النية فلما حصل ذكر النية في حال العذر صار ذلك الاخذ من الدنيا الحلال
خيرا وحسنة وادبا واما لو كان حاله حال العذر ولا يكون له هذا القصد والذكر او يكون له هذا القصد
والذكر ولا يكون في حال العذر فلا يصير ذلك الاخذ من جملة الخيرات ثم الاستقامة على حفظ
هذا الادب يحتاج الى بصيرة وقصد مجمل فانه لا ياخذ الدنيا بحاله الا للعون على عبادة الله تعالى حتى انه ان
سهى عن ذكر النية في حال العذر اجزاه ذلك القصد المجمل عن تجديد ذكر النية قال شيخنا رض فصارت
الامور الثلثة معتبرة فيه كل واحد من وجه يعني ان الذكر والحال معتبران في حصول كونه خيرا
اصلا والقصد المجمل المقتضي عن بصيرة منزلة الادب معتبرة في الاستقامة عليه فافهم راشدا

فان قيل فان اخذ الدنيا الحلال بشهوة هل يكون ذلك معصية وهل يحرم عليه عذاب وهل
بالعذر رضاهم لا فاعلم ان ذلك فضيلة ونسميه خيرا وحسنة والامر به تأديب والاخذ بالشهوة
شر وسيئة والنهي عنه نهي زجر وليس ذلك بمعصية ولا يكون عليه عذاب النار وانما عليه الحبس
والحساب واللوم والتعيير فان قلت فما هذا الحبس والحساب الذي يلزم العبد فاعلم ان الحساب ان تسئل
يوم القيمة عماذا اكتسبت وفيماذا انفقت وماذا اردت بذلك والحبس حبس عن الجنة مدة
الحساب في ذلك في عرصة القيمة بين اهوالها ونحو فيها عريانا عطشانا وكفى بذلك بلية فان قيل
فاذا قد احل الله لنا هذا الحلال فاللوم والتعيير في اخذه لماذا فاعلم ان اللوم والتعيير لترك الادب كمن
اجلس على مائدة الملك فترك الادب فانه يعير بذلك ويلام وان كان الطعام له مباحا والاصل في هذا
الباب ان الله تعالى خلق العبد لعبادته وهو عبد الله تعالى من كل وجه فحق المعبد ان يعبد الله تعالى من كل وجه
يمكنه ويجعل افعاله كلها عبادة من اي وجه امكنه وان لم يفعل ذلك وآثر شهوة نفسه واشتغل بذلك عن
عبادة الله مع تمكنه من ذلك من غير تعذر والدار دار خدمة وعبادة لا دار تنعم وشهوة استحق
اللوم بذلك والتعيير من سيده فتامل هذا الاصل راشدا ولا حول ولا قوة الا بالله فهذه الجملة التي
اردنا بيانها في اصلاح النفس والجامها بلجام التقوى فارعها حقها واحتفظ بها تجد خيرا تغنم بالخير الكثير
في الدارين انشاء الله عز وجل والله تعالى ولي العصمة والتوفيق بفضله **فصل**
فعليك ايها الرجل ببذل المجهود في قطع هذه العقبة العظيمة فانها اعظم العقبات شدة واكثرها
مؤنة واكبرها آفة وفتنة فان من هلك من الخلق كلهم انما انقطعوا عن طريق الحق اما بسبب دنيا او خلق او
شيطان او نفس ولقد ذكرنا في كتبنا المصنفة كتاب الاحياء والاسرار والقربة الى الله ما يبعث
على الاهتمام بذلك ومقصود هذا الكتاب اني سألت الله تعالى ان يطلعني على سر معالجة النفس
وان يصلحني ويصلح بي فاقتصر في هذا الكتاب الشريف على نكتة وجيزة اللفظ عزيزة المعنى تقنع من
تأملها وتدعو على واضحة من الطريق انشاء الله تعالى وهذا الفصل يختص بنكتة في معالجة الاربعة
والخلق والشيطان والنفس **واما الدنيا فحق لك** ان تحذرها وتزهد فيها لان الامر لا يخلو

من ثلثة **اما انت** من ذوي البصائر والفطن فحسبك ان الدنيا عدو الله سبحانه وهو حبيبك ووليك
مبغضة عقلك والعقل قيمتك **واما انت** من ذوي الهمم في عبادة الله تعالى والاجتهاد فحسبك ان الدنيا
بلغت شومها ما تمنعك ارادتها ويشغلك الفكر فيها عن العبادة والخير فكيف نفسها **واما انت**
من اهل الغفلة لا بصيرة لك تبصر الحقائق ولا همة لك تبعث على المكارم فحسبك ان الدنيا لا تبقى لها اما ان تفارقها
واما ان تفارقك كما قال الحسن ان بقيت لك الدنيا لا تبقى لها فاي فائدة اذا في طلبها وانفاق العمر العزيز عليها
ولقد احسن القائل حيث قال: هب الدنيا تساق اليك عفوا ... اليس مصير ذاك الى زوال
وما دنياك الا مثل ظل اظلك ثم اذن بارتحال فلا ينبغي للعاقل اذن ان يخدع بها ولقد صدق القائل فيما
قال: اضغاث نوم او كظل زائل ... ان اللبيب بمثلها لا يخدع **واما الشيطان** فحسبك
فيه ما قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقل اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون
فهذا خير العالمين واعلمهم واعقلهم وافضلهم عند الله تعالى يحتاج مع ذلك الى ان يستعيذ بالله من شر
الشيطان فكيف بك مع جهلك ونقصك وغفلتك **واما الخلق فحسبك** منهم انك لو خالطتهم
واوفقتهم في اهوائهم اثمت وافسدت امر آخرتك وان خالفتهم تعبت باذياتهم وجفواتهم
وكدرت عليك امر دنياك ثم لا تأمن ان يلجؤك الى معاداتهم ومنالاتهم فتقع في شرهم ولانهم
ان مدحوك وعظموك اخاف عليك الفتنة والعجب وان ذموك وحقروك اخاف عليك الحزن تارة
والغضب لغير الله تعالى اخرى وكلا الامرين آفة مهلكة ثم اذكر حالك معهم بعدما صرت في القبر ثلثة
ايام كيف يتركونك ويهجرونك وينسونك فلا يكادون يذكرونك كانهم لم يروك يوما ولم تروهم
فلا يبقى هناك الا الله سبحانه وتعالى افلا يكون من الغبن العظيم ان تضيع ايامك مع هؤلاء
الخلق مع قلة الوفاء وقلة البقاء معهم وتترك خدمة الله تعالى الذي ترجع اليه في الامر وصله
ولا يبقى لك الا هو ابد الابدين والحاجات كلها اليه والتكلان كله عليه والاعتصام كله في كل حال
وعند كل شدة وهول به وحده لا شريك له فتامل يا مسكين لعلك ترشد انشاء الله تعالى والله ولي
التوفيق بفضله **واما النفس فحسبك** ما تشاهد من حالاتها ورداءة ارادتها وسوء اختيارها

فما هو بعيش ليس يبقى ... وشيكا تغيره الليالي

بالله

فهي في حال الشهوة بهيمة وفي حال الغضب سبعة وفي حال المصيبة تراها طفلا وفي حال النعمة
تراها فرعونا وفي حال الجوع تراها مجنونا وفي حال الشبع تراها مختالا ان اشبعتها بطرت ومرحت
وان جوعتها صاحت وجزعت فهي كما قال القائل حيث قال كحمار السوء ان اقضمته رمح الناس
والا جاع نهق ولقد صدق بعض الصالحين حيث قال ان من رداءة هذه النفس وجهلها
انها اذا همت بمعصية او انبعثت بشهوة فتنيتها او تشفعت اليها بالله تعالى ثم برسوله
وبجميع انبيائه وبكتابه وبجميع سلف الصالح من عباده وتعرض عليها الموت والقبر والقيمة والجنة
والنار لا تعطي القياد ولا تترك الشهوة ثم استقبلتها بمنع الرغيف فانها تسكن وتترك شهوتها
لتعلم خستها وجهلها فاياك ايها الرجل ان تغفل عنها فانها كما قال خالقها العالم بها جل جلاله ان
النفس لامارة بالسوء فكفى بهذا تنبيها لمن عقل ولقد بلغنا عن بعض الصالحين يقال له احمد
بن ارقم البلخي رحمه الله انه قال نازعتني نفسي بالخروج الى الغزو فقلت سبحان الله ان الله تعالى يقول
ان النفس لامارة بالسوء وهذه تامرني بالخير لا يكون هذا ابدا ولكنها استوحشت فتريد لقاء
الناس لتستريح اليهم ويتسامع الناس بها فيستقبلونها بالتعظيم والبر والاكرام فقلت
لها لا انزلك العمران ولا انزلك على معرفة فاجابت واساءت الظن بها وقلت ان الله تعالى اصدق فقلت
لها اقاتل العدو حاسرا فتكونين اول قتيل فاجابت وعددت اشياء مما ارادتها فاجابت الى كل ذلك قال
فقلت يا رب نبهني لها فاني متهم لها مصدق لك فكوشفت كانها تقول يا احمد انت تقتلني كل يوم
بمنعك اياي من شهواتي مرارا ولا يشعر به احد فان قتلت قتلت مرة واحدة فنجوت منك
ويتسامع الناس فيقال استشهد احمد ويكون لي شرف وذكر قال فقعدت ولم اخرج الى الغزو
في ذلك العام فانظر الى خداع النفس وغرورها تراءي الناس بعد الموت بعمل لم يعمل بعد ولقد صدق
القائل واحسن فيما قال: توق نفسك لا تامن غوائلها - فالنفس اخبث من سبعين شيطانا
فتنبه رحمك الله لهذه الخداعة الامارة بالسوء ووطن على مخالفتها بكل حال تعتب وتسلم ان شاء الله
تعالى ثم عليك بالجامها بالتقوى لا حيلة لها سواه واعلم ان ها هنا اصلا اصيلا وهو ان العبادة شطران

وهو التقوى
وشطر الاكتساب وشطر الاجتناب فالاكتساب فعل الطاعات والاجتناب الامتناع عن المعاصي والسيئات
وان شطر الاجتناب على كل حال اسلم واصلح وافضل واشرف للعبد من شطر الاكتساب ولذلك يشتغل
المتعبدون من اهل العبادة الذين هم في اول درجة الاجتهاد بشطر الاكتساب وكل همتهم ان يصوموا نهارهم
ويقوموا ليلهم ونحو ذلك ويشتغل المنتهون اولوا البصائر من اهل العبادة بشطر الاجتناب انما
همتهم ان يحفظوا قلوبهم عن الميل الى غير الله تعالى وبطونهم عن الفضول والسنتهم عن اللغو واعينهم
عن النظر الى ما يعنيهم ولهذا المعنى قال العابد الثاني من العباد ليونس يا يونس ان من الناس من حبب
اليهم الصلوة فلا يؤثرون عليها شيئا وهي عمود العبادة بالثبات لله والصدق والتفرع والاجتهاد
ومنهم من حبب اليهم الصوم فلا يؤثرون عليها اشياء ومنهم من حبب اليهم الصدقة فلا يؤثرون
عليها شيئا يا يونس وانا مفسر لك هذه الخصال اجعل صومك الصمت عن كل سوء واجعل صدقتك
كف الاذى فانك لا تتصدق بشيء افضل منه ولا تصوم بشيء اذكى منه فاذا علمت ان جانب الاجتناب
اولى بالرعاية والاجتهاد فيه فان حصل لك الشطران جميعا وهو الاكتساب والاجتناب فقد استكملت امرك
وحصل مرادك ولقد سلمت وغنمت وان لم تبلغ الى احدهما فليكن ذلك جانب الاجتناب فتسلم
ان لم تغنم والا خسرت الشطرين جميعا وما ينفعك قيام ليل ثم تحبط بارادة واحدة وما ينفعك
صيام نهار طويل ثم تفسد بكلمة واحدة ولقد روينا عن ابن عباس رضي الله عنه قيل له ما تقول في رجلين
احدهما كثير الخير وكثير الشر والاخر قليل الخير قليل الشر قال لا اعدل بالسلامة شيئا ومثال ما قلنا
حال المريض وذلك ان معالجة نفس المريض نصفان نصف هو الدواء ونصف هو الاحتماء
فان اجتمعا فكانك بالمريض قد وصح والا فالاحتماء به اولى اذ لا ينفعه دواء مع ترك الاحتماء
ولقد ينفع الاحتماء مع ترك الدواء ولقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اصل كل دواء الحمية والمعني بها والله اعلم انها
تغني عن كل دواء وكذا يقال ان الهند جل معالجتهم الحمية يمتنع المريض عن الاكل والشرب والكلام
عدة ايام فيبرا ويصح بذلك لا غير فتبين لك بهذه الجملة ان التقوى ملاك الامر وموضعه وان
اهلها هم الطبقة العليا من العباد فعليك ببذل المجهود في ذلك وصرف جل العناية

اليه والله تعالى ولي التوفيق **فصل** ثم راع هذه الاعضاء الاربعة التي هي الاصول **الاول العين** فحسبك
فيها انه مدار امر الدنيا والدين على القلب وان خطر القلب وشغله وفساده في الاكثر من العين و
لذلك قال علي رض من لم يملك عينه فليس للقلب عنده قيمة **والثاني اللسان** وحسبك ان فيه ربحك وغنيمتك
وثمرة تعبك واجتهادك كله للعبادة والطاعة وان خطر العبادة واحباطها وفسادها في الاكثر
من قبل اللسان بالتصنع والتزين والغيبة ونحوها يتلو عليك بلحظة واحدة ما تتعب فيه
سنة بل خمسا او عشرا ولذلك قيل ما شيء احق بطول السجن من اللسان وفيما روي ان احد
العباد السبعة قال ليونس عم يا يونس ان العباد اذا اجتهدوا في العبادة لم يتفقوا على عبادتهم
بشيء منه افضل من الصبر عن ترك الكلام في فصل طويل ثم عاد الى ذلك فقال ولا تكونن عندك
شيء آثر من حفظ لسانك ولا تكونن بشيء اغنى به من سلامة صدرك فهذه هذه ثم اذكر
النفس التي تكلمت فيها بفضول ما كان يضرك لو قلت استغفر الله فربما يوافق ساعة عزة فيغفر
الله لك فتربح ثراتك مالك او قلت لا اله الا الله فتكون لك من الاجر والذخر ما لا يحيط به وهمك
او تقول اسأل الله العافية فربما يتفق حسن نظر فيستجيب والله تعالى دعوتك فتنجو من بلية الدنيا
والاخرة او لا يكون من الخسران العظيم والغبن الفظيع ان تفوت عن نفسك كل هذه الفوائد الكريمة
وتجعل نفسك ووقتك في فضول اقل ما يلزمك فيه اللوم والحساب يوم القيمة ولقد احسن القائل
في قوله واذا هممت بالنطق في الباطل فاجعل مكانه تسبيحا **والثالثة البطن** وحسبك انه مقصودك
العبادة وان الطعام شرب العمل وماؤه منه يبدو وينبت واذا خبث البذر لا يطيب الزرع بل فيه
خطره يفسد عليك ارضك فلا تفلح ابدا ومن ذلك بلغنا من معروف الكرخي انه قال اذا صمت
فانظر على اي شيء تفطر وعند من تفطر وطعام من تأكل فكم من يأكل اكلة فينقلب قلبه عما كان
عليه لا يعود الى حاله ابدا وكم اكلة حرمت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة وان العبد
ليأكل الاكلة فيحرم بها قيام سنة فعليك ايها الرجل بالنظر الدقيق والاحتياط البالغ الشديد
في قوتك ان كان لك عناية بقلبك وهمة في عبادة ربك هذا في اصل القوت حتى يكون من

وجهه ثم عليك بالادب فيه والا كنت حالا للطعام مضيعا للايام اذ قد علمنا يقينا بل رأينا عيانا ان
ان العبادة لا تجي منها في الطعام شيء اذا امتلئ البطن وان اكرهت النفس على ذلك وجاهد
بضروب الحيل فلا يكون لتلك العبادة لذة ولا حلاوة ولذلك قيل لا تطمع بحلاوة في العبادة
مع كثرة الاكل واي نور في نفس بلا عبادة وفي عبادة بلا لذة ولا حلاوة وفي هذا المعنى قال ابرهيم
بن ادهم رض صحبت اكثر رجال الله تعالى في جبل لبنان فكانوا يوصونني اذا رجعت الى ابناء الدنيا فعظهم
باربع قل لهم من يكثر الاكل لا يجد لذة العبادة ومن ينم كثيرا لا يجد في عمره بركة ومن طلب
رضاء الناس فلا ينتظر رضاء الرب ومن يكثر الكلام الفضول والغيبة فلا يخرج من الدنيا
على دين الاسلام وعن سهل رض انه قال جماع الخير كله في هذه الخصال الاربع وبهذا صار
الابدال ابدالا اخماص البطون والصمت والاعتزال عن الناس وسهر الليل وقال بعض
العارفين الجوع راس مالنا ومعناه انما يحصل لنا من فراغة وسلامة وعبادة وعلم نافع بسبب الجوع
والصبر عليه لله سبحانه **واما القلب** فحسبك انه اصل الكل ان افسدته فسد الكل وان
اصلحته صلح الكل اذ هو الشجرة وسائر الاعضاء اغصان ومن الشجرة تشرب الاغصان و
تصلح وتفسد وانه الملك وسائر الاعضاء تبع واركان واذا صلح الملك صلحت الرعية واذا
فسد فسدت الرعية واذا صلاح العين واللسان والبطن دليل على صلاح القلب وعمرانه
واذا رايت فيه خللا وفسادا فاعلم ان ذلك من خلل في القلب وفساد وقع ثم بل الفساد فيه
اكثر فاصرف عنايتك اليه فاصلحه تصلح الكل بمرة فتستريح ثم امره دقيق عسير اذ هو
مبني على الخواطر وهي ليست تحت يدك والامتناع من اتباعها بجهود طاقتك فيه اقصى المشقة
ولهذا المعنى صار اصلاحه اشد على اهل الاجتهاد والاهتمام بامره اكثر عند ذوي البصائر
وعن ابي يزيد رض انه قال عالجت قلبي عشرا ولساني عشرا ونفسي عشرا فكان قلبي اصعب
الثلثة فهذه هذه **ثم عليك بالاهتمام** لخصال الاربع التي ذكرنا خاصة الامل والعجلة في الامور
والحسد والكبر وانما خصصنا هذه الاربعة من بين سائر الخصال في هذه المواضع

حصوصًا

وحصصنا بالاحتراز منها لانها علل القراء خاصة اذ تعتري سائر الناس عمومًا والقراء

فتكون اقبح واشنع ترى الرجل القارئ يطول الامل وتفقده نية خير فيوقعه في الكسل والتواني

في العمل وتراه تستعجل في تحصيل منازل الخير فينقطع عنها او في اجابة دعاء الصالح

فيحرم ذلك او في دعاء احد بسوء فيندم على ذلك كما ذكر عن نوح ع وتراه يحسد نظراءه

على ما اتاهم الله من فضله حتى ربما يبلغ من ذلك مبلغا يحمله على قبايح وفضايح لا يقدم

عليها فاسق ولا فاجر وبهذا المعنى قال سفيان الثوري ما اخاف على آدمي الا القراء

والعلماء فاستنكروا منه ذلك قال ما انا قلته انما قاله ابراهيم النخعي وعن عطا قال لي الثوري

احذروا القراء واحذروني معهم فلو خالفته اودكهم لي في رمانة فاقول انها حلو ويقول انها

حامضة [illegible] ان يسعى بدمي الى سلطان جابر عن مالك بن دينار اني اقبل شهادة القراء

جميع الخلق ولا اقبل بعضهم على بعض لاني وجدتهم حسادًا وعن الفضيل انه قال لابنه اشتر

في دارا بعيدة من القراء ما لي وللقوم ان ظهرت مني زلة هتكوني وان ظهرت علي نعمة حسدوني

وكذلك تراه يتكبر على الناس ويستخف بهم مصعرا خده معبسًا وجهه كانما يمن على الناس

بما يصلي زيادة ركعتين كانما جاءه من الله تعالى بشر بالجنة وبراءة من النار وكانه استيقن السعادة

للنفس والشقاوة لسائر الناس ثم مع ذلك يلبس لباس المتواضعين من صوف ونحوه وتمام

و هذا لا يليق بالترفع والتكبر ولا يلائمه بل يناقضه ولكن الاعمى لا يبصر وذكر انه قد

السبخي دخل على الحسن وعليه كساء وعلى الحسن حلة فجعل يلمسها وقال الحسن ما لك

تنظر الى ثيابي ثيابي ثياب اهل الجنة وثيابك ثياب اهل النار بلغني ان اكثر اهل النار اصحاب الاكسية قال

الحسن جعلوا الزهد في ثيابهم والكبر في صدورهم والذي يحلف به لاحدكم بكسائه اعظم كبرا

من صاحب المطرف بمطرفه والى هذا المعنى يشير ذو النون رحمه الله حيث قال تصوف فازدهى بالصوف جهلًا

وبعض الناس يلبسه مجانة ٥ يريك مهانة ويريك كبرا وليس الكبر من شكل

المهانة ٥ تصوف كي يقال له امينة وما معنى تصوفه الامانة ٥ ولم يرد الاله به ولكن

بشهادة

اهله

الثلثة الاولى

ارادبه الطريق الى الخيانة ٥ فاحذر ايها الرجل من هذه الافات الاربع لاسيما الكبر فان

مداحض لو زللت فيها لو وقعت في العصيان والكبر مدحض لو وقعت فيه لو وقعت في بحار

الكفر والطغيان فلا تنس حديث ابليس وفتنته انه ابى واستكبر وكان من الكافرين والرجوع

الى الله ان يعصمنا جميعًا بحسن نظره انه جواد كريم فصل جملة الامر انك اذا نظرت بعقلك

ايها الرجل فعلمت ان الدنيا لا بقاء لها وان نفعها لا يفي بضررها وتبعاتها من كد البدن وشغل

القلب في الدنيا والعذاب الاليم والحساب الطويل في الاخرة تزهد في فضولها فلا تؤخذ منها الا ما لا بد

لك منه في عبادة ربك وتبع التنعم والتلذذ الى الجنة دار النعيم المقيم في جوار رب العالمين الملك القادر

الغني الكريم وعلمت ان الخلق لا وفاء لهم وان مؤنتهم اكثر من معونتهم فيما يغنيك تركت مخالطتهم

الا فيما لا بد لك منهم فتنتفع بخيرهم وتجتنب شرهم وتجعل صحبتك لمن لا تخسر في صحبته فلا تندم على صحبته

وانسك بكتابه وملازمتك اياه فيكون لك بكل حال ويري منه كل جميل وافضال ويحرسك عند كل نائبة

في الدنيا والاخرة كما قال عيسى ع احفظ الله تجده حيث اتجهت وعلمت ان الشيطان خبيث قد

تجرد لمعاداتك واستعذت بربك القادر القاهر من هذا الكلب اللعين فلا تغفل عن مكائده

ومصائده فتطرده بذكر الله سبحانه ولا تعبأ بذلك فانه يسير اذا ظهرت عزيمة الرجال كما قال

الله تعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ولقد صدق ابن حازم فيما قال ما

الدنيا وما ابليس اما الدنيا فما مضى فحلم وما بقي فاماني واما الشيطان فوالله لقد اطيع فما

نفع ولقد عصي فما ضر وعلمت جهالة هذه النفس وجماحها الى ما يضرها ويهلكها فنظرت

لها نظر العقلاء والعلماء الذين ينظرون في العواقب لا نظر الجهال والصبيان الذين ينظرون

الى الحال ولا يفطنون الغائلة الاذى ويرقون من مرارة الدنيا فلجمتها بلجام

التقوى بان تمنعها عما لا يحتاج اليه بالحقيقة من فضول وكلام ونظر وتلبيس بخصلة فاسقة

من طول الامل وعجل او حسد مسلم او تكبر في غير موضع او اكل بمحض شهوة وشرب وتعطيها

ما ليس لها منه بد ولا تخاف منه ضررا اذ لا ضرورة الى الفضول وقد وسع الله تعالى الامر على عباده

كنكم

زيهم

برحمته واغنائهم عن جميع ما يحزبهم في امر دينهم فاي حاجة الى ذلك فان الامر كما قال
بعض الصالحين ان التقوى اهون شيء اذا رابني شيء تركته فان النفس مستلين ويتعود
ما عودتها وانه كما قال القائل فالنفس راغبة اذا رغبتها واذا ترد الى قليل تقنع وقال
آخر هي النفس ما حملتها تتحمل ويروى ما عودتها تتعود وقال آخر وما النفس الا
حيث يجعلها الفتى فان اطعمت تاقت والا تسلت فاذا علمت الذي وصفناه كنت من الزاهدين في الدنيا
والراغبين في الآخرة واعلم ان من يسمى باسم الزاهد فقد سمي بالف اسم ممدوح وكان من
المنفردين المنقطعين الى الله سبحانه وتعالى الذين هم الانس وخدم رب العرش فيكون كما قال القائل

شعر
تشاغل قوم بدنياهم ۞ وقوم تخلوا بمولاهم ۞
فالزمهم باب مرضاته ۞ وعن سائر الخلق اغناهم ۞

وكنت من المجاهدين في الله الخواص من عباده الذين قال فيهم سبحانه ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان وكنت من المتقين الذين لهم سعادة الدارين وصرت حينئذ
افضل من كثير من الملائكة المقربين اذ ليست لهم شهوة تدعوهم الى قبيح ولا نفس
خبيثة وكنت قد خلفت هذه العقبة الطويلة الشديدة وراءك وسبقت العوائق كلها
[illegible] مقصودك ولا يهولنك فانه مع الاستعانة بالله والاعتصام به لهين نسأل الله وهو
خير مسؤول ان يمدك وايانا بحسن توفيقه وتيسيره فانه الكافي لكل مهم والاستعانة في كل معضل
فبيده الخلق والامر وهو على كل شيء قدير فهذا ما اوردنا ذكره في هذا الكتاب ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الباب الرابع في العقبة الرابعة وهي عقبة العوارض

ثم عليك يا طالب العبادة وفقك الله بكف العوارض الشاغلة عن عبادة الله تعالى وسد سبيلها لئلا
تشغلك عن مقصودك وقد ذكرنا انها اربعة **الاول الرزق** ومطالبة النفس بذلك
فانما كفايته بالتوكل فعليك بالتوكل على الله سبحانه في موضع الرزق والحاجة بكل حال وذلك لامرين
احدهما للتفرغ للعبادة ويتمشى لك الخير حقه فان من لا يتوكل فلا بد من اشتغاله عن
عبادة الله بسبب الحاجة والرزق والمصلحة اما ظاهرا واما باطنا اما بطلب وكسب بالبدن

كفاية الراغبين

كفاية الراغبين واما بذكر وارادة ووسوسة بالقلب كالمجتهدين المعلقين والعبادة تحتاج
الى فراغ القلب والبدن ليحصل حقها والفراغ لا يكون الا للمتوكلين بل اقول كل من ضعيف القلب
لا يكاد يطمئن قلبه الا بشيء معلوم فلا يكاد يتم له امر خطير من دنيا وآخرة وكثيرا ما سمعت
من شيخي ابي محمد رحمه الله يقول انما الامور يتمشى في العالم رجلين متوكل او متهور قلت و
هذا كلام جامع في معناه فان المتهور يقصد الامور على قوة عادة وجراءة قلب
لا يلتفت الى صادق يعرفه او خاطر يضعفه فيجري له الامور والمتوكل يقصد الامور
على قوة بصيرة وكمال يقين بوعد الله سبحانه وتمام ثقة بضمانه فلا يلتفت الى انسان يخوفه
ولا شيطان يوسوسه فيفوز بمقاصده ويظفر بمطالبه واما المعلول الضعيف يكون ابدا
بين نكول وتردد وقصور وتحير كالحمار في معلفه والدجاج في تقبته يرعى تعود من صاحبه
لا يكاد ينفك من ذلك تقاعدت نفسه من معالي الامور وانقطعت همته فلا يكاد يقصد امرا
شريفا وان قصد فلا يكاد يظفر ولا يتم له ذلك اما تراه اصحاب الهمم من ابناء الدنيا لم ينالوا
مرتبة كبيرة ومنزلة خطيرة الا بانقطاع قلوبهم عن انفسهم واموالهم واهلهم اما الملوك
فيباشرون الحرب ويكافحون الاعداء اما هلكا واما ملكا حتى يحصل لهم مرتبة الملك و
عقد الولاية وقيل ان معاوية لما نظر الى العسكرين يوم صفين قال من اراد خطيرا خاطر بعظيم
واما التجار فيركبون المهالك برا وبحرا ويطرحون انفسهم واموالهم في المقاطع شرقا وغربا ويوطنون
انفسهم على احد الامرين اما فوت الارواح واما حصول الارباح حتى يحصل لهم بذلك كل ربح
عظيم ومال جسيم وعلق نفيس واما السوقي الذي ضعف قلبه ورق عزمه لا يكاد يقطع القلب عن
علاقة من نفسه وماله فهو من بيته الى دكانه طول عمره لا يصل الى مرتبة كبيرة كالملوك ولا الى
ربح عظيم كالتجار المخاطرين فان نال في سوقه ربحا على بضاعة درهما فذلك له كثير ولا يتعلق
قلبه بشيء معلوم فهذا في الدنيا وابنائها واما ابناء الآخرة فراس مالهم هذه الخصلة التي
هي التوكل وقطع القلب عن العلائق فلما احكموها وحصلوا حقها تفرغوا للعبادة لله تعالى

مطلب التوكل

وتمكنوا من التفرد عن الخلق والسياحة في الارض واقتحام الفيافي واستيطان الجبال والشعاب
فصاروا اقوياء العباد ورجال الدين واحرار الناس وملوك الارض بالحقيقة يسيرون حيث
يشاؤن ويقصدون الامور العظام علما وعبادة كما يشاؤن لا عائق لهم ولا حاجة دونهم
فكل الاماكن واحد وكل الازمان عندهم واحد واليه اشار بقوله ع م من سره ان يكون اقوى الناس
فليتق الله ومن سره ان يكون اغنى الناس فليكن بما في يدي الله اوثق مما في يديه وعن سليمان
الخواص لو ان رجلا توكل على الله سبحانه بصدق النية لاحتاج اليه الامراء ومن دونهم وكيف يحتاج
ومولاه الغني الحميد وعن ابراهيم الخواص قال لقيت غلاما في التيه كانه سبيكة فضة قال قلت
له الى اين يا غلام قال الى مكة قلت بلا زاد ولا راحلة قال يا ضعيف اليقين الذي يقدر على حفظ السموات
والارض يقدر ان يوصلني الى مكة بلا زاد ولا راحلة فلما دخلت مكة فاذا هو في الطواف يقول
شعر يا نفس سيحي ابدا ⁂ ولا تحبي احدا ⁂ الا الجليل الصمد ⁂ يا نفس موتي كمدا ٥ فلما راني قال
يا شيخ انت بعد على ذلك الضعف وقال ابو مطيع لحاتم الاصم بلغني انك تقطع المفاوز بالتوكل
من غير زاد ولا راحلة قال حاتم زادي اربعة اشياء قال ما هي قال ارى الدنيا والاخرة مملكة الله عز وجل
وارى الخلق كلهم عبيد الله عز وجل وارى الارزاق والاسباب كلها بيد الله عز وجل وارى قضاء الله
نافذا في خلقه في جميع ارض الله ولقد صدق من قال شعر ارى الزهاد في روح وراحة قلوبهم
عن الدنيا مزاحة ⁂ اذا ابصرتهم ابصرت قوما ملوك الارض شيمتهم سماحة ٥ والامر الثاني الذي
اقتضى التوكل على الله سبحانه في هذا الشان ما في تركه من الخطر العظيم والامر الكبير قلت اليس الله سبحانه
قرن الرزق بالخلق فقال الله تعالى خلقكم ثم رزقكم فدل ان الرزق من الله لا من غيره كالخلق ثم لم يكتف
بالدلالة حتى وعد فقال ان الله هو الرزاق ثم لم يكتف بالوعد حتى ضمن فقال وما من دابة في الارض الا على
الله رزقها ثم لم يكتف بالضمان حتى اقسم فقال فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون ثم لم يكتف
بذلك كله امر بالتوكل وابلغ وانذر فقال وتوكل على الحي الذي لا يموت وقال سبحانه وعلى الله فتوكلوا
ان كنتم مؤمنين فمن لم يعتبر قوله ولم يكتف بوعده ولم يطمئن بضمانه ولم يقنع بقسمه ثم لم

بيان بامره

شديدة

يبال بامره ووعده ووعيده فانظر ماذا يكون حاله وانتبه واي محنة تجيء من هذا وهذه والله مصيبة
ونحن منها في غفلة عظيمة ولقد قال الصادق المصدوق الامين صلعم لابن عمر كيف انت اذا بقيت في قوم
يخبؤن رزق سنتهم لضعف اليقين وعن الحسن لعن الله اقواما اقسم لهم ربهم فلم يصدقوه
وقالت الملائكة عند نزول هذه الاية فورب السماء والارض هلكت بنو ادم اغضبوا الرب حتى اقسم
لهم على ارزاقهم وعن اويس القرني انه قال لو عبدت الله عز وجل عبادة اهل السموات والارض
لا يقبل الله منك حتى تصدقه وقيل كيف نصدقه قال تكون امنا بما تكفل الله عز وجل من امر رزقك
وترى جسدك فارغا لعبادته ولقد قال هرم بن حيان لاويس اين تامرني ان اقيم فاومى
بيده الى الشام فقال كيف المعيشة بها قال اف لهذه القلوب خالطها الشك فما تنفعها الموعظة
وبلغنا ان نباشا تاب على يدي ابي يزيد البسطامي رح فسال ابو يزيد عن حاله فقال نبشت عن الف من القبور
عن الف فلم ار وجوههم الى القبلة الا رجلين فقال ابو يزيد مساكين اولئك تهمة الرزق حولت وجوههم
عن القبلة وذكر لي بعض اصحابنا انه راى رجلا من اهل الصلاح فساله عن حاله فقال هل سلمت
بايمانك فقال انما يسلم الايمان للمتوكلين نسال الله ان يصلحنا بفضله ولا يواخذنا بما نحن اهله
انه ارحم الراحمين فهذه هذه فان قلت فاخبرنا ما حقيقة التوكل وحكمه وما يلزم العبد منه في امر
الرزق فاعلم انما يتبين لك باربعة فصول بيان لفظ التوكل وموضعه وحده وتحصيله فاما اللفظ
فانما هي توكل من تفعل من الوكالة فالمتوكل على احد هو الذي يتخذه بمنزلة الوكيل القائم بامره الضامن
لاصلاحه الكافي له من غير تكلف واهتمام فهذه جملة واما الموضع فاعلم التوكل اسم يطلق في ثلثة
مواضع احدها في موضع القسمة وهو الثقة بالله فانه لا يفوتك ما قسم الله لك فانه حكم لا يتبدل
وهذا واجب بالسمع والثاني في موضع النصرة وهو الاعتماد والوثاقة بنصر الله عز وجل اذا نصرته
وجاهدت قال الله تعالى فاذا عزمت فتوكل على الله وقال ان تنصروا الله ينصركم وقال الله تعالى
وكان حقا علينا نصر المؤمنين وهذا واجب بالوعد والثالث في موضع الرزق والحاجة فان الله تعالى
متكفل بما يقيم بنيتك لخدمته فتمكن به من عبادته لقوله عز وجل ومن يتوكل على الله فهو حسبه

وقال الصادق الامين صلوات الله عليه لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا
وتروح بطانا وهذا فرض دينية لازم للعبد بدليل العقل والسمع جميعا وهذا هو الاشهر الاغلب
التوكل في موضع الرزق وهو المقصود في هذا الفصل فموضع التوكل اذا هو الرزق
المضمون فيما قال العلماء بالله تع وانما يتضح لك هذا ببيان اقسام الرزق فاعلم ان الرزق
اربعة اقسام مضمون ومقسوم ومملوك وموعود فالمضمون هو الغذاء وما به قوام البنية دون
سائر الاسباب فالضمان من الله تع لهذا النوع والتوكل يجب بازائه بدليل العقل والشرع لان
الله تع كلفنا خدمته وطاعته بابداننا وضمن ما يسد الخلل المبنية لنقوم بما كلفنا وقال بعض مشايخ
الكرامية كلاما استحسنه على اصله ان ضمان ارزاق العباد واجب في حكمة الله تع لثلثة اشياء احدها
انه سيد ونحن العبيد وعلى السيد كفاية مؤنة العبد كما ان على العبد خدمة السيد والثاني انه خلقهم
محتاجين الى الرزق ولم يجعل لهم سبيل الطلب اذ لا يدرون ما هو رزقهم واين هو ومتى هو ليطلبوه
بعينه في مكانه وفي وقته ليصلوا اليه فوجب ان يكفيهم امر ذلك ويوصله اليهم والثالث انه كلفهم
الخدمة وطلب الرزق عنها شاغل فوجب ان يكفيهم المؤنة ليتفرغوا للخدمة وهذا كلام لم
يحط باسرار الربوبية والقائل بان الرزق على الله تع عز وجل عليه واجب مخطئ وقد اوضحنا
في ضمن الكلام فساده ولنرجع الى المقصود من غرضنا واما الرزق المقسوم فهو ما قسم الله تع
وكتبه في اللوح المحفوظ ما ياكله ويشربه ويلبسه كل واحد بمقدار مقدر ووقت موقت لا يزيد ولا ينقص
ولا يتقدم ولا يتاخر عما كتب بعينه قال النبي صلى الله عليه وسلم الرزق مقسوم مفروغ منه ليس
تقوى تقي بزائده ولا فجور فاجر بناقصه واما المملوك فهو ما يملك كل واحد من اموال الدنيا الاعلى
حسب ما قدر الله عز وجل وقسم له ان يملكه وهو من رزق الله تع قال الله تع انفقوا مما
رزقناكم اي ملكناكم واما الموعود فهو ما وعد الله تع للمتقين من عباده بشرط التقوى حلالا
من غير كد قال الله تع ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فهذه اقسام
الرزق والتوكل انما يجب بازاء المضمون منها فاعلم ذلك واما حد التوكل قال بعض شيوخنا

انه اتكال

انه اتكال القلب الى الله تع بالانقطاع اليه والاياس عما دونه وقال بعضهم حفظ القلب
مع الله المواضع المصلية بترك تعليقه على شيء دونه وقال الشيخ ابن عمر رحمه الله التوكل ترك التعلق
والتعليق ذكر قوام بنيتك بشيء دون الله تع وقال شيخنا الامام رحمه التوكل والتعليق ذكران
فالتوكل هو ذكر قوام بنيتك من قبل الله تع والتعليق ذكر قوامها دون الله تع والاقاويل
عندي ترجع الى اصل واحد وهو ان توطن قلبك على ان قوام بنيتك وسد خلتك وكفايتك
انما هو من الله عز وجل لا باحد دون الله تع ولا بطعام من الدنيا ولا بسبب من الاسباب ثم لعل
الله سبحانه ان شاء يسبب لك مخلوقا او حطاما وان شاء كفى بقدرته دون الاسباب والوسائط
فاذا ذكرت ذلك بقلبك وتوطنت عليه وانقطع القلب عن المخلوقين والاسباب بمرة الى الله
سبحانه وحده فقد حصل التوكل حقه فهذه حده واما حصن التوكل الباعث فهو ذكر ضمان
الله تع وحصن حصينه ذكر جلال الله تع وكماله في علمه وقدرته ونزاهته عن الخلق والسهو
والعجز والنقص فاذا واظب العبد هذه الاذكار بعثته على التوكل على الله سبحانه في امر الرزق
فان قيل فهل يلزم العبد طلب الرزق بحال ما فاعلم ان الرزق المقسوم المعلوم المضمون
الذي هو الغذاء والقوام فلا يمكننا طلبه اذ هو شيء من فعل الله سبحانه بالعبد كالحيوة والموت
لا يقدر العبد على تحصيله ولا دفعه واما المقسوم من الاسباب فلا يلزم للعبد طلبه اذ لا حاجة
للعبد الى ذلك وانما حاجته الى المضمون وهو من الله عز وجل وفي ضمانه عز وجل واما قوله
وابتغوا من فضل الله المراد به العلم والثواب وقيل بل هي رخصة اذ هو امر وارد بعد الحظر فيكون
بمعنى الاباحة لا بمعنى الايجاب والالزام فان قيل لكن لهذا الرزق المضمون اسباب هل يلزم طلبها
طلب الاسباب قيل له لا يلزمك ذلك اذ لا حاجة للعبد اليه اذ الله سبحانه يفعل بسبب وبغير سبب
فمن اين يلزمنا طلب السبب ثم ان الله عز وجل ضمن لك ضمانا مطلقا من غير شرط الطلب والكسب
قال الله تع وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ثم كيف يصح ان يامر العبد بطلب
ما لا يعرف مكانه فيطلبه اذ لا يعرف اي سبب منها رزقه الذي يتناوله لا غيره والذي يصير

قال الشاعر لقد علمت وما الاسراف من خلقي ان الذي هو رزقي سوف ياتيني اسعى له فيعنيني طلبه

سبب غذائه وتربيته لا غير فالواحد منا لا يعرف ذلك السبب بعينه من اين يحصل له
فلا يصح تكلفه فتامل فانه بين ثم حسبك ان الانبياء صلوات الله عليهم والاولياء
المتوكلين لم يطلبوا الرزق في الاكثر والاعم وتجردوا للعبادة وباجماع الامة انهم لم يكونوا
تاركين لامر الله عز وجل ولا عاصين له في ذلك فتبين لك ان طلب الرزق واسبابه
ليس بامر لازم للعبد **فان قلت** هل تزيد الرزق بالطلب وهل ينقص بترك الطلب
فكلا فانه مكتوب في اللوح المحفوظ مقدر موقت ولا تبديل لحكم الله عز وجل ولا تغيير لقسمته
وكتابته هو الصحيح عند علمائنا رضي الله عنهم خلافا لما ذهب اليه بعض اصحاب حاتم وشقيق
قالوا ان الرزق لا يزيد ولا ينقص بفعل العبد لكن المال يزيد وينقص وهذا فاسد لان
الدليل في الموضعين واحد وهو الكتابة والقسمة واليه الاشارة بقوله عز وجل لكيلا تأسوا على
ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتيكم ولو كان بالطلب يزيد وبالترك ينقص لكان للاسى والفرح موضع
اذ هو قصر وتوانى حتى فاته او جد وتشمر حتى حصله وقال عم للسائل ها لو لم تاتها
لاتتك **فان قيل** فالثواب والعقاب ايضا مكتوب في اللوح المحفوظ ثم يلزمنا طلب الثواب وترك موجب
العقاب فهل يزيد بالطلب وينقص بالترك **فاعلم** ان طلب الثواب انما وجب من حيث ان الله تعم امر به
امرا حتما مطاعا واوعد على تركه ولم يضمن بالثواب على غير فعل منا في زيادة الثواب والعقاب بفعل العبد
فالفرق بينهما في نكتة وهي ما قاله بعض علمائنا ان المكتوب في اللوح قسمان **قسم** هو مكتوب مطلقا من
غير شرط وتعليق بفعل وهو الارزاق والاجال الا ترى كيف ذكرها الله تعم مطلقا غير مشروط
قال الله تعم وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقال اذا جاء اجلهم لا يستقدمون وقال
صاحب الشرع عم اربعة قد فرغ منهن الخلق والخلق والرزق والاجل **وقسم** مكتوب بشرط
معلوم بفعل العبد وهو الثواب والعقاب الا ترى كيف ذكرها الله عز وجل في كتابه معلقا بفعل
العبد قال الله تعم ولو انهم امنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم وهذا
بين فاعلمه **فان قيل** فنحن نجد الطالبين يجدون الارزاق والاموال والتاركين يعدمون ويفتقرون **قيل له**

لا يستاخرون ساعة و

كانك لا تجد

٤٥

كانك لا تجد مع ذلك طالبا محروما وفقيرا وتاركا فارغا مرزوقا غنيا بلى ان هذا هو الاكثر لتعلم ان ذلك هو
تقدير العزيز العليم وتدبير الملك الحكيم **شعر** انشد ابو بكر محمد بن سابق الصيقلي الواعظ بالشام رحمه الله :
كم من قوي قوي في تقلبه : مهذب الراي عنه الرزق منحرف ٥ وكم ضعيف ضعيف في تقلبه : كانه
من خليج البحر يغترف ٥ وهذا دليل على ان الاله له في الخلق سر خفي ليس ينكشف **فان قلت** فهل ندخل البادية
بلا زاد **فاعلم** ان كان قوي القلب بالله عز وجل والثقة البالغة بوعده تعالى فادخل والا فكن كالعوام بعلائقهم
ولقد سمعت الامام ابا المعالي رحمه الله يقول ان من جرى مع الله عز وجل على عادة الناس جرى الله تعم
معه على ما هو عادة الناس في كفاية المؤنة وهذا الكلام حسن جدا وفيه فوائد لمن تاملها **فان قلت**
اليس الله يقول وتزودوا فان خير الزاد التقوى **فاعلم** ان فيه قولان **احدهما** انه زاد الاخرة ولذلك
قال خير الزاد التقوى ولم يقل طعامها واسبابها **والثاني** انه كان قوم لا يحملون الزاد في طريق
الحج لانفسهم اتكالا على الناس ثم يسئلون ويلحون ويؤذون الناس فامروا بالزاد امر تنبيه على ان
اخذ الزاد من مالك خير من اخذ مال الناس والاتكال عليهم وكذلك يقول **فان قلت** فالمتوكل يحمل
الزاد في الاسفار **فاعلم** انه ربما يحمل ولا يتعلق القلب به بانه لا محالة فيه رزقه وقوامه انما يتعلق القلب
بالله عز وجل ويتوكل عليه ويقول ان الرزق مقسوم مفروغ منه والله تعم ان شاء اقام بنيتي بهذا
او بغيره وربما يحمل بنية اخرى بان يعين مسلما ونحو ذلك وليس الشان في اخذ الزاد وتركه انما الشان
في القلب ان لا تعلق قلبك الا بوعد الله عز وجل وحسن كفايته وضمانه وكم من حامل الزاد وقلبه مع الله
دون الزاد وكم من تارك للزاد وقلبه مع الزاد دون الله تعم فالشان اذا في القلب فافهم هذه
الاصول تكفي المؤنة ان شاء الله تعم **فان قيل** فالنبي صم كان يحمل الزاد وكذلك الصحابة وهو اسوة الصالح **قيل له**
فلا جرم ان ذلك مباح غير حرام وانما الحرام تعليق القلب بالزاد وترك التوكل على الله سبحانه فافهم
ذلك ثم ما ظنك برسول الله صم حيث قال له الله سبحانه وتوكل على الحي الذي لا يموت اعصاه في ذلك الوقت
وعلق قلبه بطعام او شراب او درهم او دينار كلا وحاشا ان يكون ذلك بل كان قلبه مع الله
عز وجل وتوكل عليه كما امره فانه الذي لم يلتفت الى الدنيا باسرها ولم يمد يده الى مفاتح خزائن الارض كلها

وانما كان الزاد منه ومن السلوك الصالح لتنبيه الخير لا ليميل قلوبهم عن الله عز وجل الى الزاد والعتبر
الذي اعلمناك فانتبه من رقدتك **فان قلت** ايهما افضل اخذ الزاد ام تركه **فاعلم** ان هذا يختلف
باختلاف الحال ان كان معتقدا يريد ان يبين ان اخذ الزاد مباح او يكون به عون مسلم او اغاثة ملهوف
ونحو ذلك فالاخذ افضل وان كان منفردا قوي القلب بالله عز وجل فيشغله الزاد عن عبادة الله تعالى
فالترك افضل فتفهم هذه الجملة وتحفظ بها راشدا وبالله التوفيق **العارض الثالث** الاخطار
والمخاوف وارادتها وارتكابها وقصدها وانما كفايتها بالتفويض **ثم** فعليك بتفويض الامر كله
الى الله سبحانه وذلك لامرين **احدهما** لطمانينة القلب في الحال فان الامور اذا كانت مخطرة مبهمة لا تدري
صلاحها من فسادها فتكون مضطرب القلب قائم النفس لا تدري تقع في صلاح او فساد فاذا فوضت
الامر الى الله سبحانه علمت انك لا تقع الا في صلاح وخير فتكون امنا من الخطر والآفة والمخافة مطمئن
القلب في الحال وهذه الطمانينة والامن والراحة في الوقت غنيمة عظيمة وكان شيخنا رحمه الله يقول في مجالستنا
كثيرا دع التدبير الى من خلقك تسترح فقد انشد في ذلك ان من كان ليس يدري اي المحبوب صنع له او المكروه
لحري بان يفوض ما يعنيه الى الذي يكفيه الاله البر الذي هو بالرأفة احنى من امه وابيه **والثاني** من
الامرين حصول الصلاح والخير في الاستقبال وذلك لان الامور بالعواقب مبهمة فكم من شر في صورة
خير وكم من نفع في حلية ضر وكم من سم في هيئة شهد وانت الجاهل بالعواقب والاسرار فاذا
اردت الامور قطعا واخذت باختيارك متحكما فما اسرع ما تقع في هلاكك وانت لا تشعر
ولقد حكي ان بعض العباد كان يسأل الله تعالى ان يريه ابليس فقيل له سل الله العافية فابى الا ذلك
فاظهره الله تعالى له فلما رآه العابد قصده بالضرب فقال له ابليس لولا انك تعيش مائة سنة لاهلكتك
وعاقبتك فاغتر بقوله وقال في نفسه ان عمري بعيد فافعل ما اريد ثم اتوب فوقع في الفسق
وترك العبادة فهلك ففي هذا ما ينبهك على ترك الحكم في ارادتك والالحاح في مطلوبك ويحذرك طول
الامل ايضا فانه الآفة العظيمة ولقد صدق القائل فاياك المطامع والاماني فكم امنية جلبت منية
واما اذا فوضت الامر الى الله سبحانه وسألته ان يختار لك ما هو صلاحك لم تلق الا الخير والسداد

ولا تقع

ولا تقع الا على صلاح قال الله حكاية عن العبد الصالح وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد
فوقيه الله سيئات ما مكروا اما ترى كيف اعقب تفويضه الوقاية من الاسواء والنصر على الاعداء
وبلوغ المراد فتامل موفقا **فان قلت** فبين لنا معنى التفويض وحكمه **فاعلم** ان ههنا فصلين بهما يتضح
الكلام **احدهما** موضع التفويض **والثاني** معناه وحده **اما** موضعه فاعلم ان المرادات ثلثة مراد
تعلم يقينا انه فساد وشر لا شك فيه البتة كالنار والعذاب وفي الافعال كالكفر والبدعة والمعصية
فلا سبيل الى ارادة ذلك **والثاني** مراد تعلم قطعا انه خير وصلاح كالجنة والايمان والسنة ونحو ذلك
فلك ارادتها بالحكم لا موضع للتفويض فيه اذ لا خطر فيه ولا شك انه خير وصلاح **والثالث** مراد
لا تعلم يقينا ان لك فيه صلاحا ام فسادا وذلك نحو النوافل والمباحات فهذا موضع التفويض
فليس لك ان تريدها قطعا بل بالاستثناء وشرط الخير والصلاح فان قيدت ارادتك بالاستثناء
فهو تفويض وان اردت دون الاستثناء فهو طمع مذموم منهي عنه فموضع التفويض اذا كل
مراد فيه خطر وهو ان لا تستيقن صلاحك فيه **واما معنى التفويض** فقال بعض شيوخنا هو ترك اختيار
ما فيه مخاطرة الى المختار المدبر العالم بمصلحة الخلق وعبارة الشيخ ابو محمد السجزي رض هو ترك اختيارك
فيه المخاطرة على المختار ليختار لك ما هو خير لك وقال الشيخ ابو عمر رح هو ترك الطمع والطمع ارادة
الشيء المخاطر بالحكم فهذه عبارة المشائخ والذي نقوله ان التفويض ارادة ان يحفظ الله عليك
مصالحك فيما لا تامن فيه الخطر وضد التفويض الطمع والطمع في الجملة على وجهين **احدهما** في معنى
الرجاء تريد شيئا لا خطر فيه او مخاطرة بالاستثناء وذلك ممدوح غير مذموم كما قال الله تعالى والذي اطمع ان
يغفر لي خطيئتي يوم الدين انا نطمع ان يغفر لنا وهذا القسم ليس مما نحن فيه بسبيل ههنا **والثاني**
طمع مذموم قال النبي صلى الله عليه وسلم واياكم والطمع فانه فقر حاضر وقيل هلاك الدين وفساده الطمع وملاكه
الورع قال شيخنا رض الطمع المذموم شيئان سكون القلب الى منفعة مشكوكة والثاني ارادة
الشيء المخاطر بالحكم وهذه هو الارادة تقابل التفويض لا غير فاعلم ذلك **واما حصن التفويض** فهو
ذكر خطر الامور وامكان الهلاك والفساد فيها **وحصن حصنه** ذكر عجزك عن الاختصاص

على هذين

من ضروب الخطر والامتناع عن الوقوع فيها بجهلك وغفلتك وضعفك فالمواظبة
المذكورين يحملك على تفويض الامور كلها الى الله والتحفظ عن الحكم فيها والامتناع عن ارادتها
الا بشرط الخير والصلاح فهذه هذه وبالله التوفيق فان قيل فما حد الخطر الذي يوجب التفويض
لاجله في الامور فاعلم ان الخطر في الجملة خطران خطر الشك بانه يكون او لا يكون وانك تصل
اليه او لا تصل فهذا يحتاج الى التفويض ويقع في باب النية والامل والثاني خطر الفساد بان
لا تستيقن فيه الصلاح لنفسك وهو الذي يحتاج فيه الى التفويض ثم اختلفوا عبارات الائمة في الخطر
فعن بعضهم ان الخطر في الفعل هو ان يكون دونه نجاة ويمكن ان يجامعه ضرر فالايمان والسنة
والاستقامة لا خطر فيها اذ لا يمكن دون الايمان نجاة والاستقامة على الطاعة لا يجامعها ذنب
فاذا تصح ارادة الايمان والاستقامة بالحكم وقال الاستاد رض الخطر في الفعل ما يمكن ان يعترض
فيه ما يكون الاشتغال بالعارض اولى من الاقدام على ذلك الفعل وذلك يقع في المباحات والسنن
والفرائض الا ترى ان من يضيق عليه وقت الصلوة وقصد اداءها فعرض له حريق او غريق
يمكنه انقاذه فالاشتغال بانقاذه اولى من اقباله على صلوته فلا تصح اذا ارادة المباحات
والنوافل وكثير من الفرائض بالحكم فان قيل كيف يصح ان يفترض الله عز وجل على عبده شيئا
ويوعده على تركه ثم لا يكون له صلاح في فعله فاعلم ان شيخنا رح قال ان الله عز وجل لا يامر
العبد بشيء الا وفيه صلاح اذا تجرد عن العوارض ولا يضيق عليه فعله فرضا بحيث لا معدل
له عن ذلك الا وله فيه صلاح وانه ربما يسبب الله عز وجل له عذرا لاجله فيكون المعذور عن احد
المامورين اولى من الاشتغال بالآخر كما ذكرنا فيكون العبد في ذلك معذورا بل ماجورا لا بترك
هذا الفرض بل بفعل الفرض الذي هو اولى ولقد سمعت الامام رح يقول ان الذي افترض الله على عباده
من الصلوة والحج والصوم ونحوه ففيها صلاح للعبد لا محالة وصحت ارادتها بالحكم قال فاتفق
ائمتنا على ذلك فبقي المباحات والنوافل اذا في الحكم فاعلم ذلك فانه في غوامض الباب وبالله التوفيق
وهو حسبنا الله ونعم الوكيل فان قيل هل يامر المفوض الهلاك والفساد والاذى لكنه

فاعلم ان

٤٧

يخذله

فاعلم ان في الاغلب لا يفعل بالمفوض الا الصلاح وقد يفعل به في النادر غير الصلاح ولذلك ربما
فيقع عن منزلة التفويض ولا صلاح للعبد في الخذلان والوقوع عن منزلة التفويض وبه قال
الشيخ ابو عمر رح وقيل لا يفعل بالمفوض الا ما فيه صلاحه فيما فوض الى الله سبحانه والخذلان
والقصور عن منزلة التفويض مما لا يقع فيه التفويض اذ لا شك في فساد ذلك والتفويض انما يقع
فيما يشك في فساده وصلاحه وهذا اولى القولين عند شيخنا رح اذ لولا ذلك لما قويت الباعثة
على التفويض فان قيل فهل يجب ان يفعل بالمفوض ما هو الافضل فاعلم ان الايجاب مستحيل
في حق الله تعالى فلا يجب لعباده عليه شيء وقد يفعل بالعبد الاصلح دون الافضل حكمة من فعله الا
ترى انه قدر للنبي صلى الله عليه وسلم ولاصحابه ان ناموا طول الليل الى طلوع الشمس في بعض الاسفار حتى فاتتهم
صلوة الليل وصلوة الفجر والصلوة افضل من النوم وربما يقدر للعبد الغنى والنعمة في الدنيا وان
كان الفقر افضل ويقدر له الاشتغال بالاولاد والازواج وان كان التجرد لعبادة الله افضل
فانه بعباده خبير بصير وهذا كما ان الطبيب الحاذق الناصح يختار للمريض ماء الشعير وان كان ماء
السكر افضل له وانفع لكن لما علم ان صلاح علته في ماء الشعير والمقصود للعبد النجاة
من الهلاك لا الافضل والشرف من الفساد والهلاك فان قيل هل يكون المفوض مختارا فاعلم ان
الصحيح عند علمائنا يكون مختارا ولا يقدح في تفويضه ذلك لان المعنى فيه اذا كان له صلاح في المفضول
والافضل فهو يريد من الله تعالى ان يسبب له الافضل كما ان المريض يقول للطبيب اصلح دوائي
ماء السكر دون ماء الشعير ان كان لي صلاح في كليهما ليحصل لي الفضل والصلاح جميعا وكذلك
دواء العبد فيسأل الله تعالى ان يجعل صلاحه فيما هو الافضل ويسبب له ذلك ليجمع له الفضل والصلاح
جميعا ولكن شرط انه ان اختار الله تعالى له الصلاح في غير الافضل ان يكون له راضيا بذلك فان قيل
اذا كان للعبد ان يختار الافضل وليس له ان يختار الاصلح فاعلم ان الفرق بينهما ان العبد يعرف
الافضل من المفضول ولا يعرف الصلاح من الفساد ليريدهما بالحكم ثم معنى اختياره الافضل
انه يريد من الله تعالى ان يجعل صلاحه فيما هو الافضل ويختار له ذلك ويقدره لا ان للعبد حكما في شيء من ذلك

فاعلم فهذه جملة من دقيق هذا العلم واسراره ولولا ان الحاجة مسّت اليه لما تعرضنا له لايراده
لانه تلاطم بحار علوم المكاشفة مع اني اقتصرت على النكتة المقنعة في هذا الكتاب وقصدت الايضاح
لينتفع به فحول العلماء والمبتدئون ان شاء الله تعالى عز وجل العارض الثالث القضاء
وورود انواعه وانما كفايته بالرضاء له فعليك ان ترضى بقضاء الله عز وجل وذلك لامرين
احدهما التفرغ للعبادة لانك اذا لم ترض بالقضاء فتكون مهموما مشغول القلب ابدا بانه لِمَ
كان كذا ولِمَ لا يكون كذا فاذا اشتغل القلب بشيء من هذه الهموم كيف يتفرغ للعبادة اذ ليس
لك الا قلب واحد وقد ملأته من الهموم وما كان من الدنيا وما يكون منها فاي موضع بقي فيه لذكر
العبادة وفكر الاخرة ولقد صدق شقيق رحمه الله ان حسرة الامور الماضية وتدبير الاتية قد ذهبت
ببركة ساعتك هذه والثاني من الامرين خطر ما في السخط من غضب الله سبحانه ولقد روينا في الاخبار
ان نبيا من الانبياء شكى بعض ما ناله من المكروه الى الله عز وجل فاوحى الله اليه اتشكوني ولست
باهل ذم ولا شكوى هكذا بدو شانك في علم الغيب فلم تسخط قضائي عليك اتريد ان اغيّر
الدنيا لاجلك او ابدل اللوح المحفوظ بسببك فاقضي ما تريد دون ما اريد ويكون ما تحب دون
ما احب فبعزتي حلفت لئن تلجلج هذا في صدرك مرة اخرى لاسلبنك ثوب النبوة
ولاوردنك النار ولا ابالي قلت فليستمع العاقل هذه السياسة العظيمة والوعيد الهائل مع
انبيائه واصفيائه فكيف بغيرهم ثم استمع قوله لئن تلجلج هذا في صدرك مرة اخرى فهذا في حديث
النفس وتردد القلب فكيف بمن يصرخ ويستغيث ويشكو وينادي بالويل والصراخ من ربه الكريم
المحسن على رؤوس الملاء ويتخذ له اعوانا واصحابا وهذا لمن سخط مرة فكيف بمن هو في السخط
على الله عز وجل جميع عمره وهذا لمن شكا اليه فكيف بمن هو شكا الى غيره نعوذ بالله من شرور
انفسنا ومن سيئات اعمالنا ونسأله ان يعفو عنا ويغفر لنا سوء ادبنا ويصلحنا بحسن نظره
انه ارحم الراحمين فان قيل فما معنى الرضاء بالقضاء وحقيقة ذلك فاعلم ان علمائنا قالوا
الرضاء ترك السخط والسخط ذكر غير الذي قضى الله سبحانه بانه اولى به واصلح له فيما

وهو ولي التوفيق

مع

وهكذا

لا يستيقن

بقضاء الله

لا يستيقن فساده وصلاحه فهذا الشرط فيه فاعلم ذلك فان قلت اليس الشرور والمعاصي
بقضاء الله سبحانه وقدره فكيف يرضى العبد الشر ويلزمه ذلك فاعلم ان الرضاء انما يلزم بالقضاء
وقضاء الشر ليس بشر فانما الشر هو المقضي ولا يكون رضاء بالشر وقد قال شيوخنا
المقضيات اربعة نعمة وشدة وخير وشر فالنعمة يجب الرضا فيها بالقاضي والقضاء
والمقضي وعليه الشكر من حيث انها نعمة والشدة يجب الرضا فيها بالقاضي والقضاء
والمقضي ويجب عليه الصبر من حيث انه شدة والخير يجب فيه الرضا بالقضاء والقاضي والمقضي
وعليه ذكر المنة من حيث انه خير ووفقه والشر يجب عليه فيه الرضا بالقضاء والقاضي والمقضي
لا من حيث انه شر وكونه مقضيا يرجع الى القضاء والقاضي بالحقيقة وهذا كما ان الرضا
بمذهب المخالف ان يكون معلوما لك لا ان يكون مذهبا لك ثم كونه معلوما يرجع الى العلم فالرضى
والمحبة انما يكون بالحقيقة للعلم بمذهب المخالف لا المذهب فكذا ذلك المقضي الذي هو الشر فان قلت فالرضى
هل يكون مستبدا قيل له نعم بشرط الخير والصلاح دون الحكم فلا يخرجه ذلك عن الرضى بل يدل على الرضى
فهو اولى لان فيه الحب بشرع ورضى بذلك استزادة منه وكان صلى الله عليه وسلم اذا حضر اللبن يقول اللهم
بارك لي فيه وزدنا منه وفي غيره يقول وارزقنا خيرا منه وفي موضع من الموضعين لم يدل على انه
غير راض بما قدر الله تعالى له من ذلك فان قلت فلم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم الاستثناء وشرط الخير والصلاح
فاعلم ان هذه الامور انما يكون بالقلب وانما اللسان عبارة عن ذلك فلا يعتبر بترك عبارته
مع حصوله بالقلب فاعلم ذلك العارض الرابع الشدائد والمصائب وانما كفايتها بالصبر
فعليك بالصبر في جميع المواطن وانما ذلك لامرين احدهما الوصول الى العبادة وحصول مقصود
منها فان مبنى امر العبادة كلها على الصبر واحتمال المشقة فمن لم يكن صبورا لم يصل الى شيء منها
بالحقيقة ومن ذلك ان من قصد عبادة الله تعالى وتجرد لها محققا استقبلته الشدائد
والمحن والمصائب من وجوه احدها انه لا عبادة الا وفي نفسها مشقة ولذلك كل خير
الترغيب فيه ووعد الثواب عليه اذ لا يتاتى فعل العبادة الا بقمع الهوى وحصر النفس ازمى

من حيث انه نعمة

ومنفعة

لنا

بشرط

مطلب العارض الرابع

وحصر

فعل
عن الخير والرشد ومخالفة الهوى وقهر النفس من اشد الامور على الانسان وثالثها ان العبد اذا
الخير مع اشتقته لزم الاحتياط له حتى لا يفسد عليه والابقاء اشد من العمل وثانيها ان الارادة محنته
فمن كان فيها فلا بد من الابتلاء بشدايدها ومصايبها وذلك على اقسام فمنها المصيبة
في الاهل والقرابات والاخوان والاصحاب بالموت والفقد والفراق وفي النفس بانواع الا
مراض والاوجاع وفي العرض بقال الناس اياه والطعن فيه والازدراء به والغيبة والكذب عليه
وفي المال بالذهاب والزوال ولكل واحد من هذه المصيبات لدغة وحرقة من نوع غير نوع
الآخر فيحتاج الى الصبر عليها كلها والا فيمنعه الجزع والتلهف من التفرغ للعبادة
ورابعها ان طالب الآخرة اشد ابتلاء واكثر محنة ابدا ومن كان الى الله اقرب فالمصايب له في الدنيا
اكثر والبلاء عليه اشد اما تسمع قوله صلى الله عليه وسلم اشد الناس بلاء الانبياء ثم العلماء ثم الامثل فالامثل
فاذا من قصد الخير وتجرد لطريق الآخرة استقبلته هذه المحن فان لم يصبر عليها ولا يكون بحيث لا
يلتفت اليها انقطع عن الطريق واشتغل عن العبادة فلا يصل الى شيء من ذلك ولقد اعلمنا الله
سبحانه بالتقاء المحن والمصائب وابتلاء تناجي ذكره واكده فقال لتبلون في اموالكم وانفسكم
ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا ثم قال
وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور فكانه يقول وطنوا انفسكم على انه لا بد لكم من انواع
البلاء وان تصبروا فانتم الرجال وعزائمكم عزائم الرجال فاذا من عزم على عبادة الله تعالى يجب
اولا ان يعزم على الصبر الطويل ويوطن نفسه على احتمال المشاق العظيمة المتوالية
الى الموت والا فقد قصد الامر بغير آلته واتاه من غير جهته ولقد ذكر عن الفضيل رحمه الله قال من
عزم على قطع طريق الآخرة فليجعل في نفسه اربعة الوان من الموت الابيض والاحمر والاسود
والاخضر والموت الابيض الجوع والاسود ذم الناس والاحمر مخالفة الشيطان والا
خضر الوقائع بعضها على بعض والثاني من الامرين ما في الصبر من خير الدنيا والآخرة فمن ذلك
النجاة والنجاح قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ومعناه من يتق الله تعالى بالصبر يجعل له

على العمل

ثم الاولياء

مخرجا

٤٩

مخرجا من الشدائد ومنها الظفر على الاعداء قال الله تعالى فاصبر ان العاقبة للمتقين ومنها
الظفر بالمراد قال الله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقيل كتب يوسف في جواب يعقوب
عليه السلام ان اباك صبروا فظفروا فاصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا وفي هذا المعنى قيل لا تيأسن
وان طالت مطالبة اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا اخلق بذي الصبر ان يحظى بحاجته ومدمن
القرع للابواب ان يلجا ومنها التقدم على الناس والامامة قال الله تعالى وجعلناهم ائمة يهدون
بامرنا لما صبروا ومنها الثناء من الله تعالى قال سبحانه انا وجدناه صابرا نعم العبد ومنها البشا
والصلوة والرحمة قال الله تعالى وبشر الصابرين الى قوله اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم
المهتدون ومنها المحبة من الله تعالى قال الله تعالى ان الله يحب الصابرين ومنها الدرجات العلى في الجنة
قال الله تعالى اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ومنها الكرامة العظيمة قال الله تعالى سلام عليكم بما صبرتم
ومنها ثواب بلا غاية ولا نهاية خارجا عن اوهام الخلق وعدهم واحصائهم قال الله تعالى انما يوفى
الصابرون اجرهم بغير حساب فسبحانه من سيد ماجد ما اكرمه وكل هذه الكرامة في الدنيا والآخرة
يعطيها على صبر ساعة فبان لك ان خير الدنيا والآخرة كله في الصبر قال صلى الله عليه وسلم ما اعطي احد من عطاء
خيرا اوسع من الصبر وعن عمر رضي الله عنه جميع خير المؤمن في صبر ساعة واحدة ولقد احسن القائل حيث
قال اصبر وان طالت الليالي فكل خير به يكون الصبر مفتاح ما يرجى فربما امكن الحرون وربما
نيل باصطبار ما قيل هيهات لا يكون ولبعضهم يقول صبرت وكان الصبر مني سجية وحسبك ان
الله اثنى على الصبر فعليك باغتنام هذه الخصلة الشريفة وبذل المجهود فيها تكن من الفائزين والله تعالى
ولي التوفيق فان قيل فما حقيقة الصبر وحكمه قلت فاعلم ان لفظ الصبر من طريق اللغة الحبس
قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين اي احبس نفسك يدعون ربهم انما يوصف الله تعالى بالصبر على معنى حبس العقاب عن المجرمين فلا يعجلهم به
ثم المعنى الذي هو من مساعي القلب يسمى صبرا لانه حبس النفس عن الجزع والجزع فيما قال العلماء ذكر
اضطراب في الشدة وقيل بارادة الخروج عن الشدة بالحكم والصبر تركه وحصن الصبر
ذكر مقدار الشدة ووقتها فانها لا تزيد ولا تنقص ولا تتقدم ولا تتاخر ولا فائدة في الجزع

بل فيه الضرر والخطر وحسن هذا الحصن ذكر عوض الله تعالى عليه وكريم الاجر في ذلك لديه
فهذه هذه وبالله التوفيق فصل فعليك بقطع هذه العقبة الشديدة المنيعة بدفع
هذه العوارض الاربع وازاحة عللها والا فلا تدعك تدرك مقصودك من العبادة وتتفكر فيها
فضلا عن ان تدركها وتحصلها وان لكل واحد منها شغلا شاغلا عاجلا واجلا ثم ان اعظمها
واعضلها امر الرزق وتدبيره فانه البلية الكبرى لعامة الخلق اتعبت نفوسهم واشغلت قلوبهم واكثرت
همومهم وغمومهم وضيعت اعمارهم واعظمت تبعتهم واوزارهم وعدلت بهم عن باب الله تعالى عز وجل
وخدمته الى خدمة الدنيا وخدمة المخلوقين فعاشوا في الدنيا في غفلة وظلمة وتعب ونصب ومهانة
وذل وقدموا الآخرة مفاليس بين ايديهم الحساب والعذاب ان لم يرحم الله عز وجل بفضله فانظر
كم آية انزل الله تعالى في ذلك وكم ذكر من وعده وضمانه وقسمه في ذلك ولم تزل الانبياء والعلماء
يعظون الناس على ذلك ويبينون لهم الطرق ويصنفون لهم الكتب ويضربون لهم الامثال ويخوفونهم
بالله عز وجل وهم مع ذلك لا يهتدون ولا يتقون ولا يطمئنون بل هم في غمرة من ذلك لا يزالون
يخافون ان يفوتهم غداء وعشاء واصل ذلك كله قلة التدبر لآيات الله تعالى وقلة التفكر في صنائع
الله عز وجل وترك التذكر لكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك التامل لاقوال الصالحين مع الاسترسال
لوساوس الشياطين والاصغاء الى كلام الجاهلين والاغترار بعادات الغافلين حتى تمكن الشيطان
منهم ورسخت العادات في قلوبهم فيؤديهم ذلك الى ضعف القلب ورقة اليقين واما الا
خيار الذين هم اولو الابصار وارباب الجد والاجتهاد ابصروا طريق السماء فلم يعبؤوا باسباب الارض
واعتصموا بحبل الله فلم يكترثوا بالعلائق بعلائق الخلق وتعلقوا بآيات الله عز وجل وابصروا
طريقهم ولم يلتفتوا الى وساوس الشيطان والخلق والنفس فاذا وسوس بهم شيطان او نفس او
انسان بشيء قاموا بالمناقشة والمدافعة والمخالفة حتى ولى الخلق عنهم وانعزل عنهم الشيطان
وانقادت لهم النفس واستقام لهم الطريق المستقيم على ما ذكر عن ابراهيم بن ادهم رحمه الله لما اراد ان
يدخل البادية اتاه الشيطان فخوفه ان هذه بادية مهلكة ولا زاد معك ولا سبب فعزم

على نفسه رحمه

على نفسه رحمه الله ان يقطع البادية على تجرده وان لا يقطعها حتى يصلي تحت كل ميل من اميالها الف ركعة ووفى
بما عزم وبقي في البادية اثنتي عشرة سنة حتى ان الرشيد حج في بعض تلك السنين فراه تحت ميل يصلي فقيل
له هذا ابراهيم يصلي فاتاه فقال كيف تجدك يا ابا اسحق فانشا ابراهيم يقول شعرا نرقع دنيانا بتمزيق
ديننا ۵ فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع ۵ فطوبى لعبد آثر الله ربه ۵ وجاد بدنياه لما يتوقع ۵ وعن
بعض الصالحين رحمه الله انه كان في بعض البوادي فوسوس له الشيطان بانك متجرد وهذه بادية مهلكة
لا عمران فيها ولا ناس فعزم على نفسه بان يمضي على تجرده وان يترك الطريق حتى لا يقع باحد من الناس
ولا ياكل شيئا حتى يجعل في فيه السمن والعسل ثم عدل عن الشارع ومر على وجهه قال رحمه الله فسرت
ما شاء الله فاذا بقافلة قد اضلت الطريق وهم يسيرون فلما ابصرتهم رميت بنفسي الى الارض لعلهم
لا يبصروني فسيرهم الله عز وجل حتى وقفوا علي فغمضت عيني فدنوا مني وقالوا هذا انقطع غشي
عليه من الجوع والعطش فاتوا سمنا وعسلا قالوا اجعله في فيه لعله يفيق فاتوا بسمن وعسل فشددت
فمي واسناني فاتوا بسكين يعالجون فمي حتى يفتحوه فضحكت وفتحت فاي فلما راوا ذلك قالوا امجنون
انت قلت لا والحمد لله ربي واخبرتهم ببعض ما جرى لي مع الشيطان وعن بعض مشايخنا رحمه الله
قال نزلت في بعض اسفاري مسجدا ايام التعليم وكنت متجردا على عادة اوليائنا فوسوس لي الشيطان ان
هذا المسجد بعيد عن الناس لو صرت الى مسجد بين الناس يراك اهله وقاموا بكفايتك فقلت
لا ابيت الا ههنا وعلي عهد الله ان لا آكل شيئا الا الحلوا ولا آكل حتى يوضع في فمي لقمة لقمة
وصليت العتمة واغلقت الباب فلما مضى صدر من الليل واذا انا بانسان يدق الباب ومعه سراج
فلما اكثر الدق فتحت الباب فاذا انا بعجوزة ومعها تابعة فدخلت فوضعت بين يدي طبقا من الخبيص
وقالت هذا الشاب ولدي وضعت له هذا الخبيص وجرى منا كلام فحلف ان لا ياكل منه الا رجل غريب
وقالت هذا الغريب الذي في المسجد فكل رحمك الله واحدة تضع في فمي لقمة وفي فم ولدها لقمة
فهذا وامثالها من مجاهدة الصالحين ومناقضاتهم للشيطان فان لك في ذلك فوائد ثلاثة
احدها ان تعلم ان امر الرزق لا يفوت من قدر له والثانية ان تعلم ان امر الرزق والتوكل لهم مجرب

ان تعلم ان من

للشيطان فيه عوائق ووساوس عظيمة حتى ان مثل اولئك الائمة الزهاد لم يتخلص من ذلك ولم ييأس منهم الشيطان
بعد طول تلك الرياضات وكثرة المجاهدات التي سبقت لهم حتى يحتاجوا الى دفعه بهذه المناقضات
ولعمري ان من جاهد النفس والشيطان سبعين سنة لا يأمن ان يوسوس له بما يوسوس
المبتدي في العبادة بل الغافل لم يجتهد ساعة في الرياضة ولو ظفر به لفضحه واهلكه هلاك
الغافلين المغترين وذلك عبرة لاولي الابصار والثالثة ان تعلم ان الامر لا يتم الا بالجد المحض والمجاهدة
البالغة فانهم كانوا لحما ودما وبدنا وروحا مثلك بل كانوا اخف ابدانا واضعف اركانا وارق عظاما
منك ولكن لهم كان قوة العلم ونور اليقين وهمة امر الدين حتى قووا على مثل تلك المجاهدة والقيام
بحق تلك المعاملات فانظر لنفسك رحمنا الله واياك وداوها من هذه الداء المعضل بعلمك تعالج ان
شاء الله تعالى فصل ثم اعلم بعد هذه الجملة اني مجدد لك نكتا وجدتها بحيث تنكشف في القلب اذا
تذاكرتها وتكفيك مؤنة هذا الباب وتدعك على واضحة من الحق ان تاملتها وعملت بها والله
سبحانه الموفق الاولى ان تعلم ان الله تعالى عز وجل ضمن الرزق لعباده في كتابه فقد ضمن رزقك
وتكفل لك به فما تقول لو وعدك ملك من ملوك الدنيا انه يضيفك الليلة ويعشيك وانت
حسن الظن به انه صادق ولا يكذب ولا يخلف الوعد بل لو وعدك بذلك سوقي او يهودي او
نصراني او مجوسي عندك مستور بظاهره عفيف في معاملته الست تثق بوعده وتطمئن لقوله
ولا تهتم لعشائك تلك الليلة اتكالا عليه فمالك وقد وعدك الله سبحانه وضمن لك رزقك وتكفل
به بل اقسم عليه في غير موضع وانت لا تطمئن بوعده ولا تسكن الى قوله وضمانه ولا تنظر الى قسمه بل
يضطرب قلبك وتهتم فيا لها من فضيحة لو دريت ويا لها من مصيبة لو علمت عن علي ابن ابي طالب
رضي الله عنه قال شعر اتطلب رزق الله من عند غيره ٭ وتصبح من خوف العواقب امنا
وترضى بصراف وان كان مشركا ٭ ضمينا ولا ترضى بربك ضامنا ٭ كانك لم تقنع بما في كتابه
فاصبحت منحول اليقين مباينا ٭ فلهذا المعنى ينجر هذا الامر الى الشك والشبهة ويخاف على صاحبه
الفقد بالله تعالى سلب المعرفة والدين ولهذا قال سبحانه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال

الله فليتوكل المؤمنون فحسب المؤمن المهم لامر دينه هذه النكتة الواحدة ولا حول ولا قوة الا بالله
الثانية انك تعلم ان الرزق مقسوم صح ذلك في كتاب الله تعالى واخبار رسول الله صلعم وتعلم ان قسمته
لا تتغير ولا تتبدل فان انكرت القسمة او جوزت نقضها فذلك باب الكفر نعوذ بالله
وان علمت انه حق لا يتغير فاي فائدة في الاهتمام والطلب الا الذل والهوان في الدنيا والشدة
والخسران في الاخرة ولذلك قال صلعم مكتوب على ظهر الحب والنوى رزق فلان ابن فلان فلا يزداد
الحريص الا جهدا وفي ذلك يقول شيخنا رحمه الله ان ما قدر لماضغيك ان يمضغاه فلا بد يمضغه غيرك
فكل رزقك ويحك بالعز ولا تاكله بالذل وهذه نكتة مقنعة حسنة للرجال الثالثة ما سمعت من شيخي
الامام رحمه الله يحكي عن الاستاد رحمه الله انه كان يقول ان مما نفعني في امر الرزق اني تذكرت وقلت لنفسي اليس هذا
الرزق للحيوة والعيش والمنية مما يصنع بالرزق فاذا كان حيوة العبد في خزانة الله تعالى وبيده
فكذلك الرزق ان شاء يعطيني وان شاء يمنعني وهو غيب عني موكول الى الله سبحانه يدبره كيف يشاء
وانا ساكن القلب بذلك وهذه نكتة لطيفة مقنعة لاهل التحقيق الرابعة ما ذكرنا في
هذا الفصل ان الله تعالى ضمن رزق العبد ولم يضمن الا الرزق المضمون الذي هو الغذاء والتربية
وفيه القوام والعدة واما الاسباب من الطعام والشراب فالعبد اذا تجرد لعبادة الله عز وجل وتوكل
على الله فربما تحتبس عنه الاسباب فلا تغتمن بذلك ولا تضجر لما علم من حقيقة الامر ان الضمان لقوام البنية
والتوكل على الله تعالى انما هو في هذا المعنى لا غير والمنتظر من الله عز وجل هذا المعنى وان الله تعالى لا
يمنعه بالقوة بحق العبادة والخدمة ما دام له اجل وتكليف بالعبادة وهذا هو المقصود والله سبحانه
قادر على ما يشاء ان شاء يقيم بنية عبده بطعام وشراب او بطين وتراب او بتسبيح وتهليل كالملائكة
وان شاء بغير هذا كله فليس مطلوب العبد الا القوام والقوة للعبادة ليس الاكل والشرب وتدارك
الشهوات ونيل اللذات فلا اعتبار بالاسباب اذا ولهذا المعنى قوي الزهاد والعباد على الاسفار وطي
الليالي والايام فمنهم من لا ياكل عشرة ايام ومنهم من لا ياكل شهرا او شهرين وهو على قوة ومنهم من كان
يستف الرمل فيجعل الله عز وجل غذاء ونحو ما ذكر عن سفيان الثوري نفدت نفقته بمكة فمكث

يوما

خمسة عشر يوما يستف الرمل وقال ابو معوية الاسود رأيت ابراهيم بن ادهم ياكل الطين عشرين يوما
وعن الاعمش قال ابراهيم التيمي رحمه ما اكلت منذ شهر قلت منذ شهر قال ولا شهرين الا ان الا
ناشدني على عنقود من عنب فاكلته فانا اشتكي بطني قلت انا ولا تعجب من ذلك فان الله تع
لقدرة على من يشاء هذا مثل مريض تراه لا ياكل شهرا وهو حي يعيش والمريض على كل حال اضعف
نفسا وادق طبعا من القوي واما الذي يموت جوعا فذلك اجل حضره كالذي يموت شبعا وتخمة ولقد
بلغني عن ابي سعيد الخدري انه قال كان حالي مع الله تع ان يطعمني في كل ثلثة ايام فدخلت البادية فمضت
على ثلثة ايام ما طعمت فلما كان اليوم الرابع وجدت ضعفا فجلست مكاني فاذا بهاتف يقول يا ابا سعيد
ايهما احب اليك سببا او قوة قلت لا الا القوة فقمت من وقتي وقد استقللت فاقمت اثني عشر يوما ما
طعمت ولا وجدت الما لذلك فاما اذا رأى العبد احتباس اسبابه عنه وعلم من نفسه التوكل على الله فليستيقن
ان الله تع يمده بالقوة فلا يضجرن لذلك بل حقه ان يشكر الله تع على ذلك شكرا كثيرا فانه له المنة والصنع
واللطف اذ رفع عنه المؤنة واعطاه المعونة وحصل له الاصل والمقصود ودفع عنه الثقل والواسطة
وخرق له على نقض العادة واداه طريق القدرة وانه شبه حاله بحال الملائكة ورفع عن حالة
البهائم والعامة في تلك الكرامة فتأمل هذا الاصل الكبير تغنم الربح العظيم انشاء الله عز وجل قلت
ايضا ولعلك تقول لما اطنبت في هذا الفصل حلا في شرطه الكتاب فاقول لعمر الله انه لقليل في جنب ما يحتاج
اليه في هذا المعنى اذ هو اهم شأن في العبادة بل عليه مدار امر الدين والدنيا والعبودية فمن له همة في
هذا الشأن فليستمسك وليراع حقه والا فهو عن المقصود بمعزل والذي يدلك على بصيرة علماء
الآخرة العارفين بالله عز وجل انهم بنوا امرهم على التوكل على الله عز وجل والتفريغ لعبادته وقطعوا
العلائق كلها فكم صنفوا من كتاب وكم اوصوا بوصيته وقيض الله لهم اعوانا من السادة
واصحابا يتمشى لهم من الخير المحض ما لم يتمش للطائفة من طوائف الامة الا زهاد الكرامية على اصول غير
مستقيمة وما زلنا العزة ما دمنا على منهاجهم فتمنا نخرج من معابدنا ومدارسنا كل خير اما
امامنا علم كالاستاذ ابي اسحق وابي حامد وابي طيب وابن فورك وشيخنا الامام وامثالهم من السا

واما تصديقا

القلوب

واما تصديقا في العبادة كابي اسحق الشيرازي وابي سعيد الصوفي ونصر المقدسي وغيرهم ممن فاق الامة علما
وزهدا حتى ضعفت العقول وتلطخنا بشيء من العلائق التي ضررها اكبر من نفعها فتراجعت الامور
وتقاعدت الهمم وطارت البركات وزالت اللذات والحلاوات فلا يكاد يصفو لاحد عبادة او يحصل له
علم وحقيقة وان اللمحة التي تظهر منا الان ليست ممن بقي على منهاج اسلافنا وشيوخنا المتقدمين
كالحارث المحاسبي ومحمد بن ادريس الشافعي والمزني وحرملة وغيرهم من ائمة الدين فهم كما قيل فما
صحبوا الايام الا تعففا ✤ وما وجدوا من حب سيدهم بدا ✤ افاضل صديقين اهلا لاية الى سيد
السيادات قد جعلوا القصد الكلي عقد الصبر من كل صابر وما حلت الايام من عقدهم وكنا في العهد
الاول ملوكا فصرنا سوقية وكنا فرسانا فصرنا رجالة وليتنا قعدنا لا انقطع عنه الطريق برمة
والله المستعان على المصائب والمسئول ان لا يسلبنا هذا الرمق انه جواد كريم منان رحيم ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم **واما التفويض** فتامل فيه اصلين **احدهما** انك تعلم ان الاختيار للصلاح
الامور كان عالما بالامور بجميع جهاتها ظاهرها وباطنها حالها وعاقبتها والا فلا يأمن ان
يختار الفساد والهلاك على ما فيه الخير والصلاح الا ترى انك لو قلت لبلدي بوقروني اوراع غنم
انتقد لي هذه الدراهم وميز بين جيدها ورديها لا يهتدي لذلك ولو قلت لسوقي غير صراف فربما
يعثر ايضا فلا تأمن الا بان تعرضها على الصراف الخبير بالذهب والفضة وما فيهما من الخواص والاسرار
وهذا العلم المحيط بالامور من جميع الوجوه لا يصلح الا الله رب العالمين فلا يستحق اذا احد ان يكون
له الاختيار والتدبير الا الله وحده لا شريك له ولذلك يقول عز وجل وربك يخلق ما يشاء ويختار
ما كان لهم الخيرة ثم قال تعم وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون الاية وحكي ان بعض الصالحين قيل له من قبل الله تعم
سل تعط وكان موفقا فقال ان عالما بجميع الوجوه يقول للجاهل من جميع الوجوه سل تعط ايش
اعلم ماذا يصلح لي فاسئله ولكن اختار انت لي فصح هذا **الاصل الثاني** ما تقول لو ان رجلا
قال لك اني اقوم بجميع امورك واد بر ما تحتاج اليه من مصالحك ففوض الامر كله الي واشتغل انت
للشأن الذي يعنيك وهو عندك **اعلم** اهل زمانك واحكمهم واقواهم وارحمهم واصدقهم في قولهم

عن الله تعالى

السبب تغتنم ذلك وتعده اعظم نعمة وتمتن منه اكبر منة وتقدم له اوفر شكر واجمل
ثناء ثم اذا اختار لك شيئا لا تعرف وجه الصلاح فيه فلا تضجر لذلك بل تشوق وتطمئن
الى تدبيره علما بانه لا يختار لك الا ما هو الخير ولا ينظر لك الا الصلاح فيه كيف ما كان الامر
بعدما وكلت الامر اليه وفوضت ذلك فمالك اذا الا تفويض الامور الى الله رب العالمين
سبحانه وهو الذي يدبر الامر من السماء الى الارض فهو اعلم كل عالم واقدر كل قادر وارحم
كل راحم واغنى كل غني ليختار لك بلطيف علمه وحسن تدبيره ما لا يبلغه علمك ولا يدرك
فهمك وتشتغل بشانك الذي يعنيك في عاقبتك واذا اختار لك الامر الا تعلم
وجه شره رضيت بذلك واطمأننت اليه فكيف ما كان هو الصلاح والخير فتامل
راشدا ان شاء الله وبالله التوفيق واما الرضاء بالقضاء فتامل فيه اصلين
متنعين لا مزيد عليهما احدهما ما في الرضاء من الفوائد في الحال والمال اما الفائدة
الحالة ففراغ القلب وقلة الهم من غير فائدة ولذلك قال بعض الزهاد اذا كان
القدر حقا فالهم فضل واصله الخبر المأثور عن النبي صلعم انه قال لابن مسعود لا تكثر
همك ما قدر يكن وما لم يقدر لم ياتك هذا هو الكلام الجامع النبوي النافع في قلة لفظه
وكثرة فائدة معناه واما الفائدة في المال فثواب الله تعالى ورضوانه لقوله تعالى رضي
الله تعالى عنهم ورضوا عنه وما في السخط من الهم والحزن والضجر في الحال ومن الوزر
والعقوبة في الاخرة فلا فائدة اذ القضاء نافذ فلا ينصرف بهمك وسخطك كما قيل
ما قد قضى يا نفس فاصطبري له ولك الامان من الذي لم يقدر والعاقل لا يختار الهم
بلا فائدة مع الوزر والعقوبة على راحة القلب وثواب الجنة الاصل الثاني ما في
السخط من عظيم الكفر والنفاق الا ان يتداركه الله تعالى عز وجل وتامل فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت و
يسلموا تسليما نفي الايمان واقسم على من سخط ووجد في نفسه حرجا من قضاء رسول الله صلعم

فكيف

٥٢

فكيف حال من سخط قضاء الله عز وجل وروينا ان الله تعالى يقول من لم يرض بقضائي ولم يصبر
على بلائي ولم يشكر نعمائي فليتخذ الها سوائي وقيل كانه يقول من لم يرض بقضائي هذا
لا يرضى لنا ربا حيث سخط فليتخذ ربا آخر يرضاه وهذا غاية الوعيد والتهديد لمن
عقل عن الله ولقد صدق بعض السلف لما قيل له ما العبودية والربوبية فقال للرب ان يقضي
وللعبد ان يرضى فاذا قضى الرب ولم يرض العبد فما هناك ربوبية ولا عبودية فتامل
هذا الاصل وانظر لنفسك لعلك تسلم بعون الله وتوفيقه واما الصبر فانه دواء مر
وشربة مباركة تجلب كل منفعة وتدفع عنك كل مضرة واذا كان الدواء هذه صفته
فالانسان العاقل يكره نفسه على تجرعه وشربه ويصبر على حرارته وحدته ويقول مرارة
ساعة راحة بل سنة واما المنافع التي تجلبها الصبر فاعلم ان الصبر اربعة اقسام
صبر على الطاعة وصبر عن المعصية وصبر عن فضول الدنيا وصبر على المحن والمصائب
فاذا احتمل مرارة الصبر في هذه المواطن الاربعة تحصل له الطاعة وعناؤها من الاستقامة
وثوابها الجزيل في العاقبة ثم لا يقع في المعاصي وبلائها في الدنيا وتبعاتها في الاخرة ثم
لا يبتلى بطلب الدنيا وما لها من الشغل في الحال والتبعة في المال ثم لا يحبط اجره على ما
يبتلى به وذهب عنه فحصل اذا بسبب الصبر الطاعة وعناؤها الشريفة وثوابها العظيمة
والتقوى والزهد والعوض والثواب الجزيل من الله تعالى وتفصيل ذلك امر لا يعلمه
الا الله عز وجل واما دفع المضار فيريحه اولا من مؤنة الجزع ومقاساته في الدنيا
ثم وزره وعقوبته في العقبى فاما ان ضعف عن الصبر وسلك طريق الجزع فاته كل
منفعة ولحقه كل مضرة اذ لا يصبر على مشقة الطاعة فلا يفعل الطاعة ولا يصبر على
حفظها فيحبطها او لا يصبر على المواظبة عليها فلا يصل الى منزلة شريفة فيها من درجات
الاستقامة او لا يصبر عن معصية فيقع فيها او عن فضول فيشتغل به او لا يصبر
على مصيبة فيحرم ثواب الصبر وربما يكثر الجزع فيفوت العوض بسبب ذلك فيخسر

مصيبتان فوت الشيء وفوت الاجر والعوض وحلول المكروه وحرمان الصبر ولقد
قيل حرمان الصبر على المصيبة اشد من المصيبة فاى فائدة فى شيء يذهب بالحاصل
الموجود ولا يرد عليك الذاهب المفقود فاجتهد اذا فاتك احدهما فلا يفوتنك
الاخر ومن الكلام الجامع ما ذكر ان عليا رضه عزى رجلا فقال ان صبرت جرت عليك
المقادير وانت ماجور وان جزعت جرت عليك المقادير وانت مأزور وتمام
جملة الامر ان قطع القلب عن العلائق المألوفة ومنع النفس عن العادات الراسخة القا...
بالتوكل المحض على الله عز وجل وترك التدبير فى الامور وتفويضها الى الله من غير علم بما
هو الصلاح فيها وكبح النفس عن التسخط والجزع مع تسارع النفس اليه واكراهها على الجام
الرضاء وتجرع شربة الصبر مع نفرتها عن ذلك لامر مر وعلاج شديد وحمل ثقيل ولكنه
تدبير سديد وطريق مستقيم وله عاقبة محمودة واحوال سعيدة مسعودة وكما تقول فى
الوالد المشفق الغنى اذا منع ولده العزيز عن رطبة او تفاحة ياكلها وهو ابن دون
يسلمه الى المعلم الغليظ السائس ويحبسه طول النهار عنده ويضجره ويحمله الى الحجام
فيوجعه ويقلقه اترى منع ذلك من بخل فيه كيف وهو يعطى الاجانب ويوسع عليهم او هو
لهوان الولد كيف وهو يكتسب له جميع ما فى يديه او قصد بذلك اتعابه او ايذائه وليعطل
كيف وهو قرة عينه وثمرة فؤاده لو هبت عليه ريح لعز عليه كلا ولكن لما علم ان صلاحه
فى ذلك وان بهذا التعب القليل يصل الى خير كثير ونفع عظيم وكما تقول فى الطبيب الناصح
المجرب اذا منع المريض الدنف شربة ماء وهو ظمآن تلتهب كبده او يسقيه شربة اهليلج كريهة
تجزع عن ذلك نفسه وطبعه اترى ان ذلك منه معاداة وايذاء كلا بل نصح واحسان لما علم
يقينا فى اعطاء شهوته ساعة هلاكه وعطبه راسا وفى منع ذلك شفاؤه وبقاؤه فتامل
ايها الرجل اذا اصابك الله عز وجل بعنك رغيفا او درهما فتعلم يقينا انه يملك ما تريد ويقدر على...
اليك وله الجود والفضل ويعلم حالك فلا يخفى عليه شيء ولا عدم ولا عجز ولا جفا تعالى عن ذلك

وتقدس

وتقدس فانه غنى الاغنياء واقدر القادرين واعلم العلماء واجود الاجودين فتعلم اذا بالحقيقة انه
لم يمنعك الا الصلاح واختيار لك و هو الذى يقول خلق لكم ما فى السموات والارض جميعا منه كيف
وهو الذى جاد عليك بمعرفته وهى التى تتلاشى فى جنبها الدنيا باسرها وفى الخبر المشهور ان الله يقول
انى لاذود اوليائى عن نعيم الدنيا كما يذود الراعى الشفيق ابله عن مبارك العرة واذا ابتلاك بشدة
فاعلم يقينا انه غنى عن امتحانك وابتلائك عالم بحالك بصير بضعفك وهو بك رؤف رحيم اما تسمع
قوله صلعم الله ارحم بعبده من الوالدة الشفيقة بولدها فاذا علمت انه لم ينزل بك هذه الا لصلاح
لكن جهلته انت وهو عليم بذلك ولهذا المعنى تراه يكثر ابتلاء اوليائه واصفيائه الذين هم اعزة عباده
حتى يقول النبى صلعم اذا احب الله قوما ابتلاهم ويقول ان اشد الناس بلاء الانبياء ثم الشهداء ثم الامثل
فالامثل واذا رايت يحجب عنك الدنيا او يكثر عليك الشدائد والبلوى فاعلم انك عنده عزيز وانك عنده
بمكان فانه يسلك بك طريق اوليائه فانه يراك ولا يحتاج الى ذلك اما تسمع قوله فاصبر لحكم ربك
فانك باعيننا بل اعرف منته عليك فيما يحفظ عليك من صلاحك ويكثر من اجرك وثوابك وينزلك
منازل الابرار والاعزة عنده فكم ترى من عواقب حميدة ومواهب كريمة والله ولى التوفيق بمنه وفضله
فصل وفى الجملة اذا علمت يقينا ان الله تعالى تكفل بضمان رزقك الذى لا بد لك منه فى بقائك وقيامك
لعبادته على ما يشاء كيف يشاء فانه القادر على ما يشاء كيف يشاء وهو البصير بحالك حالا فحالا ساعة فساعة
اتكلت على ضمانه الحق ووعده الصدق وسكن قلبك لذلك واضربت عن ذكر العلائق
والاسباب وتعليق قلبك بها اذ العلائق لا تغنيك ولا يكفيك دون الله تعالى فانه تعالى ميسرها لك
اكلها وشربها ثم هو الذى يمرئها ويهنيها ثم هو الذى يلحقك قوتها ونفعها ويدفع عنك ثقلها وضررها
وهو تعالى يغنيك ويكفيك دونها اذا فتأمل الامر كله اليه وحده لا شريك له فتوكل عليه لا على غيره وكذلك
تترك التدبير فى امورك الى من يدبر السماء والارض وتريح نفسك عن كل شيء لا يبلغه علمك وفكرك
فى امر غد ونظرك فى امر يكون غدا او لا يكون وانه كيف يكون وتكف عن العلل ولو اذ ليس فيه الا شغل
القلب وتضييع الوقت ولعله تكون امور لم يخطر ببالك فيكون ما سبق فى فكرك وتدبيرك وتضييع الوقت

وكرمه
واضطربت

ولكن شسح
شديد
امرد
ويقلقه
ثمن
الى ذي

وتغبن

العزيز لغوا بلا فائدة بل حسرانا وندما عليه لكا تشتغل القلب وتضيع العمر في ذلك وفي هذا المعنى
لبعض الزهاد رضه سبقت مقادير الاله وحكمها فارح فوادك من لعل وقال الاخر فلعل ما تخشاه
ليس بكائن ولعل ما ترجوه ليس يكون سيكون ما هو كائن في وقته واخو الجهالة متعب محزون
وتقول لنفسك في الجملة يا نفس لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولينا وهو حسبنا ونعم الوكيل
اذ هو قادر لا نهاية لقدرته وحكيم لا نهاية لحكمته رحيم لا نهاية لرحمته ومن كان بهذه الصفة
فحقيق ان يتكل عليه ويفوض الامر كله اليه فعليك بالتفويض وكذلك توطن قلبك على ان ما
قضى الله يقضي لك فهو الاوفق والاصلح وان ذلك لا يبلغ علمنا كيفيته وسره وتقول
يا نفس المقدور كائن لا محالة فلا فائدة في السخط والخيرة فيما يصنع الله فلا وجه للسخط لست
تقولين رضيت بالله ربا فكيف لا ترضين بقضاء الله والقضاء من شأن الربوبية وحقها فعليك
بالرضا وكذلك اذا اصابتك مصيبة وحل بك مكروه فتراعي نفسك عند ذلك وتضبط
قلبك حتى لا تجزع ولا تظهر منه شكاية وقلقا لا سيما عند الصدمة الاولى فان الشأن هنالك
والنفس متسارعة جدا الى عادة الجزع عند ذلك وتقول يا نفس هذه قد وقعت فلا حيلة لدفعها
وقد دفع الله ما هو اكبر منها فان انواع البلاء في خزائنه لكثيرة وان هذا استقضى فلا تبقى وان
هذا سحابة سة تنقشع فتجلدي يا نفس قليلا تجدي لذلك سرورا طويلا وثوابا جزيلا بعد
ان لا دفع للنازل ولا فائدة في الجزع ولا مصيبة في الحقيقة مع العزاء والصبر فتشتغل
لسانك بالاسترجاع وقلبك بذكر ما يحصل لك عند الله تعالى من الاجر وتتذكر اولي العزم على
المصائب العظام من الانبياء والاولياء الاعزة على الله تعالى واذا حبس عنك الدنيا في وقت فتقول
يا نفس هو اعلم بالحال وارحم بك واكرم لك وانه الذي يطعم الكلب في خسته ويطعم الكافر في عداوته
وانا عبده العارف فاما هو حد الاساءة عنده رعينا هذه الحال ايضا فاعلمي بالحقيقة انه لم
يحبس ذلك عنك الا لنفع عظيم وسيجعل الله بعد عسر يسرا فاصبري قليلا تري العجب من لطف
صنعه اما سمعت القائل توقع صنع ربك سوف يأتي بما تهواه من فرج قريب ولا تيأس

اذا

اذا كان بك خطب بكم في الغيب من عجب عجيب وقول الاخر اذا اشتدت بك العسرى ففكر في الم نشرح فعسر
بين يسرين اذا فكرته فافرح اذا اجريت هذه الاذكار ونحوها وواظبت عليها بالتكرار والتمرين
فان ذلك يهون عليك اذا كان لك همة واجتهاد دهرا غير طويل وقد دفعت هذه العوارض
الاربعة وكفيت عن مؤنتها وصرت عند الله تعالى من المتوكلين المفوضين الراضين بقضائه
الصابرين على بلائه وحصلت لنفسك راحة القلب والبدن في الدنيا وعظيم الثواب والذخر في
العقبى وجليل القدر والجنة عند رب العالمين فيجتمع لك خير الدارين ويستقيم لك طريق العبادة
اذ لا عائق ولا شاغل وكنت قد قطعت هذه العقبة بعون الله والله سبحانه المسؤول على
ان يمدك واياي بحسن توفيقه فان الامر كله بيده وهو ارحم الراحمين ولا حول ولا قوة الا
بالله العلي العظيم

الباب الخامس في العقبة الخامسة وهي عقبة البواعث

ثم عليك يا اخي بالسير اذ استقام لك الطريق وسهل السبيل وارتفعت العوائق
وزالت العوارض ولا يحصل لك السير المستقيم الا باستشعار الخوف والرجاء والتزامهما
حقهما على حدهما اما الخوف فانما يجب التزامه لامرين احدهما الزجر عن المعاصي فان هذه
النفس الامارة بالسوء ميالة الى الشر طماحة الى الفتنة فلا ينتهي ذلك الا بتخويف عظيم وتهديد
بالغ وليست هي في طبعها حرة يهمها الوفاء ويمنعها الحياء من الجفاء انما هي كما قال القائل
العبد يقرع بالعصا والحر يكفيه الملامة والتدبير في امرها ان تقرعها ابدا بسوط التخويف
قولا وفعلا وفكرا نحو ما ذكر من بعض الصالحين ان نفسه دعته الى معصية فانطلق فنزع
ثيابه وجعل يتمرغ في الرمضاء ويقول للنفس ذوقي فنار جهنم اشد حرا من هذه اي جيفة
بالليل بطالة بالنهار والثاني لئلا تتعجب بالطاعات فتهلك بل تقمعها بالعدم وتعيبها بالتفحص
بما فيها من الاسواء والاوزار التي فيها ضروب الاخطار وذلك نحو ما ذكر عن النبي صلوات الله عليه قال
لو اخذنا انا وعيسى بما كسبت هاتان لعذبنا عذابا لم يعذبه احدا واشار الى [illegible]
باصبعيه وعن الحسن انه كان يقول ما يؤمن احدنا ان يكون قد اصاب ذنبا فطبق عليه باب المغفرة

عن نفسك

الباب الخامس في عقبة البواعث

الخوف والرجاء

دونه فهو يعمل في غير معمل وعن ابن ... فيما يعاتب نفسه تقولين قول الزاهدين وتعملين عمل المنافقين
وفي الجنة تطمعين هيهات هيهات ان للجنة قوما اخرين ولهم اعمال غير ما تعملين فهذه واحتالها
مما يلزم العبد تذكيرها للنفس وتكريرها عليها لئلا تعجب بطاعة او تقع في معصية وبالله
التوفيق واما الرجاء فانما يلزم من استشعاره لامرين للبعث على الطاعات وذلك ان الخير
ثقيل والشيطان عنه زاجر والهوى الى ضده داع وحال اهل الغفلة من عامة الخلق في
النفس منطبع مشاهد طبعا والثواب الذي يطلب بالطاعة عن العين غائب وامد الوصول اليه
فيما نحن به بعيد واذا كان الحال هذه الحالة فلا تنبعث النفس للخير ولا ترغب فيه حقه ولا تهتز له
الا بامر يقابل كل من هذه الموانع ويساويها بل يزيد عليها وذلك الامر هو الرجاء القوي في رحمة
الله والترغيب البالغ في حسن ثوابه وكريم اجره ولقد قال شيخنا رحمه الله الحزن يمنع عن الطعام والخوف
يمنع عن الذنوب والرجاء يقوي على الطاعات وذكر الموت يزهد في الفضول والثاني ليهون عليك
احتمال الشدائد والمشقات وعلم ان من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل ومن طاب له شيء ورغب
فيه حق رغبته احتمل شدته ولم يبال بما يلقى من مؤنته ومن احب احدا حق محبته احب ايضا
احتمال محنته حتى انه لا يجد تلك المحنة محنة وباخذ اللذة الا ترى ان مشتاق العسل لا يفكر بلسع
النحل لما يتذكر من حلاوة العسل والاجير لا يعبا بارتقاء السلم الطويل مع الحمل الثقيل طول
النهار الصائف المديد لما يتذكر من اخذ درهمين بالعشي وان الفلاح لا يفكر بما قاسى من حر و
وحباشة الشتاء والكد طول السنة لما يتذكر من اوان البيدر واوان الغلة فكذلك
يا اخي العباد الذين هم اهل الاجتهاد اذا ذكروا الجنة في طيب مقيلها وانواع نعيمها من قصو
رها وحورها وطعامها وشرابها وحليها وحللها وسائر ما اعد الله تعالى لاهلها هان عليهم ما
احتملوه من تعب في عبادة او فوات لذة ونعمة في الدنيا او نال الم من ضرر وذلة ونقمة ومشقة
لاجلها ولقد حكي ان اصحاب سفيان الثوري رضي الله عنهم فيما كانوا يرونه من خوفه واجتهاده
ورثة حاله فقالوا يا استاذ لو نقصت من هذا الجهد نلت مرادك ايضا ان شاء الله تعالى فقال

سفيان

٥٦

سفيان كيف لا اجتهد ولقد بلغني ان اهل الجنة ليكونون في منازلهم فيتجلى لهم نور تضيء له
الجنان الثمانية فيظنوا ان ذلك نور من جهة الرب سبحانه فيخرون ساجدين فينادي ان
ارفعوا رؤسكم ليس الذي تظنون انما هو نور جارية تبسمت في وجه زوجها ثم انشأ يقول
شعر ما ضر من كانت الفردوس مسكنه ۝ ماذا تحمل من بؤس واقتار ۝ تراه يمشي كئيبا
خائفا وجلا ۝ الى المساجد يمشي بين اطمار ۝ يا نفس ما لك من صبر على النار ۝ قد حان ان
تقبلي من بعد ادبار ۝ قلت انا فاذا كان مدار امر العبودية على الامرين القيام بالطاعات والانتهاء
عن المعصية وذلك لا يتم مع هذه النفس الامارة بالسوء الا بترغيب وترهيب وترجية
وتخويف فان الدابة الحرون تحتاج الى قائد يقودها والى سائق يسوقها واذا وقعت في مهواة فربما
تضرب بالسوط من جانب وتلوح لها بالشعير من جانب آخر حتى تنهض وتتخلص مما وقعت
فيه وان الصبي العرم لا يمر الى الكتاب الا بترجئة من الوالدين وخوف من المعلم دبر فكذلك
هذه النفس دابة حرون وقعت في مهواة الدنيا فالخوف سوطها وسائقها والرجاء شعيرها
وقائدها وانها الصبي العرم تحمل الى كتاب العبادة والتقوى فذكر النار والعقاب تخويفها و
ذكر الجنة وثوابها ترجيتها وترغيبها فكذلك يلزم العبد الطالب للعبادة والرياضة ان
يشعر النفس بالامرين الذين هما الخوف والرجاء والا فلا تساعد النفس الجموح على ذلك و
بهذا المعنى ورد الذكر الحكيم بجموع الامرين الوعد والوعيد والترغيب والترهيب وبلغ
في كل واحد منهما فذكر من الثواب الكريم ما لا صبر عنه وذكر من العقاب الاليم ما لا صبر عليه فعليك
اذا بالتزام هذين المعنيين يحصل لك مرادك من العبادة ويسهل عليك احتمال المشقة و
الله تعالى ولي التوفيق بفضله فان قلت فما حقيقة الرجاء والخوف وحكمهما فاعلم ان الخوف والرجاء
عند علمائنا رحمهم الله يرجعان الى قبيل الخواطر وانما المقدور للعبد مقدماتهما قالوا الخوف رعدة تحدث في
القلب عن ظن مكروه يناله والخشية نحوه لكن الخشية تقتضي ضربا من الاستعظام والمهابة
وضد الخوف الجرأة ولكن قد قابل بالامن يقال خائف وآمن وخوف وامن لان الامن الذي يجري على

الابتهاج انشاد السرور كبيره اهـ

مطلب مقدمات الخوف اربع

الاولى

والحقيقة ان الجراة تضاده و مقدمته هي اربع ذكر الذنوب الكثيرة التي سبقت وكثرة الخصوم
الذين مضوا الى المظالم وانت مرتهن لم تبين لك الخلاص بعد والثانية ذكر شدة عقوبة
الله سبحانه التي لا طاقة لك بها والثالثة ذكر بعض ضعف النفس عن احتمال العقوبة والرابعة
ذكر قدرة الله تعالى عليك متى شاء وكيف شاء واما الرجاء فهو ابتهاج القلب بمعرفة فضل
الله والاستراحة الى سعة رحمة الله وهذه من جملة الخواطر غير مقدور للعبد ورجاء وهو مقدور
للعبد وهو تذكر فضل الله وسعة رحمته وقد سمي ايضا ارادة الخاطرة بالاستثناء رجاء
والمراد من هذا الباب هو الاول وهو التذكر على حسب الابتهاج والاستراح وضده الياس
وهو تذكر فوات رحمة الله وفضله وقطع القلب عن ذلك وهو معصية محض وهذا
الرجاء فرض اذ لم يكن للعبد سبيل الى الامتناع عن الياس الا به والا فهو نفل بعد اعتقاد
الجملة في فضل الله وسعة رحمته واما مقدمات الرجاء اربع الاولى ذكر سوابق فضله اليك
من غير قديم او شفيع والثانية ذكره وعده من جزيل ثوابه وعظيم كرامته على حسب
فضله وكرمه دون استحقاقك اياه بالفعل اذ لو كان على حسب الفعل لكان اقل شيء
واصغر امر والثالثة ذكر كثيرة نعمه عليك في امر دينك ودنياك في الحال من انواع الا
لطاف والامداد من غير استحقاق او سوال والرابعة ذكر سعة رحمة الله تعالى وسبقها
على غضبه وانه الرحمن الرحيم الغني الكريم الرؤف بعباده المؤمنين فاذا واظبت على هذين
النوعين من الاذكار افضيا بك الى الاستشعار الخوف والرجاء بكل حال والله تعالى ولي
التوفيق بمنه وفضله **فصل** فعليك ايها الرجل بقطع هذه العقبة في تمام
الاحتياط والتحرز وجد الرعاية فانها عقبة دقيقة المسلك خطيرة الطريق وذلك
ان طريقها مخوف فيه مهلكين احدهما طريق الامن والثاني طريق الياس وطريق الرجاء
والخوف وهو طريق العدل بين الطريقين الجائرين فان غلب عليك الرجاء حتى فقدت
الخوف البتة ووقعت في طريق الامن ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرين وان غلب
عليك

مطلب مقدمات الرجاء اربعة

بيان طريقين

عليك الخوف حتى فقدت الرجاء البتة وقعت في طريق ~~الامن ولا يأمن~~ الياس ولا ييأس
من روح الله الا القوم الكافرين فان انت ركبت بين الرجاء والخوف واعتصمت بهما جميعا فهو
الطريق العدل المستقيم التي هي سبيل اولياء الله سبحانه واصفيائه الذين وصفهم بقوله تعالى
انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين فاذا ظهرت
لك في هذه العقبة طرق ثلثة طريق الامن والجرات وطريق الياس والقنوط وطريق الخوف
والرجاء ممتدة بينهما فان ملت عنه بقدم الى يمينك او يسارك وقعت في المهلكين و
هلكت مع الهالكين ثم الشأن ان الطريقين الجائرين المهلكين اوسع مجالا واشد داعيا
واسهل سلوكا من الطريق العدل لانك اذا نظرت من جانب الامن رايت من سعة رحمة الله و
كثرة فضله وغاية جودة ما لا يبقى لك معه خوف فتتكل على ذلك بمرة وتامن وان نظرت
من جانب الخوف رايت من عظيم قدرة الله تعالى وسياسته وهيبته وكبر مخالفته ودقة امره
وغاية مناقشته مع اوليائه واصفيائه ما لا يكاد يبقى معه رجاء فتياس بمرة وتقنط فتحتاج
اذا ان لا تنتظر الى سعة رحمة الله فقط حتى تتكل وتامن ولا الى عظيم الهيبة والمناقشة فقط
حتى تقنط وتايس بل تنظر الى هذا والى هذا جميعا وتاخذ من هذا بعضا ومن هذا بعضا
فتركب بينهما طريقا دقيقا وتسلك ذلك لتسلم فان طريق الرجاء المحض سهل عريض واسع
وعاقبته تؤديك الى الامن والخسران وطريق الخوف المحض واسع عريض وعاقبته تؤديك
الى الضلال وطريق العدل بينهما اعني طريق الخوف والرجاء وان كان دقيقا عسيرا فانه سبيل
سالم ومنهاج بين يؤدي الى الغفران والاحسان ثم الى الجنان والرضوان ولقاء الملك
الرحيم سبحانه الا تسمع قوله سبحانه في ابناء هذا السبيل يدعون ربهم خوفا وطمعا ثم قال فلا
تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون فتامل هذه الجملة جدا وتشمر وتنزل الامر
فانه لا يجيء بالهوينا بالسكينة والله الموفق ثم اعلم انه لا يتاتى لك سلوك هذه الطريق وحمل
هذه النفس الجموح الكسلى على الخير باجتناب المحبوب عندها واكتساب الطاعات الثقيلة عليها

الا بالتحفظ بثلثة اصول والتذكر لها على سبيل الدوام من غير فترة ولا غفلة احدها ذكر
اقوال الله تعالى في الترغيب والترهيب الثاني ذكر افعال الله سبحانه في الاخذ والعفو والثالث
ذكر جزائه للعباد في المعاد من الثواب والعقاب وتفصيل كل اصل منها يحتاج الى صحف
كثيرة ولاجلها صنفنا كتاب تنبيه الغافلين ونحن نشير في هذا الباب الى كلمات توقفك
على المقصود ان شاء الله تعالى **الاصل** الاول اقوال الله سبحانه تدبر ايها الرجل ما في الكتاب العزيز
من ايات الترغيب والترهيب والترجية والتخويف فمن ايات الرجاء قوله تعالى لا تقنطوا
من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ومن يغفر الذنوب الا الله غافر الذنب وقابل التوبة
وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات كتب ربكم على نفسه الرحمة ورحمتي وسعت
كل شيء فساكتبها للذين يتقون ان الله بالناس لرؤف رحيم وكان بالمؤمنين رحيما فهذه
ونحوها ايات الرجاء ومن ايات الخوف والسياسة يا عباد فاتقون افحسبتم انما خلقناكم
عبثا ومن اعجب من ذلك قوله ونحوه رحم الله تعالى قال في عقبه ايحسب الانسان ان يترك سدى
ليس باما نيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوء يجز به وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وبدا لهم
من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا نسئل الله تعالى ان
يسلمنا برحمته ومن الايات اللطيفة الجامعة بين الخوف والرجاء قوله تعالى نبئ عبادي اني انا
الغفور الرحيم ثم قال في عقبه وان عذابي هو العذاب الاليم لئلا يستولي عليه الرجاء بمرة وقوله شديد
العقاب ثم قال في عقبه ذي الطول لئلا يستولي عليك الخوف بمرة ومن اعجب من ذلك قوله تعالى ويحذركم
الله نفسه ثم قال في عقبه والله رؤف بالعباد ومن اعجب منه قوله تعالى من خشي الرحمن بالغيب علق
الخشية باسم الرحمن دون اسم الجبار والمنتقم او المتكبر ونحوه لتكون الخشية مع ذكر الرحمن فلا
يكون الخشية تطير قلبك بمرة فتكون تخويفا في تاميل وتحريكا في تسكين كما يقال اما تخشى
الوالدة الرحيمة اما تخاف الوالد المشفق اما تحذر الامير الكريم والمراد من ذلك ان يكون الطريق
عدلا لا يميل بالامن ولا الى القنوط جعلنا الله واياكم من المتدبرين لهذا الذكر الحكيم والعاملين

باماانيكم

بما هو فيه برحمته انه جواد الكريم الاصل الثاني في افعاله عز وجل ومعاملته اما من جانب الخوف
فاعلم ان ابليس عبده ثمانين الف سنة فلم يترك فيها ميل موقع قدم الا وسجد لله تعالى فيه ثم ترك امرا
واحدا فطرده عن بابه وضرب بوجهه عبادة الف سنة ولعنه الى يوم الدين واعد له
عذابا اليما ابد الابدين حتى يروى ان الصادق الامين صلوات الله عليه وعلى اله رئي
جبرائيل متعلقا باستار الكعبة وهو يصرخ الهي لا تغير اسمي ولا تبدل جسمي ثم ادم
على صفيه الذي خلقه بيده واسجد له ملائكته وحمله على اعناقهم الى جواره انبسط
فاكله اكلة واحدة لم يؤخذ له فيها فنودي الا لا يجاورني من عصاني واخرجوا الملائكة
الذين حملوا سريره يزحونه من كان الى السماء حين اهبط حتى بكى على ذلك مائتي سنة وجعه
من الهوان والبلاء كالحوت وبقيت ذريته في تبعات ذلك على الابد ثم ان نوحا شيخ المرسلين
صلوات الله عليهم اجمعين الذي احتمل في امر دينه ما احتمل لم يقل الا كلمة واحدة على غير وجهها
فنودي فلا تسئلني ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين حتى روي في بعض الاخبار
انه لم يرفع راسه الى السماء حياء من الله تعالى اربعين سنة ثم ان ابراهيم الخليل عم لم يكن منه الا هفوة
واحدة فلم خاف وكم تضرع وقال والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين حتى روي انه
كان يبكي من شدة الخوف فيرسل الله تعالى اليه الامين جبرائيل عم فيقول يا ابراهيم هل رايت خليلا
يعذب خليله بالنار فيقول يا جبرائيل اذا ذكرت خطيئتي نسيت خلته ثم موسى بن عمران
عليه السلام لم يكن منه الا الكلمة واحدة فكم خاف وكم استغفر وقال اني ظلمت نفسي فاغفر لي ثم
في زمانه بلعم بن باعور كان بحيث اذا نظر الى السماء يرى العرش وهو المعني بقوله واتل عليهم
نبا الذي اتيناه اياتنا ولم يعمل لله واحدة مال الى الدنيا واهلها ميلة واحدة وترك لولي
من اوليائه حرمة واحدة سلبه معرفته وجعله بمنزلة الكلب المطرود فقال فمثله كمثل الكلب
فاوقعته في حجر الضلال والهلاك الى ابد الابدين حتى سمعت بعض العلماء يقول انه كان
كان في اول امره بحيث يكون في مجلسه اثنا عشر الف محبرة للمتعلمين الذين يكتبون عنه ثم صار بحيث اول من صنف

اي لا الامن ولم يقبل توبته

فستحق به اللعن

ان ليس للعالم صانعا نعوذ بالله من سخطه وعذابه الاليم وقطيع هذا الذي لا طاقة لنا به فانظر
خبث الدنيا وشومها كا ذا يجلب للعلماء من حاصة فتنبه فان الامر خطير والعمر قصير و
العمل تقصير والناقد بصير فان ختم بالخير اعمالنا واقالنا عثراتنا فما ذلك على الله بعزيز ثم
ان داود عم خليفة في الارض اذنب ذنبا واحدا فبكى على ذلك حتى نبت العشب في الارض من دموعه
فقال الهي اما ترحم بكائي وتضرعي فاجيب يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكائك فلم تقبل توبته
اربعين يوما وقيل اربعين سنة ثم يونس عم غضب غضبة واحدة في غير موضعها فسجن في
بطن الحوت تحت قعر بحار اربعين يوما وهو ينادي ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من
الظالمين وسمعت الملائكة صوته فقالوا يا سيدنا صوت معروف من موضع مجهول قال الله
تعالى ذلك عبدي يونس فشفعت فيه الملائكة ثم مع ذلك غير اسمه فقال وذا النون اذ ذهب مغا
ضبا فظن الي سجنه ثم قال الله تعالى فالتقمه الحوت وهو حليم وهو مليم فلولا انه كان من المسبحين
للبث في بطنه الى يوم يبعثون ثم ذكر نعمته ومنته فقال لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو
مذموم فانظر الى هذه السياسة ايها المسكين وهم جلالي سيد المرسلين اكرم خلقه عليه يقول
له فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير حتى كان يقول شيبتني
سورة هود واخواتها قيل اعني هذه الاية واشكالها في القران وقال تعالى واستغفر لذنبك
الي ان من الله عليه بالغفران فقال ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك وقال ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تاخر وكان محمد يصلي بعد ذلك حتى تورمت قدماه فيقولون اتفعل
هذا يا رسول الله فيقول صم افلا اكون عبدا شكورا وكان عم لوان وعيسى اخذنا بما كسبت
هاتان لعذبنا عذابا اليما لا يعذبه احدا من العالمين وكان يصلي الليل ويبكي ويقول اعوذ بعفوك
من عقابك وبرضاك من سخطك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت
على نفسك ثم الصحابة الذين هم خير قرن في خير امة كان يبعد وامنهم شي من امر اخ فنزل تعوي
الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الاية ثم وضع في هذه الامة مع كونها مرحومة الحدود والسياسات

العظيمة ونراد اباحتي كان يونس ابن عبيد يقول الا يامن من قطع في خمسة دراهم خير عضو عنك ان تكون
عذابه غدا هكذا نسال الله الكريم ان لا يعاملنا الا بمحض كرمه انه ارحم الراحمين واما من جانب الرجاء فمن رحمة الله
الواسعة ولا خرج ومن الذي يعرف غايتها ويعرف وصفها ونهايتها فانه الذي يهب لكفر سبعين سنة بايمان
ساعة فقال تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف الا ترى في امر سحرة فرعون الذين جاؤا الحرب وحلفوا
بعزة عدوه لما قالوا امنا برب هارون وموسى كيف قبلهم ووهب لهم جميع ما سلف ثم كيف جعلهم رؤس
الشهداء في الجنة ابد الابدين فهذا مع من عرفه ووحده ساعة بعد كل ذلك السحرة والكفرة والضلال والفساد وكيف
حال من افنى في توحيده عمره والاترى لذلك اهلا في الدارين غيره الا ترى اصحاب الكهف وكانوا على الكفر
طول اعمارهم اذ قالوا ربنا رب السموات والارض والتجوا اليه كيف قبلهم ثم اعزهم واكرمهم فقال ونقلبهم ذات
اليمين وذات الشمال وكيف اعظم لهم الحرمة والبسهم المهابة والخشية يقول لو اطلعت عليهم
لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا بل كيف اكرم كلبا تبعهم حتى ذكره في كتابه العزيز مرارا ثم جعله معهم
في الدنيا مجوبا ويدخله الجنة في الاخرة مكرما فهذا فضله مع الكلب خطا خطوات مع قوم عرفوه ووحدوه
ايا ما معدودة من غير عبادة او خدمة فكيف مع عبده المؤمن الذي خدمه ووحده وعبده سبعين سنة
ولو عاش سبعين الف سنة لكان قاصد العبودية اما سمعت كيف عاتب ابراهيم في دعائه على المجرمين
بالهلاك وكيف عاتب موسى في امر قارون فقال استغاث بك قارون فلم تغثه فوعزتي لو استغاث بي
لاغثته وغفرت له وكيف عاتب يونس في شان قومه بانك تحزن على شجرة يقطين انبتها في ساعة
وابليتها في ساعة ولا تحزن على مائة الف او يزيدون ثم كيف قبل عذرهم وصرف عذابه العظيم عنهم
بعدما اظلهم ثم كيف عاتب سيد المرسلين فيما روي انه دخل من باب بني شيبة فراى قوما يضحكون
فقال الم تضحكون لا اراكم حتى تضحكوا اذا كان عند الحجر رجع القهقرى اليهم وقال جاءني فقال يا محمد ان الله
يقول لم تقنط عبادي من رحمتي نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم فهذا رسول الله صم يقول السبحانه
ارحم بالعبد المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها وفي الحديث المشهور عن النبي صم ان لله تعالى مائة رحمة
فواحدة منها قسمها بين الجن والانس والبهائم فيها يعطفون وبها يتراحمون وادخر منها تسعة وتسعين

فضل [illegible]

جبر [illegible]

يرحم بها عباده يوم القيمة واذا كان من الرحمة الواحدة كل هذه العطايا الكريمة العزيزة
من معرفته سبحانه والكون من هذه الامة المرحومة ثم معرفة السنة والجماعة الى سائر ما لا يك
من النعم الظاهرة والباطنة فرجو من فضله العظيم ان يتم ذلك فان من بدا بالاحسان فعليه الاتمام
ويجعل من تسع وتسعين رحمة لك الحظ الوافر نسال الله تعالى ان لا يخيب امالنا من فضله
العظيم انه هو الكريم الجواد الرحيم واما الاصل الثالث في ذكر ما وعد واوعد في المعاد فلنذكر
في ذلك الاحوال التي بعد الموت والقبر والقيمة والجنة والنار وما في كل مقام منها من الحظ
للمطيعين والعاصين والمقصرين والمجتهدين اما الموت فاذكر فيه حال رجلين احدهما
ما روى عن ابن الخشرم انه قال دخلت مع الشعبي الى مريض ارفع به فتكلم المريض وقال من يلقنني
ولم يلقنني فاني لا ادعها ثم قرا والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها فقال
الشعبي الحمد لله نجا صاحبنا واما الاخر ما حكي عن تلميذ الفضيل بن عياض حضرته الوفاة
فدخل عليه الفضيل وجلس عند رأسه وقرأ سورة يس فقال يا استاد لا تقرء هذا فسكت
ثم لقنه فقال لا اله الا الله فقال لا اقولها لاني بريء منها ومات على ذلك فدخل الفضيل منزله وجعل
يبكي اربعين يوما لم يخرج من البيت ثم راه في نوم وهو يسحب به الى جهنم فقال باي شيء نزع
الله المعرفة عنك وكنت اعلم تلاميذي فقال بثلثة اشياء اولها النميمة فاني قلت لاصحابي
بخلاف ما قلت لك والثاني بالحسد حسدت اصحابي والثالث كان بي علة فجئت الى الطبيب
فسألته عنها فقال تشرب في كل سنة قدحا من خمر فان لم تفعل تبقى بك العلة فكنت اشربه
نعوذ بالله من سخط الذي لا طاقة لنا به ثم اذكر حال رجلين آخرين احدهما ما حكي عن عبد الله
ابن المبارك انه لما احتضر موته نظر الى السماء فضحك وقال لمثل هذا فليعمل العاملون
وسمعت امام الحرمين رض يحكي عن الاستاد ابي بكر رض انه قال كان لي صاحب ايام التعليم
وكان مجتهدا بالكثير الجهد في التعلم تقيا متعبدا وكان لا يحصل له مع الاجتهاد الا القليل و
كنا نتعجب من حاله ثم مرض فلزم مكانه بين الاولياء في الرباط ولم يدخل الى بيت احد حتى وكان

يجتهد

يجتهد مع مرضه فاشتدت به الحال وانا بجانبه فبينما هو اذ شخص بصره الى السماء ثم قال لي
يا ابن فورك لمثل هذا فليعمل العاملون وتوفي عند ذلك رض واما الاخر فنحو ما حكي عن مالك بن دينار
انه دخل على جار له احتضر فقال له يا مالك جبلان من نار بين يدي اكلف الصعود عليهما
فسألت اهله فقالوا له مكيالان يكيل باحدهما ويكتال بالاخر فدعوت بهما فضربت احدهما
بالاخرى حتى كسرتهما ثم سألت الرجل قال ما يزداد الامر علي الا عظما واما القبر والحال بعد
الموت فاذكر فيه حال رجلين احدهما ما ذكر عن بعض الصالحين قال رايت الثوري رض
في نوم بعد موته فقلت كيف حالك يا ابا عبد الله فاعرض عني فقال ليس هذا زمان الكنى
فقلت كيف حالك يا سفيان فانشأ يقول نظرت الى ربي عيانا فقال لي هنيئا رضائي
عنك يا ابن سعيد لقد كنت قواما اذا الليل قد دجى بعبرة مشتاق وقلب عميد فدونك
فاختر اي قصر تريده وزرني فاني عنك غير بعيد والرجل الثاني ما ذكر ان بعضهم
راى في النوم شابا حسن اللون مغلولة يده الى عنقه فقيل له ما فعل الله بك فانشأ يقول
تولى زمان لعبنا به وهذا زمان بنا يلعب وحال الاخرين احدهما ما روي ان بعض
الصالحين قال كان لي ابن استشهد ولم اره في المنام الى ليلة توفي فيها عمر ابن عبد العزيز
رض فرايته تلك الليلة قال قلت يا بني الم تك ميتا فقال لا ولكني استشهدت وانا حي
عند الله تعالى ارزق فقلت ما جاء بك فقال نودي في اهل السماء الا لا يبقى نبي ولا شهيد
الا وحضر الصلوة على عمر ابن عبد العزيز فجئت لاشهد هذه الصلوة ثم جئتكم لاسلم
عليكم واما الاخر ما روي عن هشام بن حسان انه قال مات لي ابن حدث فرايته في النوم
فاذا هو اشيب فقلت يا بني ما هذا الشيب قال لما قدم علينا فلان زفرت جهنم زفرة [illegible]
لم يبق احد الا شاب نعوذ بالله الرحيم من عذابه الاليم واما القيمة فتامل قوله تعالى يوم
نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فواحد يخرج من قبره فاذا البراق
على رأس القبر والتاج والحلة فيلبس ويركب الى جنات النعيم لا يخلى من عبرة يمشي الى الجنة برجله

واخر يخرج من قبره فاذا الزبانية والانكال لا يخلون الشقي يمشي الى النار برجله بل يسحب به الى سواء
الجحيم على وجهه نعوذ بالله من سخط الله ولقد سمعت بعض العلماء يروي عن النبي عم انه قال اذا
كان يوم القيمة يخرج قوم من قبورهم لهم نجب يركبونها لها اجنحة حتى تطير بهم فى عرصات القيمة
حتى اتوا على حيطان الجنة فاذا راتهم الملائكة قال بعضهم لبعض من هؤلاء فيقولون ما
ندري لعلهم من امة محمد صم فياتيهم بعض الملائكة فيقولون من انتم ومن اى الامم انتم فيقولون
نحن من امة محمد صم فيقول الملائكة هل حوسبتم فيقولون لا فيقولون هل وزنتم فيقولون لا
فيقولون هل قرأتم كتابكم فيقولون لا فيقول الملائكة ارجعوا فكل ذلك وراءكم فيقولون
هل اعطيتمونا شيئا فنحاسب عليه وفى خبر آخر ما ملكنا شيئا فنعدل ولا نجور ولكن عبدنا
ربنا حتى دعانا فاجبناه فيناديهم مناد صدق عبادي ما على المحسنين من سبيل والله غفور
رحيم اما تسمع قوله تعالى افمن يلقى فى النار خير ام من يأتي آمنا يوم القيامة فاعظم برجل
يشاهد تلك الاهوال والزلازل والوقائع وهو آمن لا يدخل قلبه فزع ولا يكون على قلبه
ثقل نسأل الله تعالى ان يجعلنا واياكم من اولئك السعداء وما ذلك عليه جل جلاله بعزيز
واما الجنة والنار فتأمل بينهما آيتين من كتاب الله تعالى احدهما قوله تعالى وسقيهم ربهم
شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا وقال حكاية عن اخرين ربنا
اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسئوا فيها ولا تكلمون وروي انهم يصيرون
عند ذلك كلابا يتعاوون فى النار نعوذ بالله الرؤف الرحيم من عذابه الاليم فان الامر
كما قال يحيى بن معاذ لا ندري اى المصيبتين اعظم فوت الجنان ام دخول النيران اما
الجنة فلا صبر عنها واما النار فلا صبر عليها وعلى كل حال فوت النعيم ايسر من مقاسات
الجحيم ثم الطامة الكبرى والمصيبة العظمى هو الخلود اذ لو كان على حال منقطعا
لكان الامر هينا ولكن الشان فى ابد بلا آخر فاى قلب يحتمل ذلك واى نفس تصبر على
ذلك ولذلك قال عم ذكر الدين يقطع قلوب الخائفين وذكر عند الحسن ان اخر

من يخرج من النار رجل يقال له هناد عذب الف عام ينادي يا حنان يا منان فبكى الحسن
وقال يا ليتني كنت هنادا فتعجبوا منه فقال ويحكم اليس يوما يخرج تمنيت قلت انا فرجع
الامر كله اذا الى اصل واحد وهي النكتة الذي تقصم الظهور وتصفر الوجوه وتقطع القلوب
وتذيب الاكباد وتدمي عيون من العباد وهي خوف نزع المعرفة فهذه الغاية التي ينتهي
اليها خوف الخائفين وتبكي عليها اعين الباكين ولقد قال بعضهم ان الغموم ثلثة غم
الطاعة ان لا يقبل وغم المعاصي ان لا يغفر وغم المعرفة ان تسلب وقال المخلصون
بل الغم كله هو الواحد بالحقيقة وهو سلب المعرفة وكل غم دونه جلد اذ له انقضاء
ولقد بلغنا عن يوسف بن اسباط رحمة الله انه قال دخلت على سفين فبكى ليلة اجمع
فقلت بكاؤك هذا على الذنوب قال مجد تبنه وقال الذنوب اهون على الله من هذه
وانما اخشى ان يسلبني الله الاسلام فنسئل الله ربنا المنان وسبحانه ان لا يبتلينا بمصيبة
وان يتم علينا بفضله كبير نعمه وان يتوفانا على ملة الاسلام انه ارحم الراحمين وقد ذكرنا
سبب سوء الخاتمة ومعناها فى كتاب احياء علوم الدين فتأمل هناك فان الحوض
فيه ههنا خروج الى الاكثار فتامل هذه الجملة فان التفصيل اكثر من ان ياتي عليه الوهم و
الذكر لعلك تفلح بعون الله وحسن توفيقه فان قلت فاى الطريقين اسلك طريق الخوف
او طريق الرجاء يقال لك بل المركب بينهما فلقد قيل من غلب عليه الرجاء صار مرجيا بل ربما
يخاف عليه ان يصير حرجيا ومن غلب الخوف صار حروريا والمراد ان لا ينفرد باحدهما دون
الاخر فاذا بالحقيقة الرجاء الحقيقي لا ينفك عن الخوف الحقيقي والخوف الحقيقي لا ينفك عن
الرجاء ولذلك قيل الرجاء كله لاهل الخوف الا الاحمق والخوف كله لاهل الرجاء الا اليائس
فان قيل فهل يكون احدهما ارجح من الاخر والكثر ذكرا قال فاعلم ان العبد اذا كان صحيحا
قويا فالخوف اولى واذا مرض وضعف لا سيما اذا اشرف على الاخرة فالرجاء اولى
ذلك لانكسار قلبه وخوفه المتقدم فى زمان الصحة والقوة والامكان ولذلك يقال اللهم

ان اخر [illegible] عند [illegible] العلماء
[illegible] من [illegible]

الا تخافوا ولا تحزنوا فان قلت اليس قد جاءت الاخبار الكثيرة في حسن الظن بالله تعالى والترغيب في ذلك
فاعلم ان حسن الظن بالله تعالى الحذر عن معصيته والخوف من عقابه والاجتهاد في خدمته
واعلم ان ههنا اصلا اصيلا ونكتة عزيزة يغلط فيها الكثير من الناس وهو ان الفرق بين
الرجاء والامنية ان الرجاء يكون على اصل والتمني لا يكون على اصل مثاله من زرع واجتهد
وجمع بيدرا ثم يقول ارجو ان يحصل لي مائة قفيز فذلك منه رجاء واخر لم يزرع زرعا
ولا يعمل يوما فذهب ونام واغفل سنة فاذا جاء وقت البيادر يقول ارجو ان يحصل
لي مائة قفيز فيقال له من اين لك هذا الرجاء وانما ذلك امنية بلا اصل فكذلك العبد
اذا اجتهد في عبادة الله والانتهاء عن معصية الله يقول ارجو ان يتقبل الله هذا اليسير
ويتم هذا التقصير ويعظم الثواب ويعفو عن الزلل واحسن الظن فهذا منه رجاء
واما اذا غفل ذلك وترك الطاعات وارتكب المعاصي ولم يبال بسخط الله ورضائه ووعده
ووعيده ثم اخذ يقول ارجو من الله الجنة والنجاة من النار فذلك منه امنية لا حاصل تحتها
سماها رجاء وحسن ظن وذلك منه خطاء وضلال وقد نظم هذا المعنى القائل ترجو النجاة
ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجري على اليبس قلت ومما يبين هذا الاصل ما روينا عن النبي صلى
الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني و
في ذلك قال الحسن البصري رحمه الله ان اقواما الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا وليست
لهم حسنة يقول احسن الظن بربي وكذب لو احسن الظن بربه لاحسن العمل له ثم تلا قوله
وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم فاصبحتم من الخاسرين وعن جعفر الضبعي قال
رايت ابا حسرة العابد وقد بدت اضلاعه من الاجتهاد فقلت يرحمك الله ان رحمة الله واسعة
فغضب وقال هل رايت مني ما يدل على القنوط ان رحمة الله قريب من المحسنين قال جعفر
فابكاني قوله فاذا كان الرسل والابدال والاولياء مع كل هذه الاجتهاد في الطاعة و
الحذر عن المعصية مرتبطون فاني تغفل انا كان لهم حسن ظن الله بلى فانهم كانوا اعلم
بسعة

البيدر ... جمع بيادر

بسعة رحمته تعالى واحسن ظنا بجوده منك ولكن علموا ان ذلك دون الاجتهاد امنية وغرور
فاعتبر بهذه النكتة وتامل حالهم وانتبه من رقدتك والله تعالى ولي التوفيق فصل وجملة الامر
انك اذا تذكرت سعة رحمة الله التي سبقت غضبه ووسعت كل شيء ثم انك كنت من هذه الامة
المرحومة الكريمة على الله تعالى ثم غاية فضله العظيم وكمال جوده القديم وجعل عنوان كتابه اليك
بسم الله الرحمن الرحيم ثم كثرة اياديه اليك ونعمته عليك ظاهرة وباطنة من غير شفيع او قدم سابقة
لك وتذكرت من جانب اخر كمال جلاله وعظمته وعظم سلطانه وهيبته ثم شدة غضبه الذي لا
تقوم له السموات والارض ثم غاية غفلتك وكثرة ذنوبك وجفوتك مع دقة امره وخطر
معاملته في احاطة علمه وبصره بالعيوب والغيوب ثم حسن وعده وثوابه الذي لا تبلغ كنهه
الاوهام وشدة وعيده واليم عقابه الذي لا تحتمل ذكره القلوب تارة تنظر الى فضله وتارة
تنظر الى عذابه وتارة تنظر الى رحمته ورافته وطورا تنظر الى نفسك في جفواتها وخياناتها
فاذا فعلت تادى بك جميع ذلك الى الخوف والرجاء وكنت قد سلكت السبيل الشارع
القصد وعدلت عن الجانبين المهلكين الامن والياس ولا تتيه فيهما مع التائهين ولا تهلك
مع الهالكين وشربت شراب المزوج العدل فلا تهلك ببرودة الرجاء ولا بحرارة الخوف
فكان بك وقد وصلت الى المقصود فائزا وسلمت من العلتين سالما ووجدت النفس
قد انبعثت للطاعة ودامت في الخدمة ليلا ونهارا من غير فترة ولا غفلة واجتنبت المعاصي
والمحارم وهجرتها بمرة كما قال نوف البكائي ان نوفا اذا ذكر الجنة طال شوقه واذا ذكر النار
طار نومه وصرت من الاصفياء الخواص العابدين الذين هم وصفهم الله تعالى انهم كانوا يسارعون
في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين وكنت قد خلفت هذه العقبة
الخطيرة وانت باذن الله تعالى وحسن توفيقه فكم لك من حلاوة وصفوة في الدنيا وكم لك
من ذخر كريم واجر عظيم في العقبى قال الله سبحانه احسنوا ان يمدك واياك بحسن توفيقه و
تشديده انه ارحم الراحمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم تمام الباب السادس في العقبة السادسة

ومن عقبة القوادح ثم عليك يا اخي احدك الله وايانا بحسن توفيقه بعد ما بان لك سبيل
واستقام لك امر تمييز سعيك وصيانته عما يغيره ويضيعه عليك وانما لزمك لذلك باقامة
الاخلاص ذكر الجنة والاجتناب عن ضده لامرين احدهما ان فعله من الفائدة وهو حسن
القبول من الله ووفور الثواب عليه والا فيكون مردودا ذاهب الثواب كلا او بعضا على ما روي
في الحديث المشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه يقول انا اغنى الاغنياء عن الشرك من عمل عملا واشرك
فيه غيري فنصيبي فاني لا اقبل الا ما كان لي خالصا وقيل ان الله تعالى يقول للعبد يوم القيمة اذا
التمس ثواب عمله الم نوسع لك في المجالس الم تكن امرؤس في الدنيا الم نرخص بيعك وشراؤك
الم نكرم هذا واشباهه من الخطر والضرر قلت من خطر الرياء فضيحتان ومصيبتان

خطر الرياء فضيحتان ومصيبتان

اما الفضيحتان فاحدهما فضيحة السر وهي اللوم على رؤس الملائكة وذلك كما روي ان الملائكة
تصعد بعمل العبد مبتهجين فيقول الله ردوه الى سجين فانه لم يردني به فيفتضح ذلك العمل
والعبد عند الملائكة والثانية فضيحة العلانية وهي يوم القيمة على رؤس الخلائق كما روي
النبي عم قال ان المرائي ينادى يوم القيمة باربعة اسماء يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر ضل
سعيك وبطل اجرك ولا خلاق لك ولا نصيب اليوم التمس الاجر ممن كنت تعمل له يا مخادع
وروي انه ينادي يوم القيمة يسمع الخلائق اين الذين كانوا يعبدون الناس قوموا خذوا اجوركم
ممن عملتم له فاني لا اقبل من العمل عملا خالطه شيء فاما المصيبتان فاحدهما فوت الجنة

حذوا

اما المصيبتان

وذلك بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الجنة تكلمت وقالت انا حرام على كل بخيل ومرائي والخبر يحتمل
معنيين احدهما ان البخيل من يبخل بالحسنى باحسن قول لا اله الا الله محمد رسول الله وهذا
المرائي من يرائي باقبح رياء وهو المنافق الذي يرائي بايمانه وتوحيده وفي هذا القول
توجيه والمعنى الثاني انه ظاهر يتنزه عن البخل والرياء ولم يراع ففيه خطر انه يلحقه
شؤم ذلك اعني الرياء فيقع في الكفر فيفوته الجنة راسا والعياذ بالله والاخر سلب
الايمان الذي يخلد به النار نعوذ بالله من سخطه وشديد غضبه والمصيبة الثانية

دخول

دخول النار وذلك لما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اول من يدعى
يوم القيمة رجل قد جمع القرآن ورجل قاتل في سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله تعالى للقارئ
الم اعلمك ما انزلت على رسولي فيقول بلى يا رب فيقول ماذا عملت فيما علمت فيقول يا رب
قمت به اناء الليل والنهار فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله بل اردت ان
يقال فلان قارئ فقد قيل ويؤتى بصاحب المال فيقول الله الم اوسع عليك حتى لم ادعك
تحتاج الى احد فيقول بلى يا رب فيقول فما عملت فيما آتيتك قال كنت اصل الرحم وا
تصدق قال الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله بل اردت ان يقال فلان
جواد فقد قيل ويؤتى الذي قتل في سبيل الله فيقول ماذا فعلت فيقول امرت بالجهاد في
سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله بل اردت
ان يقال فلان جرئ فقد قيل ذلك قال ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على ركبتي وقال يا ابا هريرة
اولئك اول خلق الله تسعر بهم نار جهنم وعن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان النار واهلها يعجون من اهل الرياء قيل يا رسول الله وكيف تعج النار قال من حر النار
التي يعذبون بها فهذه الفضائح بلاغ لاولي الابصار والله سبحانه ولي الهداية بفضله

حقيقة الاخلاص والرياء وحكمهما وتاثيرهما

فان قلت فاخبرنا عن حقيقة الاخلاص والرياء وحكمهما وتاثيرهما في العمل فاعلم
ان الاخلاص عند علمائنا اخلاصان اخلاص العمل واخلاص طلب الاجر فاما اخلاص
العمل فهو ارادة التقرب الى الله عز وجل وتعظيم امره واجابة دعوته والباعث عليه الاعتقاد
الصحيح وضد هذا الاخلاص النفاق وهو التقرب الى من دون الله سبحانه وقال شيخنا
رحمه الله النفاق هو الاعتقاد الفاسد الذي هو للمنافق في الله عز وجل وليس هو من قبيل

ما

الارادة لعلة ذكرناها في موضعها واما الاخلاص في طلب الاجر فهو ارادة نفع الآخرة
بعمل الخير وكان شيخنا رضي يقول انه ارادة نفع الآخرة بتعذر خيره بحيث لا يرجو به تلك
المنفعة وقد شرحنا هذه الشرائط وقال الحواريون لعيسى ابن مريم عم ما الخالص من الاعمال

قال الذي يعمل له لا يجب بحمده عليه احد وهي التعرض لترك الرياء وانما خصه بالذكر لانه اقوى
الاسباب المشوشة للاخلاص وقال الجنيد رحمه الله الاخلاص تصفية الاعمال من مخالطة المكدرات
وقال الفضيل الاخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها وهذا هو البيان الكامل
والاقاويل في هذا كثيرة ولا فائدة في تكثير النقل بعد انكشاف الحقيقة وقد قال سيد الاولين
والاخرين صلى الله عليه وسلم اذ سئل عن الاخلاص فقال تقول ربي الله ثم تستقيم كما امرت لا تعبد
هواك ونفسك ولا تعبد الا ربك وتستقيم في عبادتك كما امرت وهذه اشارة الى
قطع كل ما سوى الله عن مجرى النظر وهو الاخلاص حقا وضد الاخلاص الرياء وهو
ارادة نفع الدنيا بعمل الاخرة ثم الرياء ضربان رياء محض ورياء تخليط فالمحض ان
يريد به نفع الدنيا لا غير والتخليط ان يريدهما جميعا نفع الدنيا ونفع الاخرة هذا احدهما
واما تأثيرهما فان اخلاص العمل ان يجعل الفعل قربة واما اخلاص طلب الاجر ان يجعله
مقبولا وافر الاجر والتعظيم والنفاق يحبط العمل ويخرجه من كونه قربة مستحقا عليه
الثواب بالوعد من الله تعالى فالرياء المحض لا يكون من العارف عند بعض العلماء وان كان ابطل
نصف الثواب وعند اخرين قد يكون الرياء المحض من العارف وانه يذهب بنصف الاضعاف
والتخليط يذهب بربع الاضعاف والصحيح عند شيخنا رحمه الله ان الرياء المحض لا يكون من العارف
مع تذكر الاخرة ويكون مع السهو والمختار ان من تأثير الرياء رفع القبول والنقص في الثواب
وان لا تقدير له بنصف او ربع وشرح هذه المسائل يطول وقد شرحناها في كتاب احياء
علوم الدين شرحا مستقصى واشبعنا القول في اسرار معاملة الدين فان قلت فما موقع
الاخلاص وفي اي طاعة يقع ويجب فاعلم ان الاعمال عند بعض العلماء ثلثة اقسام
قسم يقع فيه الاخلاصان جميعا وهو العبادات الظاهرة الاصلية وقسم لا يقع فيه شيء
منهما وهو العبادات الباطنة الاصلية وقسم يقع فيه اخلاص طلب الاجر دون اخلاص العمل
وهو المباحات الماخوذة للعدة قال شيخنا رحمه الله ان كل عمل يحتمل الصرف الى غير الله من العبادات الاصلية

يقع

٦٤

الكراهية

يقع فيها اخلاص نعم فالعبادات الباطنة اكثر ما يقع فيها اخلاص العمل فاما اخلاص طلب الاجر قال مشايخ
لا يقع في العبادات الباطنة اذ لا يطلع عليها احد الا الله تعالى فتقع فيها دواعي الرياء فلم تحتج الى اخلاص طلب
الاجر وكان شيخنا رحمه الله يقول اذا اراد العبد المتقرب من الله بالعبادات الباطنة الدنيا فهو ايضا رياء قلت انا
فلا يبعد اذا ان يقع في كثير من العبادات الباطنة الاخلاصان وكذلك النوافل يجب فيها الاخلاصان
جميعا عند الشرع واما المباحات الماخوذة للعدة يقع فيها اخلاص طلب الاجر دون الاخلاص العمل اذ هي لا تصلح
ان تكون بنفسها قربة بل هي عدة على القربة فان قلت هذا موضعهما فبين لنا وقتهما من العمل فاعلم ان اخلاص
العمل مع الفعل يقارنه لا محالة ولا يتأخر عنه واما الاخلاص طلب الاجر ربما يتأخر عنه وعند بعض العلماء
يعتبر فيه وقت الفراغ من العمل فاذا فرغ على اخلاص او رياء فقد انقضى الامر ولا يمكنه استدراكه بعد وعند
غير بلغ من مشايخ الكرامية ما لم ينل المنفعة المطلوبة بالرياء يمكنه اقامة الاخلاص في ذلك العمل فاذا نال المطلوب
فقد فات وقال بعض العلماء ان الفريضة يمكن اقامة الاخلاص فيها الى الموت واما النوافل فلا سبيل اليه
ذلك قال والفرق بينهما ان الله تعالى ادخل العبد في الفريضة وكان مأمورا بها لتفضيل والتمييز واما النفل
فالعبد الذي ادخل نفسه فيه وتكلفه فطولب بحق ما تكلف قلت انا وفي هذه المسئلة فائدة وهي
ان من سبق منه الرياء وترك الاخلاص في عمل فيمكنه استدراك ذلك وتلافيه على احد الوجوه التي ذكرنا
قبل والمقصود من نقل مذاهب الناس في هذه الدقائق علمنا الان بعلة العاملين وقلة الرغبة في سلوك
هذه الطريق والتعريب على الجتهد في العبادة فان لم يجد لعلته دواء فيهذا القول وجد في الاخر لاختلاف
الامراض والاعراض وعلل الاعمال وافاتها فافهم رشدك الله ان شاء الله تعالى فان قلت اكل عمل يحتاج الى اخلاص
مفرد فاعلم انه قد اختلفوا في ذلك فقيل انه يجب لكل عمل اخلاص مفرد وقيل يجوز تناول الاخلاص
واحد جملة من العبادات اما العمل والاركان كالصلوة والوضوء يكفيهما اخلاص واحد لان بعضها
متعلق ببعض صلاحا وفسادا فصار كشيء واحد فان قلت ان اراد بعمل الخير نفعا دنياويا
من الله تعالى ولا يريد من الناس شيئا من جاه او سمعة او منفعة ايكون ذلك رياء فاعلم ان ذلك محض
الرياء قال علماؤنا رحمهم الله الاعتبار في الرياء بالمراد لا بالذي يريد منه فانه كان مراده من عمل الخير نفعا دنياويا

فانه ريا لسوا اردته من الله تعالى او من الناس قال الله تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في
الاخرة من نصيب وليس الاعتبار بلفظة الرياء واشتقاقه من معنى الرؤية وانما سميت هذه الارادة
الفاسدة بهذا الاسم لان الاكثر ما تقع من قبل الناس ورؤيتهم فافهم فان قلت اذا كان القصد في الدنيا
التي تريدها من الله التعفف عن الناس والعدة على عبادة الله تعالى ايكون ذلك رياء فاعلم ان التعفف
ليس في كثرة المال والحطام انما هو في القناعة والثقة بكفاية الله سبحانه واما العدة على عبادة الله
تعالى فاذا كان مراده ذلك فلا يكون رياء وكذلك ما يتصل بامر الاخرة واسبابها ويصير لطفا لذلك فان
اريد بعمل الخير هذا النوع لا تكون تلك الارادة رياء لان هذه الامور تصير بتلك النية خيرا وتصير في حكم
اعمال الاخرة ولا يكون ارادة الخير رياء وكذلك ان اردت ان يكون لك تعظيم عند الناس او محبة عند
المشايخ والائمة يكون قصدك من ذلك التمكن من تاييد مذهب اهل الحق والرد على اهل البدع او لنشر
للعلم وحض الناس على العبادة ونحو ذلك دون ان تعظمك لكمال شرف نفسك من حيث هي او دنيا تنالها
فان هذه كلها ارادات سديدة ونيات محمودة لا يدخل شيء منها في باب الرياء اذ المقصود منها امر الاخرة
بالحقيقة وعلم اني سالت بعض مشايخنا عما يعتاده اولياؤنا من قراءة سورة الواقعة في ايام
العسرة الى من اراد بذلك ان يدفع تلك الشدة عنهم ويوسع عليهم بشيء من الدنيا على ما جرت به العادة
فكيف تصح ارادة متاع الدنيا بعمل الاخرة فقال في جوابه رحمه الله كلاما معناه ان مرادهم ان يرزقهم الله
قناعة او قوتا يكون لهم عدة على عبادة الله وقوة على درس العلم وهذا من جملة ارادة الخير دون الدنيا
فاعلم ان هذه السيرة اعني قراءة هذه السورة عند الشدة في امر الرزق والخصاصة انما هو شيء وردت به
الاخبار الماثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة حتى كان ابن مسعود حين عوتب في امر ولده اذ لم يترك لهم
الدنيا قال لقد خلفت لهم سورة الواقعة ومن ذلك الاصل جرت هذه الخصلة في سير علمائنا رحمهم الله
والا فلا حاجة لهم بحمد الله تعالى لشدة في امر الدنيا او سعة وهم الذين يغتنمون ضيق الدنيا وعسرها
ويتفاءلون بذلك فيما بينهم ويعدونه من الله تعالى نعمة عظيمة ويخافون ان اباد الهم سعة من الدنيا
التي لا يعدها اكثر الناس الا احسانا ونعمة ان يكون استدراجا من الله تعالى ومصيبة كيف وبطانتهم

من قرأ سورة الواقعة

الاسعاد

الاسعاد ولطف في عموم الحسنات وكثير منهم يقولون نحن الجوع راس مالنا فهذا وضع مذهب اهل التصوف
وهو مذهبي ومذهب اشياخي وبذلك جرت سيرة اسلافنا واما تقصير بعض المتاخرين فلا يعتبر
به وانما ذكرنا هذا الفصل لئلا يعمل فيهم مخالف جهلا منه بما قصد القوم في امورهم او يغلط فيه
مبتدئ سليم الصدر لم ياخذ من العلم حظه بان يقول كيف يليق هذا بحال اهل الزهد والتجرد وارباب
الصبر والرياضة ولم يعلم ان هذا شيء ماخوذ من السنة ثم المقصود حصول القناعة والعدة
لا اتباع البشرة والشهوات والتعفف عن احتمال العقم الشدة والتركما ترى في عقب ذلك قناعة
في القلب وفقد الكلب الجوع والتعفف وسلوة عن الطعام وتمام علم ذلك من المحنة فاعلم هذه الجملة
موفق ان شاء الله القادح الثاني العجب وانما يلزمك اجتنابه لامرين احدهما ان العجب يحجب التوفيق و
التاييد من الله تعالى فان المعجب مخذول واذا انقطع عن العبد التاييد والتوفيق فما اسرع ما يهلك
ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه والثاني انه يفسد العمل
الصالح ولذلك قال المسيح عليه السلام يا معشر الحواريين كم من سراج قد اطفاته الريح وكم من عابد
افسده العجب فاذا كان المقصود والفائدة العبادة وهذه الخصلة تحرم العبد حتى لا يحصل له خير
فان حصل وقليل من ذلك يغوه حتى لا يبقى بيده شيء فتحقيق ان يحذر من ذلك ويتحفظ والله تعالى ولي
التوفيق والعصمة فان قلت فما حقيقة العجب ومعناه وما تاثيره وحكمه فبين لنا ذلك فاعلم ان
حقيقة العجب استعظام العمل الصالح وتفصيله عند علمائنا رحمهم الله ذكر العبد حصول شرف
العمل الصالح دون الله عز وجل كالناس او النفس او الشيء قالوا وقد يكون العجب غلطا بان يذكر ذلك
من هذه الثلثة جميعا النفس والخلق والشيء ومثنى بان يذكر اثنين وموحدا بان يذكر احدا و
ضد العجب ذكر المنة وهو ان يذكر انه بتوفيق الله وانه الذي شرفه وعظم ثوابه وهذا الذكر فرض عند
دواعي العجب ونفل في سائر الاوقات واما تاثير العجب في العمل فقال بعض علمائنا بتنظر الاحباط فان
تاب قبل موته سلم والا احبط واليه ذهب مجاهد ابن صابر من شيوخ الكرامية والاحباط عنده ان
يذهب من العمل جميع الاسماء اي حتى لا يستحق به ثوابا والمدحة البتة ثم في قول غيره هو ذهاب الاضعاف الاخير

القادح الثاني العجب

فان قلت كيف يلتبس على العبد العارف ان الله هو الذي وفق للعمل وعظم قدره واكثر ثوابه بفضله ومنه
فاعلم ان ههنا نكتة لطيفة وذخرة شريفة وهو ان الناس في العجب ثلثة اصناف صنف يعجبون
بكل حال وهم المعتزلة والقدرية لا يرون لله عليهم منة في افعالهم وينكرون بالعون والتوفيق الخاص
واللطف وذلك لشبهة استولت عليهم وصنف هم الذاكرون المنة بكل حال وهم المستقيمون لا يعجبون
بشيء من اعمال وذلك لبصيرة اكرموا بها وتائيد خصوا بها والثالث المخلطون وهم عامة اهل السنة
تارة يتنبهون فيذكرون منة الله وتارة يغفلون فيعجبون وذلك لكان الغفلة العارضة والفترة
في الاجتهاد والنقص في البصيرة فان قلت كيف حال القدرية والمعتزلة في افعالهم فاعلم ان في
ذلك اختلافا فقيل انها محبطة لكان اعتقادهم وقيل لا يحبط عمل باعتقاد الجملة من فرق الاسلام
حتى تخص كل عمل باعجاب ثم ان اعتقاد اهل السنة لا يمنع العجب في كل عمل حتى يخص بذكر منة
فان قيل فهل سوى العجب والرياء من قادح في العمل قيل له اجل ان فيه لقوادح سواهما لكنا خصصنا
هما بالذكر لانهما الاصل الذي يدور عليها معظم الباب وقد قال بعض المشايخ ان حق العبد ان
يتحفظ في العمل من عشرة اشياء النفاق والرياء والتخليط والمن والاذى والندامة والعجب و
الحسرة والتهاون وخوف ملامة الناس وذكر شيخنا رضه ضد كل خصلة منها واضدادها
بالعمل فضد النفاق الاخلاص في العمل وضد الرياء اخلاص طلب الاجر وضد التخليط التفريط وضد المن
تسليم العمل لله وضد الاذى تحسين العمل وضد الندامة تثبيت النفس وضد العجب ذكر المنة وضد
الحسرة اغتنام الخير وضد التهاون تعظيم التوفيق وضد خوف الملامة الخشية فاعلم ان النفاق
يحبط العمل والرياء يوجب رده والمن والاذى يحبطان الصدقة اصلا في الوقت وعند بعض المشايخ
يبطلان اضعافها واما الندامة فانها تحبط العمل في قول جميعهم والعجب يذهب اضعاف العمل والحسرة
والندامة والتهاون يخفي العمل فيذهب بزيادة العمل قلت فالعفو والرد عند اهل التفصيل يرجعان الى
ضربين التعظيم والاستخفاف والاحباط ابطال المنافع تكون بالفعل وبسببه ثم تارة يكون ابطال
الثواب واخرى لابطال التضعيف تكون بالفعل والثواب منفعة يقتضيها الفعل بعينه وقرانه و

احواله

يخص

من قال يحفظ العمل من عشرة

احواله والتضعيف زيادة على هذا والرزانة زيادة تحصل بمقتضى قرائن واحوال اخرى كالاحسان
الى احد من اهل الخير ثم الى الوالدين ثم الى نبي من الانبياء فالشيء يكون رزانته ولا يكون تضعيف فهذا
تدريب كما تحققته في هذه المعاني فافهم ذلك وبالله التوفيق فصل فعليك بقطع هذه العقبة
المخوفة ذات المقاطع والمتالف في غاية التحرز فان صاحب بضاعة الطاعة قد قطع كل تلك العقبات
وتحمل تلك المشقات حتى حصلت له الطاعة من العبادات عزيزة شريفة فانه لا يخاف على بضاعته تلك الا
في هذه العقبة فان فيها مقاطع يحذر ان يسلب فيها بضاعته ومتالف يحذر ان يبيد واو منها افات
تفوت عليه طاعته ثم اعظمها خطرا واعمها وقوعا هذان المقطعان اللذان هما الرياء والعجب فلنذكر
في كل واحد منهما اصولا معقبة لها نجردها لك لعلك تكفى مؤنتهما باذن الله تعالى اما الرياء فاذكر اولا
قوله تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على
كل شيء قدير كان الله يقول اني خلقت السموات والارض وما بينهما وكل هذه الصنائع والبدائع
لتعرف بنظرك لتعلم اني قادر عالم تفصيلا لعقيدة مع ما فيها من العجائب والتقصير فلا تكتفي بنظرك
اليك وبعلمي وثنائي عليك وشكري لك حتى تحب ان تعلم الخلق ليحمدوك بذلك ايكون ذلك
وهاء ايكون ذلك عقلا ان يرضاه احد لنفسه ويحك افلا تعقل الاصل الثاني ان من كان له جوهر
نفيس يمكن ان ياخذ من ثمنه الف الف دينار فباعه بفلس ايس ذلك من انا غبنا عظيما وغبنا فضيعا ودليلا
بينا على خسة الهمة وقصور العلم وضعف الراي ورقة العقل وما يناله العبد بعمله من الخلق من مدحة
وحطام بالاضافة الى رضا رب العالمين وشكره وثنائه وثوابه الا اقل من فلس في جنب الف الف دينار بل في
جنب الدنيا وما فيها واكثر الا يكون من الخسران المبين ان تفوت نفسك تلك الكرامة العزيزة الشريفة
بهذه الامور الحقيرة الدنية ثم ان كان لا بد لك من هذه الخسيس فاقصد الاخرة يتبعك الدنيا
بل اطلب الرب وحده يعطيك الدارين اذ هو مالكهما جميعا وذلك قوله تعالى من كان يريد ثواب
الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة وقال عم ان الله يعطي الدنيا بعمل الاخرة ولا يعطي الاخرة
بعمل الدنيا فاذا اخلصت النية وجردت الهمة للاخرة حصلت لك الاخرة والدنيا جميعا وان اردت

الدنيا ذهبت عنك الاخرة في الوقت وربما لا تنال الدنيا كما تريد وان نلتها فلا تبقى لك فتكون قد
خسرت الدنيا والاخرة فتامل ايها العاقل الاصل الثالث ان المخلوق الذي لاجله تعمل ورضاه تطلب
لو علم انك تعمل لاجله لابغضك وسخط عليك واستهانك واستحق بك فكيف يعمل الرجل
العاقل عملا لاجل من لو علم به انه يطلب رضاه لسخط عليه واهانه فاعمل يا مسكين لاجل الذي عملت
لاجله وقصدته بسعيك وطلبت رضاه بذلك احبك واكرمك واعطاك حتى ارضاك فا
غناك عن الكل وكفاك فهذه هذه فافطن لها ان كنت تعقل الاصل الرابع ان من حصل له سعي
يمكن ان يكتسب به رضاء اعظم ملك في الدنيا لو انه يطلب به رضاء كناس خسيس بين الناس
فيكون ذلك دليلا على السفه ورداءة الراي منه ونقص الحظ له ويقال له ما حاجتك الى رضاء هذا الكناس
مع امكانك من رضاء الملك فكيف وقد سخط عليك الكناس ففاتك الكل فهذا حال المرائي
فاي حاجة الى رضاء مخلوق حقير ضعيف مهين وهو متمكن من تحصيل رضوان رب العالمين
الكافي عن الكل فان ضعفت الهمة وكلت البصيرة حتى طلبت رضاء مخلوق لا محالة فسبيلك ان
تجرد ارادتك وتخلص سعيك لله رب العالمين فان القلوب والنواصي بيده فهو يميل اليك
ويجمع لك النفوس ويثني من حبك الصدور رغما من ذلك ما لا تناله بجهدك وقصدك و
لم تفعل وقصدت بعملك رضاء المخلوقين دونه سبحانه فانه يصرف عنك القلوب وينفر عنك
النفوس ويسخط عنك الخلق فيحصل لك بهذا الامر سخط الله وسخط الناس فيا له من خيبة
وخسران ولقد ذكر عن الحسن انه قال كان رجل يقول والله لاعبدن الله عبادة اذكر بها فكان اول داخل
المسجد واخر خارج منه لا يراه احد حين الصلوة الا قائما يصلي وصائما لا يفطر ويجلس حلق الذكر
فلبث كذلك سبعة اشهر فكان لا يمر بقوم الا قالوا افعل الله بهذا المرائي وصنع فاقبل على نفسه
باللوم وقال اراني في غير شيء لاجعلن عملي كله للرب فلم يزد على عمله الذي كان يعمل قبل ذلك
الا انه تغيرت نيته الى الخير فكان بعد ذلك يمر بالناس فيقولون رحم الله فلانا فلانا قد اقبل الى الخير
ثم قرا الحسن ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا

قال

شعر

قال يحبهم ويحببهم الى المؤمنين ولقد صدق القائل يا مبتغي الحمد والثنا مرائيا تبتغي المحالا قد
خيبت الله ذا ريائه وابطل السعي والكلالا من كان يرجو القارب اخلص من خوفه الفعالا
الخلد والنار في يديه تراه يعطيك النوالا والناس لا يملكون شيئا فكيف رؤيتهم
ضلالا واما العجب فلتتذكر فيه اصولا احدها ان فعل العبد انما صارت له قيمة لما وقع من
الله تعالى موقع الرضاء والقبول والا فترى الاجير يعمل طول النهار بدرهمين والحارس يسهر
طول الليل بدانقين فكذلك اصحاب الصناعات والحرف كل واحد يعمل الليل والنهار يكون قيمة ذلك
دراهيم معدودة فان صرفت الفعل الى الله فصح له تعالى يوما قال سبحانه انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب وفي الخبر اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر فهذا يومك الذي قيمته درهمان ودانقان مع احتمال التعب العظيم صارت
له هذه القيمة بتأخير غداء الى العشاء ولو قمت ليلة له فقد قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم
من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون فهذا الذي قيمته دانقان او درهمان صارت له هذه
القيمة والقدر بل لو جعلت له ساعة تصلي فيها ركعتين خفيفتين بل نفسا قلت فيه لا اله
الا الله قال الله تعالى ومن يعمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون
فيها بغير حساب فهذه انفاسك التي لا قيمة لها عند اهل الدنيا وعندك فكم
تضيعها في لا شيء وكم تمر عليك من الزمان بلا فائدة فصار لها كل هذا القدر لانه لما وقع
مرضيا لله تعالى فعظم قدره وكثر قيمته بفضله فحق اذا للعاقل ان يرى حقارة عمله وقلة
مقداره من حيث هو وان لا يرى الا المنة لله تعالى عليه فيما شرف من قدر عمله واعظم من جزائه
وان يحذر على فعله من ان يقع على وجه لا يصلح له ولا يقع منه موقع الرضاء فتذهب عنه النعمة
التي حصلت له ويعود الى ما كان في الاصل من الثمن الحقير من دراهيم او دوانيق او حقير وخسيس من ذلك و
مثال ان العنقود من العنب والاضبارة من الرياحين تكون قيمته في السوق دانقا فان اهدى ذلك واحد
الى ملك مع وجه فوقع منه موقع الرضاء فيهب على ذلك الوف دينار لما وقع منه موقع الرضاء فصار ما قيمته حبة

بالغ دينار فاذا لم يرض الملك ورده عليك رجع الى قيمته الخسيسة من حبة او بدانق فكذلك كما نحن فيه فتنبه
وتبصر منه الله وحسن فعلك عما يا شيه عند الله عز وجل والثاني كما علمت ان الملك في الدنيا اذا اجرى
على احد جراية من طعام او كسوة او دراهم او دنانير معدودة فانه يستخدمه بضروب الخدمة اناء الليل
والنهار مع ما في ذلك من الذل والصغار ويقوم على راسه حتى يخدر رجلاه ويسعى بين يديه اذا ركب
وربما يحتاج ان يكون على بابه طول الليل حارسا وربما يبدو له عدو فيحتاج ان يقاتل عدوه فيبذل روحه
التي لا خلف عنها لاجله ويتحمل كل هذه الخدمة والكلفة والخطر والضرر لاجل تلك المنفعة النكدة
الحقيرة مع انها بالحقيقة من الله تعالى وانما هو بمنزلة سبب في ذلك فربك الذي خلقك ولم تك شيئا
ثم رباك واحسن اليك التربية ثم انعم عليك من النعم الظاهرة والباطنة في دينك ونفسك ودنياك
ما لا يبلغ كنهه فهمك ووهمك قال عز من قائل وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم انك تصلي ركعتين
مع ما فيهما من المعائب والآفات ومع ما وعد عليهما في المستقبل من حسن الثواب وضروب الكر
امات حتى تستعظم ذلك وتعجب به فليس هذا من شأن عاقل اذا انظرت في هذه والثالث
ان الملك الذي من شأنه ان يخدمه الملوك والامراء ويقوم على راسه السادات والعظماء
ويتولى خدمته الاولياء والحكماء ويطلب مدحته العقلاء والعلماء ويمشي بين يديه الاكابر
والرؤساء اذا اذن لسوقي او قروي بمقتضى رأفة له ورحمة له وعناية له في بابه حتى زاحم
اولئك الملوك والسادات والاكابر والافاضل في خدمته ومدحته ويجعل له مقاما من حضرته
معلوما وينظر الى خدمته بعين رضاء وان كان مشوبة معيبة اليس يقال له لقد كبرت
على هذا الحقير المنة من الملك وعظمت عنايته به فان اخذ هذا الحقير يمن على الملك بتلك
الخدمة المعيبة ويستعظم ذلك ويعجب به الا يقال ان ذلك سفيه جدا ومجنون لا يعقل
شيئا ولما تقرر هذا فان الهنا سبحانه هو الملك الذي تسبح له السموات السبع والارض ومن
فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده والمعبود الذي يسجد له من في السموات والارض طوعا و
كرها فمن الخدم على بابه جبرائيل الامين وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وحملة العرش والكروبيون و
الروحانيون

والروحانيون وسائر الملائكة المقربين الذين لا يحصي عددهم الا الله رب العالمين في منازلهم الرفيعة
وانفسهم الطاهرة وعباداتهم العظيمة ثم من الذين هم خدم على بابه ادم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى
ومحمد خير العالمين مع سائر الانبياء والمرسلين صلوات الله عليهم اجمعين في مراتبهم المنيفة ومنا
قبهم الشريفة الرفيعة ومقاماتهم الكريمة وعباداتهم الجليلة الخطيرة ثم من العلماء والائمة و
الابرار والزهاد في مراتبهم العظيمة الفاخرة واديانهم وابدانهم النقية الطاهرة وعباداتهم
الكثيرة الخالصة المتظاهرة واذل الخدم على بابه ملوك الدنيا وجبابرتها يخرون على الاذقان
ساجدين صاغرين يعفرون الوجوه في التراب خاضعين ويرفعون حوائجهم اليه باكين
ضارعين ويعترفون له بالعبودية والنقص ساجدين صاغرين حتى ربما ينظر اليهم نظرة
يقضي لهم بفضله حاجة ويتجاوز عنهم بكرمه زلة وانه مع هذه العظمة والجلال و
الملك والكمال قد اذن لك في حقارتك وعيوبك وقذارتك وانت الذي لو استأذنت
على رئيس بلدك فربما لا يأذن لك وان كلمت امير ناحيتك فربما لا يكلمك فان تحدثت لسلطان
بلادك بالارض فربما لا يلتفت اليك وقد اذن لك جل جلاله حتى تعبده وتثني عليه و
تخاطبه بل تدل عليه بالمسائل وتباسط فتستقضي حاجتك وتستكفيه مهماتك ثم
انه يرضى بركعتيك بمعائبهما ثم يعد عليك من الثواب عليهما ما لا يخطر بقلب بشر وانت
مع ذلك تعجب بهاتين الركعتين وتستكثر ذلك وتستعظمه ولا ترى منة عليك
في ذلك فما اسوأك من عبد وما اجهلك من انسان والى الله تعالى المستعان واليه المشتكى
من هذه النفس الجاهلة وعليه التكلان فهذه هذه فصل وعلى وجه اخر مثل الملك العظيم
اذا اذن لادخال الهدايا اليه فيدخل بحضرته الامراء والكبراء والرؤساء والاغنياء بانواع
الهدايا من الجواهر والذخائر الثمينة والاموال الجليلة فان جاء بقلي بباقة بقل او قروي
بسلة عنب يساوي دانقا او حبة فيدخل بحضرته ويزاحم اولئك الاكابر والاغنياء
بهداياهم الكثيرة النفيسة وهذا الملك يقبل على هدية هذا الفقير فيقبلها منه وينظر اليه بنظر القبول

والرضا ويأمر له بانفس خلعة وكرامة الا يكون ذلك منه غاية الفضل والكرم فان اخذ الفقير
يمن ذلك على الملك ويعجب به ويستعظمه وينسى ذكر منته الملك الا يقال ان هذا مجنون مفقود
العقل او سفيه سيء الادب عظيم الجهل فالان يجب انك اذا قمت ليلة وصليت ركعتين فاذا
فرغت فتفكر كم قام لله سبحانه في هذه الليلة من الخدم في اقطار الارض برها وبحرها وجبالها
وبلادها من اصناف المستغيثين والصديقين والخائفين والمشتاقين والمجتهدين والمتضرعين وكم
حضرت في هذه الساعة بباب الله سبحانه من عبادة صافية وخدمة خالصة عن انفس خاشعة و
السن طاهرة وعيون باكية وقلوب عامرة وصدور نقية واركان تقية وصلواتك ان كنت لم تبذل
لك المجهود في تحسينها واحكامها واخلاصها فلا تكاد تصلح لحضرة هذا الملك العظيم فلا تتبين
في جنب تلك العبادات التي تعرض هنالك كيف وقد كانت منك عن قلب غافل مختلط بانواع
المعصية والعيوب وبدن نجس باقذار الذنوب ولسان متلطخ بانواع المعصية والفضول
فكيف يصلح هذا ان يحمل الى ملك الحضرة وكيف يستاهل ان يهدى الى رب العزة تعالى قال شقيق
رحمه الله انظر ايها الغافل هل وجهت قط صلوة من صلواتك الى السماء كمائدة بعثتها الى البيوت الا
غنياء وكان ابو بكر الوراق يقول لما فرغت من صلوة الا استحييت حياء فرغت منها اشد حياء
من المراة فرغت من الزنا ثم ان الرب الكريم سبحانه بمحض كرمه وفضله عظم قدر هاتين الركعتين
ووعد عليهما بجزيل الثواب ما وعد وانت عبده في جرايته وعلمت ما عملت بتوفيقه وتيسيره
ومع ذلك تعجب بذلك وتنسى منة الله عليك هذا ولعمري ان العجب لا يكاد يذهب مثله الا عن
جاهل لا فكرة له ولا عقل لا ذهن له وقلب ميت خاو لا خير فيه فهذه هذه نسال الله الكفاية
بمنه وفضله فصح ثم اقول بعد هذه الجملة تيقظ من رقدتك ايها الرجل في هذه العقبة
والا كنت من الخاسرين فان هذه العقبة اشد واشق وامر واضر عقبة استقبلتك
في هذه الطريق اذ اليها تنتهي ثمرة كلما مضى في العقبات فان سلمت غنمت وربحت وان كانت
الاخرى فقد ضاع الجميع كله وخاب الامل وابطل العمر ثم الشان كله انه قد اجتمع في هذه

العقبة

العقبة ههنا ثلثة امور الاول منها ان الامر دقيق جدا والغبن شديد والخطر عظيم اما
دقة الامر فان مجاري الرياء والعجب في الاعمال دقيقة خفية بالغاية فلا يكاد ينتبه لذلك الا
كل جري في امر الدين بصير يقظان القلب متحرز وكيف الى يطلع عليه الجاهل اللغوب والغافل
النؤم ولقد سمعت بعض علمائنا بنيسابوري يحكي ان عطاء السلمي رحمه الله وكان نساجا نسج
ثوبا فاحكمه واحسنه جدا فحمله الى السوق فعرضه فاسترخصه البزاز وقال ان فيه عيوبا
كيت وكيت فاخذه عطاء وجلس يبكي بكاء شديدا فندم الرجل على ذلك وجعل يعتذر
اليه ويبذل له في ثمنه ما يريد فقال له عطاء ليس ذلك ما تظن انما انا عامل هذه الصناعة
وقد اجتهدت في احكام هذا الثوب واصلاحه وتحسينه حتى لا يوجد به عيب فلما عرض على
البصير بعيوبه اظهر فيه عيوبا كنت عنها غافلا فكيف اعمالنا هذه اذا عرضت غدا على الله
كم يبدو فيها من العيوب والنقصانات التي نحن اليوم عنها غافلون وعن بعض الصالحين
قال كنت ليلة في وقت السحر في غرفة لدي شارعة اقرا سورة طه فلما ان ختمتها غفوت
فرايت شخصا نزل من السماء بيده صحيفة فنشرها بين يدي واذا فيها سورة طه واذا
تحت كل كلمة عشر حسنات مثبتة الا كلمة واحدة فاني رايت مكانها محوا ولم ار تحتها شيئا فقلت
والله تعالى قرات هذه الكلمة ولا ارى لها الا ان سمعنا مناديا ينادي من قبل العرش امحوها
واسقطوا ثوابها فمحوناها قال فبكيت في منامي وقلت لم فعلتم ذلك فقالوا امر رجل فرفعت
بها صوتك لاجله فهذه هذه واما شدة الغبن فان الرياء والعجب آفة تقع في لحظة فربما
تفسد عليك عبادة سبعين سنة وحكي ان رجلا اضاف سفيان الثوري واصحابه فقال لاهله
هاتوا الطبق الذي اتيت به في الحجة الاولى بل الذي اتيت به في الحجة الثانية فنظر اليه سفيان
وقال يا مسكين قد افسد عليه بهذا حجتيه ووجه امر في الغبن ان اقل طاعة سلمت عن
هذه الرياء والعجب يكون لها عند الله عز وجل من القيمة ما لا نهاية له والكثر طاعة اذا اصابتها
هذه الافة بقيت لا قيمة لها الا ان يتداركها الله تعالى على ما روي عن علي رضي الله عنه انه قال لا يقل عمل الله تع

فقال الشخص صدقت قد قراتها ولا اراها تثبت وكتبناها

البتة وكيف يقبل عمل مقبول وسئل النخعي عن عمل كذا وكذا ما ثوابه قال اذا قبل لا يحصى ثوابه وعن

قال كان فيمن قبلكم رجل عبد الله سبعين عاما صائما يفطر من سبت الى سبت فطلب الى الله حاجة

فلم تقض فاقبل على نفسه وقال من قبلك اتيت لو كان عندك خير قضيت حاجتك فانزل الله ملكا

فقال يا ابن ادم ساعتك التي ازريت فيها نفسك خير من عبادتك التي مضيت قلت فلينظر العاقل

الى هذا الكلام اليس من الغبن ان احدا يكدح ويتعب سبعين سنة وان يتفكر ساعة واحدة

فيكون فكرة ساعة افضل من سبعين سنة وخير اليس من الغبن العظيم انك تتمكن من ساعة خير من سبعين

سنة ويترك ذلك من غير حاجة بلى والله انه لاعظم الغبن وان اغفاله لا يتدارك وان الخصلة التي

لها هذه القيمة ونو الخطر يجب ان يحذر من فواته وتجتنب ولعل هذا المعنى انما وقع نظر اولي الا

بصار من العباد في مثل هذه الدقائق فاهتموا بمثل هذه الاسرار وبمعرفتها اولا ثم برعايتها

وتحفظ عنها ثانيا ولم تغنم كثرة الاعمال بالظاهر وقالوا الشان في صفوة لا في الكثرة وقالوا جوهرة

واحدة خير من الف خرزة واما الذين قل علمهم وقل في هذا الباب نظرهم جهلوا المعاني واغفلوا

ما في القلوب من العيوب واشتغلوا باتعاب النفوس في الركوع والسجود والامساك عن الطعام و

الشراب ونحوه فغرهم العدد والكثرة ولم ينظروا ما فيها من الخلل والصفوة وما يغني عدد الجوز ولا لب

فيها وما ينفع رفع السقوف ولم يحكم بنائها وما يعقل هذه الحقائق الا العالمون بالله المشفقون و

المتبعون الهداية واما عظيم الخطر فمن وجوه احدها انه ملك لا نهاية لجلاله وعظمته وله عليك

نعم لا تعد ولا تحصى وبدنك معيوب بعيوب خفية موقوف بافة كثيرة وامر مخوف ان وقع

مع شدة حرص النفس اليه فتحتاج ان تستخرج عملا صافيا سالما من بدن معيب ونفس مائلة الى الشر امارة

بالسوء على وجه يصلح لرب العالمين في جلاله وعظمته وكثرة اياديه ومننه ويقع منه موقع الرضا

والقبول والا فيفوتك الربح العظيم الذي لا تسمح النفس بفوته بل ربما يصيبك فيه مصيبة لا طاقة

لك بها وهذا والله شان عظيم وخطب جسيم واما جلال الملك وعظمته بحيث ان الملائكة

المقربين الابرار قائمين له بالخدمة اناء الليل والنهار حتى ان منهم من هو منذ خلقه الله تعالى في قيام ومنهم

٨

من هو في ركوع ومنهم من هو في سجود ومنهم من هو في تسبيح وتهليل فلا يتم القائم قيامه ولا الراكع

ركوعه ولا الساجد سجوده ولا المسبح تسبيحه ولا المهلل تهليله الى نفخ الصور ثم لما فرغوا من هذه الخدمة

العظيمة نادوا باجمعهم سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وهذا سيد المرسلين وخير العالمين واعلم

الخلق وافضلهم محمد صلى يقول لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك يقول انا لا اقدر ان اثني

عليك ثناء انت له اهله فضلا عن ان اعبدك كما انت له اهل فهو الذي يقول ليس احد يدخل الجنة

بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته واما النعم والايادي فكما قال

وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وعلى ما روي ان يحشر الناس على ثلثة دواوين ديوان الحسنات و

ديوان السيئات وديوان النعم فيقابل الحسنات بالنعم فلا يوتى بحسنة الا اتي بنعمة حتى تغمر الحسنات وتبقى

السيئات والذنوب فلله تعالى فيها المشية واما عيوب النفس وافاتها فقد قدمنا ما فيها بابا وان الامر المخوف ان

العبد يكدح ويذاب سبعين سنة غافلا عن عيوبه وافاته فربما لا يكون واحد منها مقبولا وربما يتعب

اعواما فيفسد بساعة واحدة وعلم ان الخطر من ذلك كله انه ربما ينظر الله تعالى الى العبد وهو يرائي الناس

بعبادته وخدمته وجعل ظاهره لله وقلبه وباطنه للخلق فيطرده طردا لا مرد له والعياذ بالله و

لقد سمعت بعض العلماء يحكي عن الحسن البصري رحمه الله انه روي في المنام فسئل عن حاله فقال اوقفني الله بين

يديه وقال يا حسن اتذكر يوم كنت تصلي في المسجد اذ رمقك الناس بابصارهم فزدت حسنا

لصلوتك فلولا ان اول صلوتك كان لي خالصا لطردتك اليوم عن بابي ولقطعتك عني مرة واحدة

ولما كان الامر في الجملة من الدقة والصعوبة الى حد عظيم نظر اولوا الابصار فيه فخافوا على انفسهم حتى ان منهم

من لا يلتفت الى جميع ما يظهر للناس من اعماله حتى حكي عن رابعة انها قالت ما ظهر من اعمالي لا اعده شيئا

وقال اخر اكتم حسناتك كما تكتم سيئاتك وامر يقول ان امكنك ان تجعل لك خبيئا من الخير فافعل

ولقد حكي انه قيل لرابعة بم ترجين اكثر ما ترجين قالت باياسي من جميع عملي وحكي انه اجتمع محمد بن واسع

ومالك بن دينار فقال مالك اما طاعة الله او النار فقال محمد بن واسع اما رحمة الله او النار فقال

مالك ما احوجني الى معلم مثلك وعن ابي يزيد البسطامي رحمه قال كابدت العبادة ثلثين سنة فرايت

حسنا من الخير

علينا

قائلا يقول لي يا ابا يزيد خزائنه مملوة من العبادة ان اردت الوصول اليه فعليك بالذلة والافتقار
سمعت الاستاد ابا الحسن يحكي عن الاستاد ابي الفضل رضه انه كان يقول ان من كان عمله من الطاعات غير مقبول
عند الله تعالى يوما فتلك النفس متعودة لعمل الخير فلا احتاج ان اعود هاذلك من الراس فهذه حال هولاء القوم
والاعلام وذو المجاهدات والاقدار فكن انت كما قال الشاعر فاطلب لنفسك صحبة مع غيرهم و
قع الاياس من خابت الاعمال هيهات تدرك بالتواني سادة كدوا النفوس وساعد الاقبال ثم ان
ان ابتغاه بهناه اخر المؤتور عن العبادة في الحضيض وقد ذكرناه في غير كتاب روى ابن المبارك عن رجل عن خالد
بن معدان انه قال لمعاذ بن جبل حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلعم وحفظته وذكرته في كل يوم
من شدته ودقته قال نعم ثم بكى بكاء شديدا طويلا ثم قال واشوقاه الى رسول الله صلعم والى لقائه ثم
قال بينما انا عند رسول الله صلعم اذ ركب واردفني ثم سار فرفع بصره الى السماء وقال الحمد لله الذي يقضي
في خلقه ما يشاء يا معاذ قلت لبيك يا سيد المرسلين قال احدثك بحديث ان حفظته نفعك وان
ضيعته انقطعت حجتك عند الله عز وجل يا معاذ ان الله تعالى خلق سبعة املاك قبل ان يخلق
السموات والارض لكل سماء ملكا وجعل على كل باب من ابواب السماء منهم ملكا بوابا عليها على قدر
الباب وجلالته فتصعد الحفظة بعمل العبد وله نور وشعاع كالشمس حتى اذا بلغ سماء الدنيا و
الحفظة تستكثر عمله وتزكيه فاذا انتهوا الى الباب قال الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه
صاحبه انا صاحب الغيبة امرني ربي ان لا ادع عمل من يغتاب الناس ان يتجاوزني الى غيري ثم
تجيء الحفظة من الغد معهم عمل صالح له نور تستكثره الحفظة وتزكيه حتى اذا انتهى الى السماء
الثانية قال الملك قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه فانه اراد به عرض الدنيا وامرني
ربي ان لا ادع عمله ان يجاوزني الى غيري فتلعنه الملائكة حتى يمسي وتصعد الحفظة بعمل العبد
مبتهجا به فيه صدقة وصيام وكثير من البر فتكثره الحفظة وتزكيه فاذا انتهوا الى السماء
الثالثة قال الملك قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا ملك صاحب
الكبر امرني ربي ان لا ادع عمله ان يتجاوزني الى غيري انه يتكبر على الناس في مجالسهم

وتصعد

وتصعد الحفظة بعمل العبد تزهر كما تزهر النجوم والكواكب الدرية له دوي كدوي النحل وتسبيح
بصوم وصلوة وحج وعمرة فاذا انتهوا الى السماء الرابعة قال الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا
العمل وجه صاحبه انا الملك صاحب الاعجاب امرني ربي ان لا ادع عمله ان يتجاوزني الى غيري انه كان
اذا عمل عملا ادخل العجب فيه وتصعد الملائكة بعمل العبد تزف كما تزف العروس الى اهلها حتى
اذا انتهوا الى السماء الخامسة بذلك العمل الحسن من جهاد وحج له ضوء كضوء الشمس فيقول الملك
انا الملك صاحب الحسد انه كان يحسد الناس على ما اتاهم الله من فضله فقد سخط ما رضي الله امرني ربي
ان لا ادع عمله ان يتجاوزني الى غيري وتصعد الملائكة بعمل العبد بضوء تام بصلوة كثيرة
وصيام وحج وعمرة حتى يتجاوزوا به الى السماء السادسة فيقول الملك الموكل بالباب انا صاحب
الرحمة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه لم يرحم قط انسانا وان اصيب عبد شمت به امرني ربي
ان لا ادع عمله ان يتجاوزني الى غيري وتصعد الملائكة بعمل العبد بنفقة كثيرة وصوم وصلوة
واجتهاد وورع له صوت كصوت الرعد وضوء كضوء البرق فاذا انتهوا الى السماء السابعة يقول
الملك الموكل بالسماء انا صاحب الذكر يعني السمعة والصيت في الناس انا صاحب هذا العمل اراد
به الذكر في المجالس والرفعة عند القراء والجاه عند الكبراء امرني ربي ان لا ادع عمله ان يتجاوزني الى غيري
وكل عمل لم يكن لله تعالى خالصا فهو رياء ولا يقبل الله عز وجل عمل المرائي وتصعد الحفظة بعمل العبد
من صلوة وزكوة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر الله تعالى وتشيعه ملائكة
السموات السبع حتى تقطع الحجب كلها الى الله تعالى فيقفون بين يدي الرب جل جلاله ويشهدون
له بالعمل الصالح المخلص لله فيقول الله تعالى انتم الحفظة على عمل عبدي وانا الرقيب على ما في نفسه انه
لم يردني بهذا العمل واراد به غيري ولم يخلصه لي وانا اعلم بما اراد بعمله عليه لعنتي غر الآدميين
وغركم ولا يغرني وانا علام الغيوب المطلع على ما في القلوب لا يخفى علي خافية ولا يعزب عني
عازبة علمي بما كان كعلمي بما لم يكن وعلمي بما مضى كعلمي بما بقي وعلمي بالاولين كعلمي بالآخرين اعلم السر واخفى
فكيف يغرني عبد بعمله انما يغر المخلوقين الذين لا يعلمون وانا علام الغيوب عليه لعنتي وتقول الملائكة السبعة

وثلثة آلاف يشيعونه يا ربنا عليه لعنتك ولعنتنا فيقول اهل السموات عليه لعنة الله ولعنة اللاعنين
ثم بكى معاذ رضي وانتحب انتحابا شديدا وقال يا رسول الله فكيف النجاة مما ذكرت قال معاذ اقتد
بنبيك في اليقين قلت انت رسول الله وانا معاذ بن جبل كيف لي النجاة والخلاص قال نعم يا معاذ
ان كان في عملك تقصير فاقطع لسانك عن الوقيعة في الناس وعن اخوانك من حملة القرآن
خاصة ولتردك عن الوقيعة في الناس ما تعلم من عيب نفسك ولا تزك نفسك بذم اخوانك
ولا ترفع نفسك بوضع اخوانك ولا ترائي بعملك كي تعرف الناس ولا تدخل في الدنيا حولا
ينسيك امر الاخرة ولا تناج رجلا وعندك اخر ولا تتعظم على الناس فتنقطع عنك خيرات
الدنيا والاخرة ولا تفحش في مجلسك حتى يحذروك من سوء خلقك ولا تمزق الناس بلسانك
فتمزقك كلاب جهنم فقوله تعالى والناشطات نشطا يقول تنزع اللحم من العظام قلت يا رسول
الله من يطيق هذه الخصال قال يا معاذ ان الذي وصفت لك ليسير على من يسره الله تعالى عليه انما
يكفيك من ذلك ان تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك فاذا انت قد سلمت
وقال خالد بن معدان كان معاذ لا يكثر من تلاوة القرآن كما يكثر هذا الحديث وذكره في مجلسه فلما
سمعت ايها الرجل بهذا الحديث العظيم نبأوه الكبير خطره الاليم اثره التي تطير له القلوب وتحير له
العقول وتضيق عن حمله الصدور وتجزع عن هوله النفوس فاعتصم بمولاك اله العالمين
والزم الباب بالتضرع والابتهال والبكاء اناء الليل واطراف النهار مع المتضرعين المبتهلين
فانه لا نجاة من هذا الامر الا برحمته ولا سلامة من هذا البحر الا بنظره وعنايته فتنبه من رقدة
الغافلين واعتن الامر حقه وجاهد نفسك في هذه العقبة المخوفة لعلك لا تهلك مع
الهالكين واستعن بالله على كل حال فانه خير معين وهو ارحم الراحمين ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم فهذه وجملة الامر انك اذا احسنت النظر فرايت قدر طاعة الله
تعرف ايضا عجز الخلق وضعفهم وجهلهم فلا تلتفت اليهم فتقلبك تكن زاهدا في ثنائهم
وحمدهم وتعظيمهم الذي لا فائدة له تحته ولا تزيد بطاعتك اشياء من ذلك ورايت حرمة

الدنيا

الدنيا وحقارتها وعسرتها وزوالها فلا تريد بها ايضا بطاعتك من الله تعالى فتقول يا نفس ارب العالمين
وشكره واعزازه خيرا من ثناء المخلوقين العاجزين الجاهلين الذين لا يعرفون قدر عملك بالحقيقة
وما تحملت فيه وما يبلغون حقك فيما عملت وتحملت بل ربما يفضلون عليك من هو دون
حالا منك بالفي درجة ويضيعونك في احوج الاوقات وينسونك وان لم يفعلوا ذلك
فماذا عسى ان يكون بايديهم والا اذا تبلغ قدرتهم ثم انهم في قبضة الله تعالى يدبرهم فيهم كيف يشاء
والى من يشاء فاعقلي ايها النفس ولا تضيعي طاعتك العزيزة لهم ولا تفوتك ثناء الله من ثنائه
كالفخر وعطاء من عطائه كل ذخر ولقد صدق القائل شعر سهر العيون لغير وجهك باطل
وبكاؤهن لغير فقدك ضائع وقولي يا نفس اجنة الخلد خير ام نفحة من حطام الدنيا وحطامها
النكد الفاني وانت متمكنة من ان تحصل بطاعتك هذا النعيم المقيم فلا تكوني خسيسة الهمة
ردية الارادة دنية الافعال الا ترين الحمام اذا كان سماويا كيف تعلو قيمته ويزداد
قدره فارفع همتك كلها الى السماء وتجردي قلبك لله الواحد الذي بيده الامر كله ولا تضيعي
ما ظفرت به من طاعتك بلا شيء وكذلك احسنت التامل فرايت ايادي الله تعالى ومنته العظام
عليك في هذه الطاعة بان امكنك منها واعطاك الآلة اولا ثم ازاح العوائق حتى تفرغت
لهذه الطاعة ثانيا خصك بالتوفيق والتاييد ويسرها عليك وزينها في قلبك حتى
عملتها ثالثا ثم مع جلالة عظمته واستغنائه عنك وعن طاعتك وكثرة نعمه عليك اعد لك على هذا
العمل اليسير الثناء الجزيل والثواب العظيم الذي لا تستحقه رابعا ثم شكرك على ذلك واثنى عليك واحبك
بذلك خامسا فهذه كلها بفضله العظيم لا غير والا فباي استحقاق لك واي قدر لعملك الحقير المعيوب
فاذكري ايها النفس منة ربك الكريم الرحيم سبحانه فيما احسن اليك في هذه الطاعة واستحي من ان تلتفتي
الى عمل بل الفضل والمنة لله علينا بكل حال ولا يكون لك شغل بعد حصول هذه الطاعة الا التضرع
والابتهال الى الله سبحانه بان يتقبلها اما تسمعين قول خليل ابراهيم عليه السلام حين فرغ من بناء
بيته كيف ابتهل الى الله في ان يتفضل عليه بالقبول فقال ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم

ولما فرغ من دعائه قال ربنا وتقبل دعاء فلئن منّ عليك بقبول هذه الطاعة من جانب فلقد اكمل المنة واعظم
النعمة وبالك من سعادة ودولة وعز ورفعة وكم تزين لذلك الملك من خلعة ونعمة وذخر وكرامة
وان تكن الاخرى فيالك من حسرة وغبن وحرمان فاحذر ثم احذر واشتغل بعد الشغل فاذا اوجبت على نفسك هذا
وكررته على قلبك عند الفراغ من طاعتك واستعنت بالله عز وجل من غفلة عن الالتفات الى الخلق والى النفس
وشغلك عن رؤية العجائب وبعثك على محض الاخلاص لله تعالى في الطاعات والتمسك بذكر منة الله تعالى
عليك في جميع الحالات فارجو ان يحصل لك طاعة طاهرة لا عيب فيها وخيرات خالصة لا شوب
فيها وعبادات مقبولة لا نقص فيها بل مثل هذه الطاعة وان حصلت لك في العمر مثلا واحدة لا غير
فانها بالحقيقة لكثيرة لعمري انها وان قل عددها لقد كثر معناها وعظم قدرها وكبر نفعها وطاب
عقباها وان التوفيق لمثلها عزيز ولفضل الله على العبد لكثير واي هدية اجل من هدية تقبلها رب
العالمين واي سعي اكرم من سعي يشكره مجيب المضطرين ويثني عليه خالق الخلق اجمعين واي بضاعة
من بضاعتي اخيار ارضيها رب العالمين فتاملها ايها المسكين كي لا ان تكون من المغبونين واذا جرى
الامر على هذه الجملة كنت من المخلصين لله سبحانه الخالصين الذين اكرمهم الله بمنه اجمعين وكنت قد خلصت من هذه
العقبة وانك سلمت من افاتها وسبغت بخيراتها وثمراتها فائزا على الابد بكراماتها وسعاداتها
والله سبحانه ولي التوفيق والعصمة بمنه ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الباب السابع

في العقبة السابعة وهي عقبة الحمد والشكر ثم عليك وفقك الله وايانا بحسن توفيقه بعد قطع
هذه العقبة والظفر بالمقصود من العبادة السالمة من الافات بالحمد والشكر على هذه النعمة العظيمة والمنة
الكريمة وانما يلزمك ذلك لامرين احدهما لدوام النعمة والثاني لحصول الزيادة فاما دوام
النعمة فلان الشكر قيد النعمة به تدوم وتبقى وبتركه تزول وتحول قال الله تعالى ان الله لا يغير
ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وقال جل من قائل فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع
والخوف بما كانوا وقال سبحانه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقال ... ان للنعم
اوابد كاوابد الوحش فقيدوها بالشكر واما حصول الزيادة فلما كان الشكر هو قيد

النعم

النعمة فهو ثمن الزيادة قال الله سبحانه لئن شكرتم لازيدنكم والذين اهتدوا زادهم هدى والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا فالسيد الحكيم اذا راى العبد قد قام بحق النعمة يمن عليه باخرى ويراه اهلا لها
والا فينقطع ذلك عنه ثم النعم قسمان دنيوية ودينية فالدنيوية ضربان نعمة نفع ونعمة
دفع فنعمة النفع ان اعطاك المصالح والمنافع وهو ضربان الخلقة المستوية وسلامتها وما
فيها والملاذ الشهية من المطعم والمشرب والمنكح وغيرها من فوائدها ونعمة الدفع ان
تصرف عنك المفاسد والمضار وهي ضربان احدهما في النفس بان تسلك السلامة من افاتها وسائر
افاتها وعللها والثاني دفع ما يلحقك به ضرر من انواع العلائق او يقصدك بسوء من
انس او جن او سباع او هوام ونحوها واما النعم الدينية ضربان نعمة التوفيق ونعمة العصمة
فنعمة التوفيق ان وفقك الله اولا للاسلام ثم للسنة ثم للطاعة ونعمة العصمة ان عصمك
اولا عن الكفر والشرك ثم عن البدعة والضلالة ثم سائر المعاصي وتفصيل ذلك لا يحصيه الا السيد
العالم الذي انعم عليك كما قال جل وعز وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وان دوام هذه
النعم كلها بعد ما من عليك بها والزيادة عليها من كل باب منها ما لا يحصيه ولا يبلغه وهمك
كلها يتعلق بشيء واحد وهو الشكر والحمد لله وان خصلة تكون لها هذه القيمة كلها وتكون
فيها كل هذه الفائدة لحقيق بان يتمسك بها من غير اغفال بحال فانه جوهر ثمين وكيمياء
عزيز والله ولي التوفيق فان قيل فما حقيقة الحمد والشكر ومعناهما وحكمهما فاعلم ان
العلماء فرقوا بين الحمد والشكر عند اهل التحصيل بان الحمد من اشكال التسبيح والتهليل فيكون من
المساعي الظاهرة والشكر من اشكال الصبر والتفويض فيكون من المساعي الباطنة لان الشكر
يقابل الكفران والحمد يقابل اللوم ولان الحمد اعم واكثر والشكر اخص واقل قال الله تعالى و
قليل من عبادي الشكور فثبت انهما معنيان متميزان ثم الحمد هو الثناء على احد بالفعل الحسن
هذا مقتضى كلام شيخنا رض واما الشكر فتكلم في معناه واكثروا فعن ابن عباس
انه قال الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح لرب العالمين في السر والعلانية والى نحوه ذهب بعض مشايخنا

فقال الشكر هو اداء الطاعات في الظاهر والباطن ثم رجع الى انه اجتناب المعاصي ظاهرا او باطنا و
قال غيره الشكر الاحتراس عن احتيار معاصي الله تحترس على قلبك ولسانك واركانك حتى
لا يقتضي الله عز وجل بشيء من هذه الثلثة بوجه من الوجوه والفرق بين قوله وبين قول الشيخ
الاول انه رحمه الله جعل الاحتراس معنى مشتبا زائدا على الاجتناب عن المعاصي واما الاجتناب
عن المعصية فما هو الا ان لا يفعل المعصية عند دواعيها ولا يكون في معناه محصلا يكون العبد
به مشتغلا ومن الكفران معتصما وقال شيخنا رضه ان الشكر تعظيم المنعم على مقابلة نعمته
على حد يمنعه عن جفاء المنعم وكفرانه ولو قلت تعظيم المحسن على مقابلة احسانه يصح ان يكون
من الله الشكر للعبد حسن وفيه تفاصيل وقد شرحناها في كتاب احياء علوم الدين وغيره ولكن التحصيل
ان الشكر من العبد تعظيم يمنع من جفاء من احسن اليه وذلك بتذكر احسانه وحسن حال الشاكر
في شكره وقبح حال الكافر في كفرانه قلت ان اقل ما يستوجب المنعم بنعمته ان لا يتوصل بها الى معصية
وما اقبح حال من جعل نعمة المنعم سلاحا على عصيانه فعلى العبد اذا من فرض الشكر في حقيقته
ان يكون من تعظيم الله سبحانه ما يحول بينه وبين معاصيه على حسب تذكر نعمه فاذا اتى بذلك
فقدر ما هو الاصل فيه ثم يتعاطى بذلك من الاحتراس عن المعصية وبالله التوفيق فان قيل فما موضع
الشكر فاعلم ان موضع النعم الدينية والدنيوية على اقدارها واما الشدائد والمصائب في الدنيا
في النفس والاهل والمال فقد تكلموا في ذلك هل يلزم العبد الشكر عليها قال بعضهم لا يلزم العبد الشكر عليها
من حيث هي وانما يجب فيها الصبر واما الشكر فهو على النعم لا غير قالوا ولا شدة الا وفي جنبها نعم
الله تعالى فيلزم الشكر على تلك النعم المقترنة بها دون نفس الشدة وتلك النعم ما قال ابن عمر رضه ما ابتليت
ببلية الا كان لله تعالى علي فيها اربع نعم اذ لم تكن في ديني واذ لم تكن اعظم منها واذ لم احرم الرضى
بها واذ رجوت الثواب عليها وقد قيل ايضا من تلك النعم ان تلك الشدة زائلة غير دائمة وانها
من الله تعالى عز وجل دون غيره وان كانت بسبب مخلوق فانك لا عليه لا له عليك فاذا يلزم العبد الشكر
على النعم المقترنة بالشدة وقال آخرون وهو الاولى عند شيخنا رضه ان شدائد الدنيا مما يلزم

الطاعة مجتهدة في القيام بالخدمة اذ هو من حقوق ... نعمه فلا بد منه

العبد

العبد الشكر عليها لان تلك الشدائد نعم بالحقيقة بدليل انها تعوض العبد منافع عظيمة ومثوبات جزيلة واعواضا كريمة
في العاقبة يتلاشى في جنبها مشقة هذه الشدائد واي نعمة تكون اكثر من هذه ومثال ذلك من يسقيك
دواء كريه الطعم لداء من الشدائد ويفصدك ويحجمك لعلة عظيمة ومثوبات جزيلة واعواض كريمة
مخوفة الخطر فيؤدي ذلك الى صحة النفس وسلامة البدن وصفوة العيش فيكون ايلامه
واياك بمرارة الدواء وجراحة الفصد والحجامة نعمة بالغة في الحقيقة ومنة ظاهرة وان كان
في صورته مكروها ينفر عنه الطبع وتستوحش منه النفس وانت تحمل الذي تولى منك هذا الى تحسين
اليه بما امكنك فكذلك حكم هذه الشدائد الا ترى ان النبي صلعم كيف حمد الله وشكره على الشدائد
كشكره على الاحسان حيث قال الحمد لله على ما ساء وسر الا ترى كيف يقول اجل جلاله فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل
الله فيه خيرا كثيرا وما سماه الله خيرا فهو اكثير مما يبلغه وهمك ويؤكد هذا القول ان النعمة ليست خيرا
عن اللذات وما يشتهيه النفس ويقتضي الطبع وانما هي تزيد في رفعة الدرجات ولذلك تسمى نعمة بمعنى
الزيادة واذا كانت الشدة مما تصير سببا في زيادة شرف العبد ورفعة درجته فتكون نعما
بالحقيقة وان كانت تعد في الشدائد والمحن بظاهرها فاعلم انه ذلك موفقا فان قلت فالشاكر
افضل ام الصابر فاعلم انه قيل ان الشاكر افضل بدليل قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور وجعلهم
اخص الخواص وقال في مدح نوح عم انه كان عبدا شكورا وقال في ابراهيم عم شاكرا لانعمه ولانه
في منزلة الانعام والعافية ولذلك قيل لان اعافى فاشكر احب الي من ان ابتلى فاصبر
وقيل بل الصابر افضل لانه اعظم مشقة فيكون اعظم ثوابا وارفع منزلة قال الله تعالى انا و
جدناه صابرا نعم العبد وقال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب قال تعالى والله يحب الصابرين
قلت اما الشاكر بالحقيقة لا يكون الا صابرا او الصابر بالحقيقة لا يكون الا شاكرا لان الشاكر في
دار المحنة لا يخلو من محنة فيصبر عليها لا محالة ولا يجزع فان الشكر تعظيم المنعم على حد
يمنع من عصيانه والجزع عصيان والصابر لا يخلو من نعمة لما ذكرنا ان الشدائد نعم بالحقيقة
على المعنى المتقدم فانه شاكر بالحقيقة ان صبر لانه حبس نفسه عن الجزع تعظيما لله هذا هو الشكر

اجتبيه
لئن انعم

بعينه اذ هو تعظيم يمنع عن العصيان ولان الشاكر يمنع نفسه عن الكفران فصبر عن المعصية وحمل نفسه على
الشكر وصبر على الطاعة فصار صابرا بالحقيقة والصابر عظم الله حتى منعه تعظيمه عن الجزع فيما اصابه
وحمل على الصبر فقد شكر الله تعالى فصار شاكرا بالحقيقة ولان حبس النفس عن الكفران مع قصد النفس
له شدة يصبر عليها الشاكر وتوفيق الصبر والعصمة نعمة يشكر عليها الصابر فاحدهما لا ينفك
عن الاخر ولان البصيرة الباعثة عليهما واحدة وهي بصيرة الاستقامة في قول بعض علمائنا
نحو هذه الوجوه قلنا ان احدهما لا ينفك عن الاخر فاعرف هذه الجملة وبالله التوفيق فصل
فعليك ايها الرجل ببذل المجهود في قطع هذه العقبة اليسيرة المؤنة الكثيرة الجدوى العزيزة
العنصر العظيمة القدر وتامل اصلين احدهما ان النعمة انما تعطى من يعرف قدرها وانما
يعرف قدرها الشاكر ودليل ما قلناه قوله تعالى في الحكاية عن الكفار والرد عليهم اهؤلاء من الله عليهم
من بيننا اليس الله باعلم بالشاكرين ظن اولئك الجهال ان النعمة العظيمة والخير الكثير انما
تعطى من يكون اكثرهم مالا واشرفهم حسبا ونسبا فقالوا لما رأوا هؤلاء الفقراء بزعمهم من
العبيد والاحرار اعطوا هذه النعمة العظيمة بزعمهم دوننا فقالوا على طريق الاستكبار و
وجه الاستهزاء اهؤلاء من الله عليهم من بيننا فاجابهم الله تعالى بهذه النكتة الزاهرة فقال
اليس الله باعلم بالشاكرين تقدير كلام ان الله انما يعطي نعمته من يعرف قدرها وانما يعرف
قدرها من اقبل بنفسه وقلبه فاختارها على غيرها ولا يعبأ بما يحمل من اعباء المؤنة في تحصيلها
ثم لا يزال قائما بالباب يؤدي شكرها وكان في علمنا السابق ان هؤلاء الضعفاء يعرفون هذه
النعمة كلها ويقومون بشكرها فكانوا اولى بهذه النعمة منكم فلا اعتبار بغنائكم وجاهكم
وثروتكم ولا وجاهتكم في الدنيا وحشمتكم ولا نسبكم في الانساب ولا حسبكم انما تحسبون
النعمة كلها الدنيا وحطامها والحسب والنسب وتعلون الدين والحق ومعرفته ولا تعقلون
ذلك وتتفاخرون به اما ترون انكم لا تكادون تعقلون هذا الدين والعلم والحق الا
بفتنة على ما اتاكم به ذلك الا استحقارا لكم ذلك وقلة مبالاتكم وان هؤلاء الضعفاء يعقلون
اياه

انفسهم

انفسهم على ذلك ويبذلون فيه مهجتهم ولا يبالون بما فاتهم وبمن عاداهم مع ذلك لتعلموا انهم هم الذين
عرفوا قدر هذه النعمة ورسخ في قلوبهم تعظيمها وهان عليهم فوت كل شيء دونها وطاب لهم احتمال كل شدة
يستغرقون جميع العمر في شكره فلذلك استأهلوا هذه المنة الكريمة والنعمة العظيمة في سابق علمنا
وخصصناهم بها دونكم فهذه هذه ثم اقول وكذلك كل فريق من الناس خصهم الله تعالى بنعمة من
نعم الدين بعلم او بعبادة فانك تجدهم بالحقيقة اعرف الناس بقدرها واشدهم تعظيما لها و
اجدهم في تحصيلها واعظمهم في اكرامها واقومهم بشكرها والذين حرمهم الله ذلك فلقلة حفظهم و
تعظيمهم لحقها بعد القول السابق فلو كان تعظيم العلم والعبادة في قلوب السوقية والعامة
مثل ما هو في قلوب العلماء المتعبدين لما آثروا اسواقهم وهان عليهم تركه الا ترى ان فقيها اذا ظفر
بتعليم مسئلة كانت ملتبسة عليه كيف يرتاح قلبه ويعظم سروره ويحل موقعها من قلبه حتى ربما لو
وجد الف دينار ما كان تعدل ذلك وربما يهمه امر مسئلة في باب الدين فيتفكر فيها سنة بل اكثر
بل عشرين واكثر لا يستكثر ذلك ولا يمل حتى ربما لو وجد الف دينار رزقه الله تعالى فهم ذلك فيعده
اعظم منة واكبر نعمة ويرى نفسه بذلك اغنى كل غني واشرف كل شريف ثم ربما يبين هذه المسئلة لبعض بليد
او متعلم كسلان يرى نفسه انه مشغول بالرغبة في العلم والمحبة له فلا يستمع اليه حقه وربما ان طال عليه
الكلام يمل وينام وان تبين ذلك له فلا يعده كبيرا وكذلك المنيب الى الله تعالى يجتهد ويذاب بالرياضة
وصيانة النفس عن الشهوات واللذات والجام الاركان في الحركات والسكنات عسى ان ييسر الله تعالى
له ركعتين في ادب طهارة وخشوع ويتضرع الى الله تعالى عسى ان يرزقه ساعة مناجات بصفوة وحلاوة
فلئن ظفر بذلك في شهر مرة بل في سنة مرة بل في عمره كله مرة عد ذلك اكبر منة واعظم نعمة واكرم كرم
يشكر الله تعالى ولا يكترث بما قاساه من المشقات وكابده من الليالي وهجره من اللذات فيها ثم ترى الذي
يزعم انه راغب في العبادة يجب ان يحصل شيء منها لو احتاج احدهم في تحصيل مثل هذه الفضيلة
الى نقصان لقمة من عشائهم او ترك كلمة لا تعنيهم او دفع نوم ساعة مما لا يعنيهم فلا يجيء انفسهم
بذلك ولا تطيب قلوبهم فان اتفق لهم في النادر صفو عبادة في صفوة قل ما يعده خطيرا ولا

يجب

القدر

العبادة

يقدمون فيه كثير شكر وانما يعظم سرورهم ويكثر بالظاهر حمدهم اذا حصل لهم درهم واستقام لهم
كسبهم او طابت لهم مرقة او طالت لهم في سلامة البدن رقدة فيقولون عند ذلك الحمد لله هذا من
فضل الله فانى يساوي هؤلاء الغافلون العاجزون مع اولئك السعداء المجدين المجتهدين
ولذلك صار هؤلاء الكسالى عن هذا الخير محرومين واولئك هم المؤيدون به ظافرين وكذلك قسم
الامر احكم الحاكمين سبحانه وهو اعلم بالعالمين فهذا تفصيل قول الشيخ اعلم بالشاكرين فتفهم
وراعه حقه واعلم انك لن تحرم قط خيرا انت تتمناه الا من قبل نفسك فابذل مجهودك لتعرف قدر
نعمة الله تعالى وتعظيمها حق تعظيمها فتكون اهلا لها ولاعطائها ثم يمن عليك بابقائها كما من
عليك بابتدائها على ما تذكره في الاصل الثاني انه الرؤف الرحيم

الاصل الثاني

ان النعمة انما
تسلب ممن لا يعرف قدرها والذي لا يعرف قدرها الكفور الذي يكفرها ولا يؤدي شكرها ودليل
ذلك قوله تعالى واتل عليهم نبأ الذي آتيناه اياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين
ولو شئنا لرفعناه بها الاية تقدير الكلام انما انعمنا على هذا العبد بالنعم العظام والايادي الجسام
في باب الدين فمكناه بذلك في تحصيل الرتبة الكبيرة والمنزلة الرفيعة على بابنا ليصير رفيعا عندنا
عظيم القدر كبير الجاه ولكنه جهل قدر نعمتنا فمال الى الدنيا الخسيسة الحقيرة واثر شهوات نفسه الدنية الردية
ولم يعلم ان الدنيا كلها لا تزن عند الله تعالى اذنا نعمة من نعم الدين او جناح بعوضة فكان في ذلك
بمنزلة الكلب الذي لا يعرف الاكرام والراحة من الاهانة والمشقة ولا الرفعة والشرف من الحقارة و
الخسة فهو في الحالتين يلهث وانما الكرامة كلها عنده في كسرة تطعم او عراق كائدة تراخى اليه سواء
تقعده على السرير معك او تغمه في التراب والقذر بين يديك فهمته ونعمته وكرامته كلها في ذلك
فهذا العبد السوء اذا جهل قدر نعمتنا ولم يعرف حق ما آتيناه من كرامتنا فعميت بصيرته وساء
في مقام القربة ادبه بالالتفات الى غيرنا والاشتغال عن ذكر نعمتنا بدنيا حقيرة ولذة خسيسة
فنظرنا اليه نظر السياسة واحضرناه ميدان العدل وامرنا فيه بحكم الجبروت فسلبناه جميع
خلعتنا وكراماتنا ونزعنا من قلبه معرفتنا فانسلخ عاريا من جميع ما آتيناه فضللنا فصار

كلبا

كلبا طريدا وشيطانا رجيما نعوذ بالله ثم نعوذ بالله من سخطه واليم عقابه انه بنا رؤف الرحيم ثم
اقنع بمثال ملك يكرم عبدا له فيخلع عليه خاصة ثيابه ويقربه منه ويجعله فوق سائر خدامه وحجابه
وامره بملازمة بابه ثم امر ان يبنى له في موضع اخر القصور وترفع له الاسرة وتنصب الموائد
وتزين له الجوار ويقام له الغلمان حتى اذا رجع من الخدمة اجلس هناك ملكا مخدوما مكرما و[ما]
بين حال خدمته الى الملك وولاية [illegible] نهارا او اقل فان ابصر هذا العبد بجانب باب الملك سائسا
للدواب يأكل رغيفا او كلبا يمضغ عظما فيشتغل عن خدمة الملك بنظره اليه واقباله عليه ولا يلتفت
الى ماله من الخلع والكرامة فيسعى الى ذلك السائس ويمد يده ويسأله كسرة من رغيفه او يزاحم الكلب على
عظم ويغبطهما ويعظم ما هما فيه اليس الملك اذا نظر اليه على هذه الحالة يقول هذا سفيه خسيس الهمة لم
يعرف حق كرامتنا ولم ير قدر اعزازنا اياه بما خلعنا والتقريب الى حضرتنا مع ما صرفنا اليه من
عناياتنا وامرنا في الذخائر وضروب الايادي ما هذا الا ساقط الهمة عظيم الجهل قليل التمييز
اسلبوه الخلع واطردوه عن بابنا فهذا حال العالم اذا مال الى الدنيا والعابد اذا اتبع الى
الهوى بعد ما اكرمه الله تعالى بعبادته ومعرفة اياته وشريعته واحكامه ثم انه لم يعرف قدر ذلك
فيصير الى حقير احقر شيء عند الله عز وجل واهونه ويرغب فيه ويحرص عليه ويكون في قلبه احب اليه
من جميع ما اعطى من تلك النعم العزيزة من العلم والعبادة والحكم والحقائق وكذلك من خصه الله تعالى
بانواع توفيقه وعصمته وزينته بانوار خدمته وعبادته ويديم النظر اليه بالرحمة في اكثر اوقاته
ويباهي به ملائكته واعطاه على بابه العبادة والوجاهة واحله بمحل الشفاعة وانزله منزلة
الاعزة حتى اذا صار بحيث لو دعاه لاجابه ولباه ولو سأله اعطاه واغناه ولو استشفع في عالم
لشفعه فيهم وارضاه ولو اقسم عليه لابره واوفاه ولو خطر بباله شيء لاعطاه قبل ان يسأله
بلسانه وجاه فمن كانت هذه حاله ثم لم يعرف قدر هذه النعمة ولم ينظر الى قدر هذه الهبة
فيعدل عن ذلك الى شهوات نفس ردية لا حياء لها او لعقة من الدنيا الدنية التي لا بقاء لها ولم
ينظر الى تلك الكرامات والخلع والهدايا والمنن والعطايا ثم ما وعد واعد له في الاخرة من الثواب

الجزيل العظيم والنعيم السابغ المقيم فما احقر من نفس وما اسوء من عبد وما اعظم خطره لو علم وما
اخش حسنيعه لو فهم نسال الله البر الرحيم ان يقيلنا بعظيم فضله وسعة رحمته انه ارحم الراحمين

فصل

فعليك ايها الرجل بذل المجهود حتى تعرف قدر نعم الله تعالى عليك واذا انعم عليك بنعمة الدين
فاياك ان تلتفت الى الدنيا وحطامها فان ذلك منك لا يكون الا بضرب من التهاون بها او لا ترى
ربك من نعم الدين اما تسمع قوله تعالى لسيد المرسلين ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم
حق له ان لا ينظر الى الدنيا الحقيرة نظرا باستحلاء فضلا عن ان يكون له فيها رغبة فليدم
الشكر لله على ذلك فانها الكرامة التي حرص خليله ابراهيم عم ان يمن بها على ابيه فلم يفعل وحرص حبيبه
المصطفى صلعم ان يمن بها على عمه ابي طالب فلم يفعل واما حطام الدنيا فانه يصيبه على كل كافر و
فرعون وملحد وزنديق وجاهل وفاسق الذين اهون عليه تعالى يغرق وافيه ويصرفه عن كل
نبي وصفي وصديق وعالم وعابد الذين هم اعز الخلق عليه حتى انهم لا يكادون يصيبون
كسرة وخرقة ويمن عليهم بان لا يتلطخهم تعذرها حين قال عز من قائل لموسى عم ولو
اشاء ان ازينكم ابزينة علم فرعون حين يراها ان مقدورته تعجز عنها لفعلت ولكني ازوى
عنكما الدنيا وارغب بكما عنها وكذلك افعل باوليائي واني لاذودهم عن نعيمها كما يذود الراعي
الشفيق ابله عن مبارك الغرة واني لاجنبهم سكونها وعيشها وليس ذلك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا
حظهم من كرامتي وقال تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا
من فضة الاية فانظر الفرق بين الامرين ان كنت تبصر وقل الحمد لله الذي من علي بمن اوليائه واصفيائه
وصرف عني فتنة اعدائه لتحفظ ولتخص بالشكر الاوفر والحمد الاكبر والمنة الكبرى والنعمة العظمى التي
هي الاسلام فانه المولى والاخرى بان لا تفتر ليلك ونهارك عن شكرها فان كنت عاجزا عن عرفان
قدرها فاعلم بالحقيقة انك لو خلقت من اول الدنيا واخذت في شكر الاسلام من اول الوقت الى الابد
لما كنت تقوم بذلك ولما قضيت بعض الحق لما هناك من الفضل العظيم فلئن فاعلم ان الموضع
لا يحتمل ذكر ما يبلغه عقلي من قدر هذه النعمة ولو املئت فيه الف ورقة لكان يبلغ على فوق ما ذلك مع
اعتراف

> على الآية: ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا [illegible] ان كل من اوتي القرآن العظيم [illegible]

اعترافي ان ما علمته في جنب ما لا اعلمه كنغفة في بحار الدنيا باسرها اما تسمع ويحك الى سيد المرسلين كنت
تدري ما الكتاب ولا الايمان الا ان قال وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال للقوم بل
الله يمن عليكم ان هديكم للايمان ان كنتم صادقين اما تسمع قوله صلعم وقد سمع رجلا يقول الحمد لله على
الاسلام فقال انك لتحمد الله على نعمة عظيمة ولما قدم البشير على يعقوب عم قال على اي دين تركته و
قال على الاسلام قال الآن تمت النعمة وقيل ما من كلمة احب الى الله تعالى ولا ابلغ عنده في الشكر من ان يقول
العبد الحمد لله الذي انعم علينا وهدانا الى الاسلام واياك ان تغفل الشكر وتغتر بما انت عليه في الحال
من الاسلام والمعرفة والتوفيق والعصمة فان مع ذلك لا موضع للامن والغفلة فان الامور
بالعواقب وكان سفيان الثوري رحه يقول لا من احد على دينه ان يسلب وكان شيخنا رحه يقول
اذا سمعت بحال الكفار وخلودهم في النار فلا تامن على نفسك فان الامر على الخطر ولا تدري ماذا
يكون من العاقبة وماذا سبق في حكم الغيب فلا تغتر بصفاوة الاوقات فان تحتها عوامض الافات و
قال بعضهم يا معشر المغترين بالعصم فان تحتها انواع النقم وزين الله ابليس بانواع عصمته وهو في
حقائق لعنته وزين بلعم بانواع ولايته وهو عنده في حقائق عداوته وعن علي رضه انه قال كم
من مستدرج بالاحسان وكم من مفتون بحسن القول فيه وكم من مغرور بالستر عليه وقيل الذي النون
ما اقصى ما يخدع به العبد قال بالالطاف والكرامات وكذلك قال سبحانه سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
قال اهل المعرفة يسبغ عليهم النعمة وينسيهم الشكر كما قال الشاعر احسنت ظنك بالايام اذ
حسنت ولم تخف سوء ما ياتي به القدر وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث
الكدر وعلم انك كلما صرت اقرب فامرك اخوف واصعب والمعاملة اشد وادق والخطر عليك
عظيم فان الشيء كلما كان ابلغ علوا فاذا انقلب كان اصعب وقوعا كما قال ما طار طير فارتفع الا كما
طار وقع فاذا السبيل الى الامن واغفال الشكر وترك الابتهال في الحفظ بحال وكان ابراهيم بن ادهم
يقول كيف تامن وابراهيم الخليل عم يقول واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ويوسف الصديق
عم توفني مسلما ويقول كان سفيان الثوري لا يزال يقول اللهم سلم سلم كانه في سفينة يخشى الغرق

> [illegible] حسبي بعلمي ان نفع ما الذل الا في الطمع

وبلغنا عن محمد بن يوسف انه قال تاملت سفيان الثوري ليلة فبكى الليل اجمع فقلت له ابكاءك
هذا على الذنوب قال فحمل تبنا قال الذنب على الله اهون من هذا انما خشيتي ان يسلبني الاسلام و
العياذ بالله وسمعت انا بعض العارفين يقول ان بعض الانبياء سال الله تعالى عن امر بلعام وطرده بعد
تلك الايات والكرامات فقال تعالى لم يشكرني يوما من الايام على ما اعطيته ولو شكرني على ذلك مرة لما سلبته
فتيقظ ايها الرجل وتنبه احتفظ بركن الشكر جدا جدا واحمد الله على منته في الدنيا اعلاها الاسلام
والمعرفة وادناها مثلا توفيق وتسبيح وعصمة عن كلمة لا تعنيك عسى ان يتم نعمته عليك ولا
يبتليك بمرارة الزوال فان امر الامور واصعبها الاهانة بعد الاكرام والطرد بعد التقريب والفراق
بعد الوصال وهو تعالى الماجد الكريم الرؤف الرحيم فصل وجملة الامر انك اذا احسنت النظر في منن
الله العظام واياديه الجسام اليك التي لا يحصيها قلبك ولا يحيط بها وهمك حين خلفت هذه
العقبات الصعاب فوجدت العلوم والبصائر وتطهرت من الاوزار والكبائر وسبقت العوائق
ودفعت العوارض وظفرت البواعث وسلمت من القوادح فكم حصل لك فيها من خصلة شريفة
ورتبة منيفة اولها التبصير والتعريف وآخرها التقريب والتشريف فتامل فيها بمقدار عقلك
وتوفيقك وشكرت الله جل جلاله على قدر طوقك بان شغل لسانك بحمده وثنائه وملأ قلبك
بعظمته وجلاله ويبلغك مبلغا يحول بينك وبين عصيانه ويبعثك على الخدمة له بما امكنك وسعة
طاقتك معترفا بالقصور عن حق انعامه واحسانه وكلما اغفلت شكره او فترت او زللت
عاودت واجتهدت وتضرعت اليه وتوسلت وقلت يا الله يا مولاي كما بدأت بالاحسان
بفضلك من غير استحقاق فاتممه بفضلك ايضا من غير استحقاق وتنادي بنداء الاولياء الذين
وجدوا انتاج هدايته وذاقوا حلاوة معرفته فخافوا على انفسهم حرقة الطرد والاهانة ووحشة البعد
والضلالة ومرارة العزل والازالة ففزعوا بالباب مستغيثين وحدوا اليه الاكف مبتهلين
ونادوه في الخلوات متضرعين ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك
انت الوهاب قلت انا والله اعلم تقديره انا وجدنا منك نعمة فطمعنا في اخرى لانك انت الجواد

الوهاب

فصل

الوهاب فكما وهبت مزية الانعام في الابتداء فهب لنا رحمة الاتمام في الانتهاء كما تسمع وترى
ان اول دعاء علمه رب العالمين عباده المسلمين الذين اصطفاهم الله من بين خلقه هذا الدعاء
قوله اهدنا الصراط المستقيم اي ثبتنا عليه وادمه لنا هكذا يتضرع اليه فان الخطر عظيم فانه قيل ان
الحكماء نظروا فردوا مصائب العالم ومحنهم الى خمس المريض في الغربة والفقر في الشيب والموت
في الشباب والعمى بعد البصر والنكرة بعد المعرفة واحسن من ذلك من قال لكل شيء اذا فارقته عوض
وليس لله ان فارقت عوض ولغيره يقول اذا ابقت الدنيا على المرء دينه فما فاته منها فليس بضائر
وكذلك في كل نعمة انعم بها عليك وتاييد ايدك به في قطع عقبة من العقبات ليثبت عليك ما
اعطى ويزيدك فوق ما تتود وتتمنى فاذا فعلت ذلك كنت قد خلفت هذه العقبة الخطيرة
وظفرت بالكنزين الكريمين العزيزين اللذين هما الاستقامة والاستزادة فتدوم لك النعم
الموجودة التي اعطاك الله سبحانه فلا تخشى زوالها ويزيدك من النعم المفقودة التي لم تعط بعد
ما تحسن ان تسالها وتتمناها فلا تخشى زوالها وكنت حينئذ من العارفين العاملين بالله التائبين
الطاهرين الزاهدين في الدنيا المتجردين للخدمة القاهرين للشيطان المتقين حق التقوى با
لقلب والاركان القاصرين للامل الناصحين الخاشعين المتواضعين المتوكلين المفوضين
الراضين الصابرين الخائفين الراجين المخلصين الذاكرين المحبين الشاكرين لانعم سيدهم
رب العالمين ثم يصير بعد ذلك من المستقيمين المكرمين العبد بعلين فتامل هذا الكلام والله تعالى
ولي التوفيق فان قلت اذا كان الامر كذلك لقد قل من الناس العابد بهذا المعنى والواصل الى
هذا المقصود من الذي يقوى على هذه المؤن ويحصل هذه الشروط فاعلم ان كذلك يقول وقليل
من عبادي الشكور ولكن اكثر الناس لا يعلمون ثم ان ذلك يسير على من يسره الله تعالى عليه وعلى العبد الاجتهاد
وعلى الله سبحانه الهداية قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا واذا كان العبد الضعيف
يقوم بما عليه فما ظنك بالرب القدير الغني الكريم الرحيم فان قلت فالعمر قصير وهذه العقبات
طويلة وشرائطها شديدة وكيف يفي العمر حتى تكمل هذه الشرائط وتقطع هذه العقبات

ممن رضي الدنيا على الآخرة
ولا رضي الدنيا عوضا بالآخرة

فلعمري ان العقبات طويلة والشرائط فيها شديدة ولكن اذا اراد الله تعالى ان يجتبي عبده قصر عليه
طويلها وهون عليه شديدها حتى يقول بعد قطعها ما اقرب هذا الطريق واقصرها وما اهون هذا
الامر وايسره وفي مثل ذلك قلت انا عندي وقع في على هذه الغاية علم الحجة واضح لمريده واري
القلوب عن الحجة في عماء ولقد عجبت لهالك ونجاته موجودة ولقد عجبت لمن نجا حتى ان منهم
من يقطع هذه العقبات في سبعين سنة ومنهم من يقطعها في عشرين سنة وفي عشر سنين ومنهم
من يحصل له في سنة ومنهم من يقطعها في شهر بل في جمعة بل في ساعة حتى ان منهم من يحصل له في
لحظة بتوفيق خاص وعناية سابقة اما تذكر اصحاب الكهف وكان مدتهم خطرة حتى راوا
التغير في وجه ملكهم دقيانوس فقالوا ربنا رب السموات والارض حصلت لهم المعرفة والبروا
ما في هذه الطريق من الحقائق وقطعوا هذه الطريق فصاروا مفوضين متوكلين مستقيمين
اذ قالوا فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته وكل ذلك انما حصل لهم في مقدار ساعة او لحظة
اما تذكر سحرة فرعون ما كان مدتهم الا لحظة حين راوا معجزة موسى عم قالوا امنا برب
العالمين فابصروا الطريق وقطعوه فصاروا من ساعة الى ساعة بل اجل من العارفين بالله الراضين
بقضاء الله الصابرين على بلاءه الشاكر لالائه المشتاقين الى اللقاء فنادوا لا ضير انا الى ربنا
لمنقلبون ولقد حكينا ان ابراهيم بن ادهم كان على ملك كان عليه من امر الدنيا فعدل عن ذلك
وقصد هذه الطريق فلم يكن الا مقدار سيره من بلخ الى مرو الرود حتى صار بحيث اشار الى
رجل سقط من القنطرة في الماء الكثير هنالك ان قف فوقف الرجل مكانه في الهوى فتخلص و
ان رابعة البصرية كانت امة كبيرة يطاف بها في سوق البصرة لا يرغب فيها احد على العبادة
فما كانت لها منة حتى زادها زهاد البصرة وقراءها وعلماءها العظم منزلتها واما الذي لم يسبق
له العناية ولم يعامل بالفضل فيوكله الى نفسه بما يبقى في شعب من عقبة واحدة سبعين سنة
ما يقطعها وكم يصيح ويصرخ ما اظلم هذه الطريق واشكلها واعسر هذا الامر واعضله فان
الشان كله الى اصل واحد وذلك تقدير العزيز العليم العدل الحكيم فان قلت لم اختص هذا
بالتوفيق

بالتوفيق الخاص وحرم هذا وكلاهما مشتركان في ربقة العبودية فعند هذا السؤال ينادي
من سرادق الجلال ان الزم الادب واعرف سر الربوبية فانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون
قلت انا ومثال هذه الطريق في الدنيا الصراط في الاخرة في عقباتها ومسافاتها ومقاطعها
واختلاف احوال الخلائق فيها منهم من يمر عليه كالبرق الخاطف ومنهم من يمر عليه كالريح العاصف
وآخر كالفرس الجواد وآخر كالطائر وآخر يمشي وآخر يزحف حتى يصير فحمة وآخر يسمع حسيسها
وآخر يؤخذ بكلاليب يطرد في جهنم فكذلك حال هذا الطريق مع سالكيه في الدنيا فهما
صراطان صراط في الدنيا وصراط في الاخرة فصراط الاخرة للانفس يرى اهوالها اهل الابصار
وصراط الدنيا للقلوب يرى احوالها ذوي البصائر والالباب وانما اختلف الاحوال للسالكين
في الاخرة لاختلاف احوالهم في الدنيا فتامل ذلك حقه فهذه هذه

فصل

ثم اعلم ان ما هو
التحقيق في هذا الباب وهو انه ليس هذا الطريق في طوله وقصره مثل المسافات الكائنة التي تسلكها
الانفس فتقطعها بالاقدام فيقع قطعها على حسب قوة الانفس وضعفها انما هو طريق روحاني
يسلكه القلوب فتقطعه بالافكار على حسب العقائد والبصائر واصلها نور سماوي و
نظر الهي يقع في قلب العبد فينظر به نظرة فيرى به امر الدارين بالحقيقة ثم هذا النور ربما يطلبه
العبد مائة سنة فلا يجده ولا اثر منه وذلك لخطائه في الطلب وتقصيره في الاجتهاد وجهله
بطريق ذلك وآخر يجده في خمسين سنة وآخر في عشر وآخر في يوم وآخر في ساعة ولحظة
بعناية رب العزة وهو تعالى ولي الهداية لكن العبد مأمور بالاجتهاد فعليه بما امر والامر
مقسوم مقدر والرب حكيم عدل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فان قلت فما اعظم هذا
الخطر واشد هذا الامر وما اكثر ما يحتاج اليه العبد الضعيف فكل هذا العمل والجهد وتحصيل
هذه الشرائط لماذا فاقول انك لصادق في قولك ان الامر شديد والخطر عظيم ولذلك
قال تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد وقال تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض و
الجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا وكذلك

قال سيد المرسلين لو علمتم ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا وما روي ان المنادي ينادي من
السماء ليت هذا الخلق لم يخلقوا وليتهم اذا خلقوا علموا لما ذا خلقوا وكذلك يقول السلف
فعن ابي بكر رضه انه قال وددت اني كنت خضراء تاكلني الدواب مخافة العذاب وعن عمر رضه
انه سمع انسانا يقرأ هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا قال ليتها تمت
وقال ابو عبيدة بن الجراح رضه وددت اني كنت كبشا فيذبح لاهلي فيفرق لحمي ويتحسى مرقي
ولم اخلق وعن وهب بن منبه خلق ابن ادم احمق ولولا حمقه ما هناه عيش وعن الفضيل
اني لا اغبط ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ولا عبدا صالحا اليس هؤلاء يعاينون القيمة انما
اغبط من لم يخلق وعن عطا السلمي لو ان النار اوقدت فقيل من القى نفسه فيها صار لا شيء
لخشيت ان اموت من الفرح قبل ان اصل الى النار فالامر اذا ايها الرجل شديد كما تقول
بل اشد واعظم مما تظن وتتوهم ولكنه امر سبق في العلم القديم وتدبير اجراه العزيز العليم فلا
حيلة للعبد الا بذل المجهود في العبودية والاعتصام بحبل الله والابتهال دائما الى الله تعالى عسى
ان يرحمه الله فيسلمه بفضله واما قولك كل هذا لماذا فهذا الكلام يدل منك على غفلة عظيمة
بل الصواب ان تقول كل هذا في جنب ما يطلبه العبد الضعيف ماذا اتدري ما يطلب ايها العبد
الضعيف اقل ما يطلبه على الجملة شيئان احدهما السلامة في الدارين والثاني الملك في الدارين
اما السلامة فان الدنيا وفتنها وغوائلها بحيث لم يسلم منها الملائكة المقربون وقد سمعت
حديث هاروت وماروت حتى روي انه اذا عرج بروح العبد الى السماء تقول ملائكة السموات
متعجبين كيف نجا هذا من دار فسد فيها خيارنا وان الاخرة في اهوالها وشدائدها بحيث يصرخ
فيها الانبياء والرسل نفسي نفسي لا اسئلك اليوم الا نفسي حتى روي انه لو كان الرجل عمل عمل
سبعين نبيا لظن انه لا ينجو افمن اراد ان يسلم من فتن هذه فيخرج منها بالاسلام سالما لا
تصيبه فتنة ومن اهوال هذه فيدخل الجنة سالما لا تصيبه نكبة اليس ذلك امرا هينا واما
الملك والكرامة فان الملك نفاذ التصرف والامر فغاية ذلك بالحقيقة في الدنيا لاولياء الله

واصفيائه الراضين بقضائه البر والبحر والارض لهم قدم والحجر والمدر لهم ذهب وفضة الانس
والجن والبهائم والطيور لهم مسخرون لا يشاؤن شيئا الا وهو كائن لانهم لا يشاؤن الا ما يشاء الله
وما شاء الله كان ولا يهابون من الخلق ويهابهم كل الخلق ولا يخدمون احدا الا الله ويخدمهم كل من دون
الله واين ملوك الدنيا بعشر معشار هذه الرتبة بل هم اقل واذل واما ملك الاخرة فيقول الله تعالى
واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا واعظم مما يقوله فيه رب العزة انه ملك كبير وانت تعلم ان
الدنيا باسرها وان تعاهبها من اولها والى اخرها القليل ونصيب احد منا من هذا القليل قليل ثم الواحد
منا قد يبذل ماله وروحه حتى ربما يظفر بقدر قليل من هذا القليل في بقاء قليل وان حصل ذلك فبعدا
بل بعيط ولا يستكثر ما يبذل فيه من المال والنفس نحو ما ذكر عن امرئ القيس بن حجر الشاعر الملك حيث
يقول بكا صاحبي لما راى الدرب دونه وايقن انا لاحقان بقيصر فقلت له لا تبك عينك
انما نحاول ملكا او نموت فنعذرا فكيف حال من يطلب الملك الكبير في دار النعيم الخالد المقيم ان يستكثر
مع ذلك ان تصلي ركعتين له تعالى او ينفق درهمين او يسهر ليلتين كلا بل لو كان له الف الف نفس والف
الف روح والف الف عمر مثل عمر الدنيا واكثر فبذل ذلك كله في هذا المطلوب العزيز لكان ذلك قليلا
ولئن ظفر بعده بما طلب لكان ذلك غنما عظيما وفضلا من الله اعطاه كثيرا فتنبه ايها المسكين من
رقدة الغافلين ثم اني لما تاملت ما يعطيه الله سبحانه العبد اذا اطاعه ولزم خدمته وسلك
هذا الطريق عمره فوجدتها على الجملة اربعين كرامة وخلعة عشرون منها في الدنيا وعشرون في
العقبى اما التي في الدنيا فالاول ان يذكره الله تعالى ويثني عليه واكرم بعبد يذكره رب العزة في ذكره و
ثنائه الثاني ان يشكره جل جلاله ويعظمه ولو شكرك مخلوق ضعيف مثلك وعظمك لابتهجت
به فكيف باله الاولين والاخرين الثالث ان يحبه ولو احبك رئيس محلة او امير بلدة لافتخرت
بذلك وانتفعت به في مواطن عزيزة فكيف بمحبة رب العالمين الرابعة ان يكون له وكيلا
يدبر اموره الخامسة ان يكون لرزقه كفيلا يوجه اليه من حال الى حال من غير تعب او وبال السادسة
ان يكون له نصيرا يكفيه كل عدو ويدفع عنه كل قاصد بسوء السابعة ان يكون له انيسا لا يستوحش

بحال ولا يخاف التغير والاستبدال الثامنة عن النفس فلا يلحقه ذل خدمة الدنيا واهلها بل لا يرضى ان
يخدمه ملوك الدنيا وجبابرتها التاسعة رفعة الهمة فيترفع عن التلطخ بقاذير الدنيا و
اهلها ولا يلتفت الى زخارفها وملاهيها ترفع الى احوال الرجال الالباء عن ملاعب الصبيان والنسوان
العاشر غنى القلب فيكون اغنى من كل غني في الدنيا لا يزال طيب النفس فسيح الصدر ايغره حدث
ولا يهمه عدم الحادي عشر نور القلب فيهتدى بنور قلبه الى العلوم واسرار وحكم لا يهتدى الى بعضها
غيره الا بجهد جهيد وعمر مديد الثانية عشر المهابة الموقع في نفوس الناس تحترمه الاخيار والا
شرار ويهابه كل فرعون وجبار الرابعة عشر المحبة في القلوب يجعله الرحمن ودا فترى القلوب
كلها مجبولة على حبه والنفوس كلها مطبوعة على تعظيمه واكرامه الخامس عشر البركة العامة في كل شيء من الكلام
او نفس او ثوب او مكان حتى يتبرك بتراب وطئه وبمكان جلس فيه يوما او ساعة وبانسان
صحبه او رآه حينا السادسة عشر تسخر له الارض من البر والبحر حتى ان شاء سار في الهواء او مشى
على الماء او قطع وجه الارض باقل من ساعة السابعة عشر تسخر له الحيوان من السباع والوحو
ش والهوام او غيرها فتحبه الوحوش وتتبصبص له الاسود الثامنة عشر يملك مفاتيح
الارض فحيث ما ضرب بيده كنز ان اراد وحيث ما يضرب برجله فله عين ماء ان احتاج و
اين كان فله مائدة تحضره ان قصد التاسعة عشر القيادة والوجاهة على باب الحق تعالى
فيبتغي الخلق الوسيلة الى الله تعالى بخدمته ويستنجح الحاجات من الله تعالى بوجاهته وبركته العشرون
اجابة الدعوة من الله تعالى فلا يسال الله تعالى شيئا الا اعطاه ولا يشفع لاحد الا شفع لو اقسم
على الله تعالى لابره بما شاء حتى ان منهم من لو اشار الى جبل لزال فلا يحتاج الى السوال باللسان
ولو خطر بباله شيء يحصل فلا يحتاج الى السوال باللسان ولو خطر بباله شيء يحصل فلا يحتاج
الى الاشارة باليد فهذه كرامات في الدنيا واما التي في العقبى فالحادية والعشرون
ان يهون عليه سكرات الموت وهي التي وجلت قلوب الانبياء صلوات الله عليهم منها حتى
سالوا الله تعالى ان يهونها عليهم حتى ان منهم من يكون الموت عنده مثل شربة ماء الزلال
للظمآن

شرح الصدر فلا يضيق ذرعا بشيء من محن الدنيا وكلام الناس ومصائبها ومؤنها الثانية عشر منه

للظمآن قال عز وجل الذين تتوفيهم الملائكة طيبين الثانية والعشرون الثبات على المعرفة والايمان و
هو الذي عنه كل الخوف والفزع وعليه البكاء والجزع قال عز من قائل يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت
والثالثة والعشرون ارسال الروح والريحان بالبشرى والامان كقوله تعالى الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا
بالجنة التي كنتم توعدون فلا يخاف عما يتقدم عليه في العقبى ولا يحزن على خلفه في الدنيا الرابعة والعشرون
الخلود في الجنان والاكرام والاحسان والخامسة والعشرون الحيوة فاسر لروحه على الملائكة السموات
بالاكرام والالطاف والانعام ولبدنه في العلانية بتعظيم جنازته وازدحامه عليه والمبادرة
الى تجهيزه يرجون بذلك اكبر ثواب ويعدونه عظيم غنم السادسة والعشرون الامان من فتنة
سوال القبر وتلقين الصواب فيامن ذلك السابعة والعشرون توسيع القبر وتنويره فيكون في
روضة من رياض الجنة الى يوم القيمة الثامنة والعشرون ايناس روحه ونسمته واكرامها فتجعل في
اجواف طير خضر مع الارواح الصالحين فرحين مستبشرين بما اتاهم الله من فضله التاسعة و
العشرون الحشر في العز والكرامة من حلل وتاج وبراق الثلثون بياض الوجه ونوره وجمال
الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة قال تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة
الحادي والثلثون الكتاب من اهوال القيمة قال تعالى امن يأتي امنا يوم القيمة الثانية
والثلثون الكتاب باليمين ومنهم من كون الكتاب راسا الثالث والثلثون تيسير الحساب ومنهم
من لا يحاسب اصلا الرابعة والثلثون ثقل الميزان ومنهم من لا يوافق للوزن اصلا
الخامسة والثلثون ورود الحوض على النبي صلعم فيشرب شربة لا يظما بعدها ابدا السادسة و
الثلثون جواز الصراط والنجاة من النار حتى ان منهم لا يسمع حسيسها وتخمد له النار
الثامنة السابعة والثلثون الشفاعة في عرصات القيمة نحو من شفاعة الانبياء والرسل الثامنة
والثلثون ملك الابد في الجنة التاسعة والثلثون الرضوان الاكبر الاربعون لقاء رب
العالمين اله الاولين والاخرين بلا كيف جل جلاله ثم اقول وانما عددت ذلك على حسب
فهمي ومبلغ علمي في قصوره ونقصه ومع ذلك فقد اجملت واوجزت جزئيات وذكرت

الاصول والجمل ولو فصلت بعض ذلك لما احتملته الكتب الا ترى انى جعلت ملك الابد خلعة
واحدة ولو فصلتها لا ارتفعت عن اربعين خلعة من نوع الحلل والقصور واللباس وغير ذلك
ثم كل نوع يشتمل على تفاصيل لا تحيط بها الا عالم الغيب والشهادة الذي هو خالقها ومالكها واى
مطمع لنا في معرفة ذلك وربنا سبحانه يقول فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين ثم رسول الله
صلعم خلق فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وان المفسرين يقولون في قوله
تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ان هذه هي الكلمات التي يقول الله عز وجل لاهل الجنة باللطف
والاكرام وما يكون حال هذا اذا ان يبلغ جزء من الف الف جزء منه وهم بشر ويحيط به علم مخلوق
كلا بل تقاعدت الهمم وتقاصرت دونه العقول وحق ان يكون ذلك كذلك وهو عطاء العزيز
العليم على مقتضى الفضل العظيم وحسب الجود القديم الا فليعمل العاملون وليبذل المجتهدون
جهدهم لهذا المطلب العظيم وليعلموا ان ذلك كله لا قل قليل في جنب ما هم اليه محتاجون وانه
يطلبون وله يتعرضون وليعلموا ان العبد لا بد له في الجملة من اربعة العلم والعمل والاخلاص
والخوف فيعلم اولا الطريق والا فهو اعمى ثم هو يعمل بالعلم والا فهو محجوب ثم يخلص العمل
والا فهو مغبون ثم لا يزال يخاف ويحذر من الافات الى ان يجد الامان والا فهو مغرور ولقد
صدق ذو النون حيث قال الخلق كلهم موتى الا العلماء والعلماء كلهم نيام الا العاملون
العاملون كلهم مغترون الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم فلت لنا والعجب كل
العجب من اربعة احدهم غافل غير عالم اما يهتم لمعرفة ما هو بين يديه اما يعرف ما هو مطلع
بعد الموت عليه بالنظر في هذه الدلائل والعبر والاستماع الى هذه الايات والنذر والانزعاج
لهذه الخواطر والهواجس في النفس قال الله تعالى اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما
خلق الله من شيء وقال تعالى الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم الثاني من عالم غير
عامل اما يتذكر بالعلم فيما بين يديه من الاهوال العظام والعقبات الصعاب وهذا هو
النبأ العظيم الذي انتم عنه معرضون والثالث من عامل غير مخلص الا يتأمل قوله فمن كان

يرجوا

يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا والرابع من مخلص غير خائف
اما ينظر الى معاملاته مع اصفيائه واوليائه وخدمته الدالة بينه وبين خلقه حتى يقول لا
كرم الخلق عليه صلعم لقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك الاية و
نحوها حتى كان يقول صلعم شيبتني هود واخواتها ثم جملة الامر بتفصيله ما قاله رب العالمين
في اربع ايات من الكتاب العزيز قوله عز وجل افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا
ترجعون ثم قال جل اسمه ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ثم قال
جل من قائل والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ثم اجمل الكل فقال وهو اصدق القائلين
ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين ونحن نستغفر الله تعالى من كل زلل
به القدم وجرى به القلم ونستغفره من اقاويلنا التي لا توافق اعمالنا ونستغفره مما ادعيناه
واظهرناه من العلم بدين الله تعالى مع التقصير فيه ونستغفره من كل خطرة دعتنا الى تصنع
وتزين في كتاب سطرناه او كلام نظمناه او علم اخذناه ونسأله ان يجعلنا واياكم
معشر الاخوان بما علمنا عاملين ولوجهه به مريدين وان لا يجعله وبالا علينا وان يضعه
في ميزان الصالحات اذا ردت اعمالنا الينا انه كريم تم ما اردنا ان نذكره في شرح كيفية
سلوك طريق الاخرة وقد وفي بالمقصود والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبفضله
تنزل البركات وصلى الله على خير مولود دعا الى افضل معبود محمد النبي واله وسلم
تسليما وحسبنا الله ونعم الوكيل

اتممت اتماما بعون الله تعالى

رسله على سبيلنا وحسبنا ونعم
وهادينا ومرشدنا

أنواع التطوع من الصلوة الكاينة عن
النبي صلى الله عليه وسلم فشكر الوضوء وصلوة
الاستخارة والتوبة والحاجة ومنها صلوة التسبيح

الفرض أفضل من تطوع عابدٍ حتى ولو قد جاء منه بأكثر
إلا التطهر قبل وقت وابتداء للسلام كذاك إبرا معسرٍ